العرب
alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2016/04/03 – الموافق لـ 25 جمادى الثانية 1437
السنة 38 العدد 10234

Sunday 03/04/2016
38th Year, Issue 10234

وجوه

نازلي مدكور
رسامة الأقلية السعيدة
ص 10

الكلية الشريحة
ثورة ستغزو العالم في العام 2017
ص 9

إلياس العمري
ماركسي في مواجهة نفوذ بن كيران
ص 8

أمن البحر الأحمر
الملف الشائك الذي تتسابق عليه الأمم
ص 7

الثقافي

جلسة مع شهلا العجيلي حول الرواية والزمن والشخصيات

هيثم الزبيدي: أهلا بكم إلى العالم الممل للرواية
خلدون الشمعة: رثاء مشرعي الإنسانية
أيمن حسن: شاعر يطرد الكلمات السوداء
حميد زناز: سيمون دي بوفوار معادية للنساء
هيثم حسين: هناء حجازي ورواية عن امرأتين

ص11 إلى 16

خفايا الصفقة التي دفعت الصدر إلى فض الاعتصام

• فضيحة فساد نفطية جديدة والعبادي يدعو إلى تدخل القضاء العراقي

❑ **بغداد** – قالت مصادر عراقية مطّلعة إن الزعيم الشيعي مقتدى الصدر لم يفض اعتصام أنصاره في المنطقة الخضراء الخميس قبل الماضي بسبب رضاه عن التشكيل الوزاري الذي قدّمه رئيس الوزراء حيدر العابدي، وإنما بعد تلقيه وعودا وضمانات بأن تضم الحكومة الجديدة 6 وزراء من التيار الصدري.

يأتي هذا فيما يعيش العراق على وقع فضيحة فساد جديدة في قطاع النفط اتّهم فيها مسؤولون كبار في الدولة مقابل منح شركات عالمية عقودا نفطية.

وأضافت مصادر من داخل البرلمان العراقي أن تزامن قرار انسحاب المعتصمين مع تقديم قائمة الوزراء إلى البرلمان هدفه التغطية على صفقة كان مهندسها قيادي في الحزب الإسلامي تولّى نقل رسائل بين العبادي ورئيس البرلمان سليم الجبوري من جهة، وبين الصدر من جهة أخرى (الخميس) قبل الماضي، ما أدّى إلى إنهاء الاعتصام بشكل غير متوقع.

وأشارت المصادر إلى أنه في الوقت الذي كان فيه العبادي يجتمع مع الجبوري في غرفة مغلقة بمبنى البرلمان قبل افتتاح جلسته للتصويت على الوزراء الجدد، انطلق القيادي في الحزب الإسلامي رشيد العزاوي إلى المنطقة الخضراء حاملا رسالة إلى كبير مساعدي مقتدى الصدر الشيخ علي سميسم، ليعود سريعا ومعه قرار الصدر بإنهاء اعتصامه وإلقاء خطاب يمتدح فيه شجاعة العبادي.

ويعرف العزاوي في بغداد بأنه عرّاب العلاقات بين الحزب الإسلامي (السني) وإيران، ويحظى بثقة مقتدى الصدر وسبق له أن زاره عدة مرات في مقره بالنجف.

وسبق له أن قام بجمع سليم الجبوري وزعيم ميليشيا بدر هادي العامري، وكلاهما من محافظة ديالى، عقب الأحداث الدامية التي شهدتها المحافظة مطلع العام الحالي.

وكشفت "العباسية نيوز" أن العزاوي، الذي يتولى حاليا رئاسة الدائرة السياسية الاستشارية لرئيس مجلس النواب، حمل إلى الشيخ سميسم قائمة بأسماء الوزراء الجدد وفيها ستة وزراء صدريين أو مرشحين من لجنة التيار الصدري من أصل 14 وزيرا لعرضها على زعيمه.

والوزراء المحسوبون على التيار الصدري أو الذين رشحتهم اللجنة التي أمر مقتدى بتشكيلها الشهر الماضي هم علي علاوي وزير التجارة ووكيل وزير الدفاع في أول حكومة شكلت عقب احتلال 2003.

وقد رشح ليتولى وزارة المالية والتخطيط في حكومة العبادي الجديدة بعد دمج الوزارتين اللتين شغلهما من قبله هوشيار زيباري وسلمان الجميلي.

وعلاوي بريطاني الجنسية وهو ابن أخت رئيس المؤتمر الوطني أحمد الجلبي وابن عم زعيم ائتلاف (الوطنية) إياد علاوي.

أما الوزير الثاني فهو حسن الجنابي، وهو أسترالي الجنسية ومندوب العراق لدى منظمة الزراعة والغذاء الدولية في روما.

والوزير الثالث من مرشحي الصدر هو عقيل مهدي المخرج المسرحي الذي أسند إليه العبادي في التشكيل الجديد وزارة الثقافة والشباب بعد دمج الوزارتين اللتين تولاهما منذ عام ونصف فرياد راوندوزي وعبدالحسين عبطان.

وعهد العبادي إلى وفاء المهداوي وهي إحدى مرشحات لجنة الصدر لتولي وزارة العمل والهجرة بعد دمج الوزارتين اللتين شغلهما محمد شياع السوداني وجاسم محمد الجاف في الحكومة الحالية، وهي أستاذة للاقتصاد في الجامعة المستنصرية.

أما الوزير الخامس المرشح من التيار الصدري فهو علاء دشر (صابئي) لتولي وزارة الكهرباء التي عمل فيها مديرا عاما عدة سنوات بدلا من وزيرها الحالي قاسم الفهداوي.

ورشح القاضي في محكمة السماوة محمد النصرالله القريب من رئيس اللجنة الصدرية الاستشارية سامي المعجون ليكون وزيرا للعدل بدلا من وزيرها الحالي حيدر الزاملي.

ويشعر كثير من الناشطين السياسيين العراقيين بالصدمة جراء موافقة الصدر السريعة على التشكيلة الوزارية الجديدة وهو الذي كان قد رفع سقف مطالباته وفق شعار (شلع قلع) بما يحمله من مضامين لتغييرات جذرية.

وقال الأكاديمي والناشط المدني عبدالمحسن علي "إن اللعبة وضحت وتبين أن أطراف العملية السياسية الحالية تبحث عن مكاسب وامتيازات، ولا يمكن تصديق دعوات وتظاهرات واعتصامات للإصلاح تطلقها أحزاب وتيارات كانت وما تزال جزءا من حكومات الفساد المتعاقبة".

ولا تكاد تتوقف التسريبات المثيرة للقلق عن فضائح الفساد في العراق، فقد طلب العبادي السبت باتخاذ إجراءات قانونية وملاحقات قضائية إزاء اتهامات بتلقي مسؤولين كبار رشى مقابل منح شركات عالمية عقودا نفطية.

وأفاد بيان أن العبادي "يدعو القضاء إلى القيام بالملاحقات القضائية الفورية بخصوص التحقيقات الصحافية الخطيرة من قبل (فيرفاكس ميديا) و(هوفينغتن بوست)".

وكشفت التحقيق الاستقصائي الذي أجراه "فيرفاكس ميديا" و"هوفينغتن بوست" ونشر الأربعاء "عن الآلاف من الوثائق" من موقع شركة "يوناويل" المملوكة من عائلة إيرانية ومقرها إمارة موناكو.

وبحسب بيان رئيس الوزراء فإن التحقيق يكشف "تورط مسؤولين عراقيين كبار في الدولة في صفقات فساد ورشاوى تتعلق بعقود نفطية خلال فترة الحكومات السابقة".

ويظهر التحقيق أن شركة وافقت على دفع الملايين من الدولارات للتأثير على مسؤولين عراقيين بينهم وزير النفط حسين الشهرستاني الذي شغل منصب نائب رئيس الوزراء لشؤون الطاقة في حكومة نوري المالكي الأولى، إضافة إلى وزير النفط عبدالكريم لعيبي الذي تلاه في حكومة المالكي الثانية.

ونفى الشهرستاني الذي يشغل حاليا منصب وزير التعليم العالي في مؤتمر صحافي أن يكون لديه أيّ اتصال بشكل مباشر أو غير مباشر مع الشركة.

ودعا في بيان "الحكومة العراقية إلى مطالبة الصحيفة الأجنبية بتزويدها بكل ما لديها من مستمسكات ووثائق وأدلة ليتسنى لها محاسبة المفسدين".

وأضاف "بخلافه، فإن الحكومة ملزمة بمقاضاة الصحيفة على التشهير بموظفي الخدمة العامة والشخصيات التي خدمت العراق".

6 وزراء صدريين في الحكومة العراقية الجديدة من أصل 14 وزيرا

حكومة تكنوقراط العبادي إيرانية أيضا
إبراهيم الزبيدي
ص 5

ميشال سليمان: لا يريدون رئيسا يدافع عن لبنان

❑ **بيروت** – أكد الرئيس اللبناني السابق ميشال سليمان أنه حين غادر الرئاسة كان يتوقع أن هذه الخطوة ستسبب صدمة في المشهد اللبناني تقود لانتخاب خليفة له.

وقال سليمان في مقابلة مع "العرب" (ص6) إن اللاعبين (دون أن يحدد من هم) لا يريدون رئيساً في ظل التدخل في سوريا"، مضيفا أنهم "لا يريدون رئيساً يتكلم باسم مصالح لبنان على طاولة المفاوضات السورية السورية في جنيف".

وحث على تجاوز حالة الفراغ في مؤسسة الرئاسة، قائلا "أنا أفضل انتخاب رئيس بالنصف زائد واحدا من عدم انتخاب رئيس".

ولا يعزل أزمة تعطيل المؤسسات في لبنان عن الصراعات الإقليمية، وخاصة الحرب السورية. ودون أن يشير إلى دور حزب الله، فإنه أكد أن "الخطر أن تتدهور مؤسساتنا من خلال هذا الشغور، لذلك علينا التمسك بعقدنا الاجتماعي وتحصينه، وتحصين لبنان هو بتحييده عن الصراعات".

ويعارض سليمان أي تغيير في اتفاق الطائف (1989) أو مطالبة بإلغائه والدعوة إلى مؤتمر تأسيسي، كما يطالب بذلك حزب الله، معتبرا أن "الطائف هو عقد اجتماعي جيد حافظ على لبنان في أصعب فترة في تاريخه، وحافظ عليه رغم الانهيار السوري".

وحث على تحصين الاتفاق من خلال تفسيرات تكمل تطبيقه، لا سيما إلغاء الطائفية السياسية".

و ذهب ميشال سليمان أبعد في انتقاده لما طرح في السنوات الأخيرة حين قال "عندما يطالبون بالقانون الأرثوذكسي يبتعدون عن المناصفة، وهؤلاء الذين يتحدثون عن الحفاظ عن الوجود المسيحي هم يبتعدون، بذلك، عن حماية هذا الوجود".

وهو ما يعني رفض القانون الذي طالبت به التيارات المسيحية الكبرى، والتي دعت إلى انتخاب كل طائفة لنوابها بزعم تخليصها من هيمنة أصوات الطوائف الأخرى.

ودعا إلى إنتاج "قانون انتخابي يُبعد الاختيار الطائفي"، مضيفا "صحيح أننا نحترم اختيار فلان على أساس مذهبي، لكن يجب أن يكون الخيار على أساس وطني وعلى أساس الكفاءة أيضاً".

وعبّر عن خشيته من مآلات الوضع في سوريا خاصة من نشوء كانتون مذهبي على الحدود اللبنانية، معتبرا أن "أفضل شيء لنا في سوريا هي وحدة سوريا مع إمكانية إنشاء لامركزية إدارية على أساس المحافظات الحالية بصيغة موسعة".

• ميشال سليمان لـ«العرب»: نعم لتقارب عون وجعجع، لكني ضد التحالفات الطائفية ص6

بعض مسيحيي لبنان وعقدة التوطين
خيرالله خيرالله
ص 5

حكومة السراج في قبضة تركيا وإخوان ليبيا

❑ **طرابلس** – لا يخفي رفض بعض الميليشيات المسلحة حقيقة وجود حكومة الوفاق الوطني في ليبيا، تفاهمات سرية بين الأطراف الفاعلة في العاصمة الليبية وبين جهات خارجية على تسهيل وصولها، ووضع الحكومة الجديدة تحت وصاية جماعة مصراتة وإخوان ليبيا المدعومين من تركيا.

وقال مراقبون إن السعي إلى تصوير عملية دخول الحكومة، بقيادة فايز السراج، وكأنها انتصار سياسي ودليل قوة لدى حكومة التوافقات الخارجية هدفه إبعاد الأنظار عن حقيقة ما يجري من تفاهمات بين الميليشيات الإسلامية المختلفة ودوائر خارجية، في مدينة إسطنبول وبرعاية تركية.

وقابلت الدول الغربية المتحمسة لبدء عمل حكومة السراج تأخر موافقة البرلمان المعترف به دوليا (برلمان طبرق) على حكومة التوافق بخطوة تبدو مفاجئة في ظاهرها من خلال الزج برئيس وزراء غير مسنود بأيّ ميليشيا في غابة من الميليشيات، لكن الأمر يبدو مختلفا.

وينص الاتفاق السياسي على أن "مدة ولاية حكومة الوفاق عام واحد يبدأ من تاريخ نيلها الثقة من مجلس النواب"، لكن من الواضح أن الدول الراعية للانتقال السياسي في ليبيا تدفع إلى أن يتم اعتماد هذه الحكومة من خلال سياسة الأمر الواقع وافق البرلمان أم لم يوافق.

وأثارت الرواية التي قدمها المقربون من رئيس الحكومة عن كيفية دخوله إلى طرابلس سخرية نشطاء ليبيين، متسائلين كيف يمكن لمجموعة صغيرة من عناصر البحرية أن يحموا حكومة في مدينة مليئة بالميليشيات لو لم يكن هناك ترتيب مسبق مع أطراف نافذة ومؤثرة وقادرة على الحماية.

وأشار المراقبون إلى أنه وفي ظل انقطاع الصلة سياسيا وجغرافيا ببرلمان طبرق، وبالجيش الذي يقوده الفريق أول خليفة حفتر، ستجد الحكومة نفسها في حماية جماعة مصراتة، وسيكون الأمن والجيش ومختلف الميليشيات تحت أيديها.

وحذّروا من أن احتكار مصراتة وحلفائها في طرابلس لمؤسسات الدولة سيقود إلى تقسيم ليبيا فعليا، فضلا عن وضع البلاد على سكة الحرب الأهلية بدل وضع أسس لحل سياسي دائم.

وتسمح الوضعية الجديدة في طرابلس للميليشيات، وبتخطيط من الجهات الداعمة، أن تعود إلى الحكم وتحت يافطة التوافق وبرعاية دولية.

ولفت المراقبون إلى أن الميليشيات حصلت على وعود بإشراكها في المشهد الأمني والعسكري، وتمكين الأطراف التي تدعمها بدور في المشهد المقبل.

واجتمع الموفد الأممي إلى ليبيا مارتن كوبلر مساء الأربعاء في مدينة إسطنبول التركية، مع بعض قادة الميليشيات والأحزاب السياسية الليبية، بهدف توفير حزام سياسي وأمني لحكومة السراج.

وسرعان ما اختفت التهديدات التي أطلقتها الميليشيات ضد السراج وعناصر حكومته، واختفت آخر الأصوات المعارضة حين أعلن خليفة الغويل رئيس الحكومة المنبثقة عن المؤتمر الوطني المنتهية ولايته عن تسليم السلطة لحكومة الوفاق، بعد أن كان هدد باعتقال السراج وفريقه الحكومي.

وأعلن الغويل الجمعة أنه ترك الفرصة لمن أسماهم بـ"أبناء الوطن الخيرين" والثوار والأعيان والعلماء ومؤسسات المجتمع المدني لإيجاد مخرج من الأزمة التي تمرّ بها البلاد.

وليس مستبعدا أن يكون هدف هذه الخطوة الاستفادة من رفع العقوبات الأوروبية التي فرضت عليه مع رئيس المؤتمر المنتهية ولايته نوري أبوسهمين، ورئيس البرلمان عقيلة صالح.

وكان الاتحاد الأوروبي لمّح إلى إمكانية مراجعة العقوبات إذا التزمت الأطراف المعنية بعدم تعطيل عمل حكومة الوفاق الوطني.

واعتبر المراقبون أن ظهور السراج والمحيطين به في شوارع طرابلس الجمعة تأكيد على أن الميليشيات المسيطرة على طرابلس تحميه في سياق توافق يضمن لها دورا فعالا في المرحلة القادمة.

وأدى السراج وأعضاء آخرون من المجلس الرئاسي الصلاة بأحد المساجد والتقوا بالناس في الميدان الرئيسي قبل العودة إلى القاعدة البحرية التي يتمركزون بها منذ وصولهم من تونس يوم الأربعاء.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

استمرار تآكل شعبية الإسلاميين في تونس

حركة النهضة تفشل في ترميم الفجوة التي خلفتها فترة حكمها للبلاد

لم يشفع لحركة النهضة الإسلامية ابتعادها عن واجهة الحكم لتحسين صورتها أمام الرأي العام التونسي، فثقة التونسيين في الحركة تتدهور يوما بعد يوم، وهناك رأي سائد بأن سياساتها ساهمت بشكل غير مباشر في استباحة المجموعات الإرهابية للساحة التونسية.

الثقة معدومة

91 بالمئة من التونسيين يثقون بالمؤسسة العسكرية بعد النجاحات التي حققتها في مواجهة الإرهاب

□ **تونس** – عكست نتائج أحدث استطلاع للرأي في تونس استمرار تآكل شعبية حركة النهضة الإسلامية، رغم محاولاتها الحثيثة ترميم الفجوة التي أحدثتها فترة حكمها للبلاد بينها وبين الشعب التونسي.

وأظهرت نتائج الاستطلاع الذي أجرته مؤسسة "سيغما كونساي" في شهر مارس الماضي أن نسبة ثقة التونسيين في رئيسها راشد الغنوشي لا تتجاوز 11 بالمئة فيما عبر 54 بالمئة من العينة المستطلعة آراؤها عن ثقتهم بالرئيس الباجي قائد السبسي، مقابل 68 بالمئة بالنسبة إلى رئيس الحكومة الحبيب الصيد.

وتؤشر النسبة التي تحصّل عليها راشد الغنوشي، الذي يسيطر على مفاصل القرار في الحركة، إلى تزايد عدم ثقة الشعب التونسي فيها.

وكانت الحركة تأمل بابتعادها عن واجهة الحكم في تونس، في إعادة بناء الثقة مع المواطن، عبر استغلالها زلات حزب نداء تونس الحاكم.

وتشارك حركة النهضة الإسلامية في الائتلاف الحاكم الحالي ولكنها تعمل على عدم الظهور في صورة المتحكم بالمشهد، رغم تحولها إلى صاحبة الأغلبية في البرلمان بعد الانشقاقات التي عصفت بنداء تونس.

ويرجع محللون هذا التوجه للنهضة إلى خشيتها من تحمّل وزر الأزمات الاقتصادية والسياسية وحتى الأمنية بالبلاد.

ولكن يبدو أن ذلك لم يشفع لها حيث أن هناك اعتقادا متزايدا بأن الوضعية التي تشهدها البلاد خاصة على المستوى الأمني هو نتاج حكمها، وذلك عندما فسحت المجال أمام "المتشددين"، للسيطرة على المساجد، فضلا عن اتهامات لها بغض الطرف عن الجمعيات التي تكاثرت بشكل كبير في عهدها ولعب العديد منها دورا في نشر التطرف، كما أن بعضها متورط في تسفير المئات من الشباب التونسي إلى بؤر التوتر (ليبيا وسوريا).

ويلاحظ أنه مع كل عملية إرهابية تحصل في البلاد، وآخرها على مدينة بنقردان الحدودية مع ليبيا، يستذكر رواد مواقع التواصل الاجتماعي والسياسيون تصريحات سابقة لرئيس حركة النهضة راشد الغنوشي يقول فيها معلقا على السلفيين الجهاديين إنهم يذكرونه بشبابه.

ونفى الغنوشي مرارا أيّ صلة لحركته بالإرهاب والتطرف والعنف، لكن خصومه يعتقدون أن جماعات الإسلام السياسي ينهلون من نفس الوعاء الأيديولوجي القائم على العنف والإرهاب.

وحظي القيادي في حركة النهضة عبدالفتاح مورو في الاستطلاع الأخير بثقة نحو 40 بالمئة، ويفسر محللون سياسيون ذلك بأن اتجاهات الرأي العام ربما تأخذ في اعتبارها الخصائص المرتبطة بشخصيته حيث يعد أكثر قيادات الحركة انفتاحا وأيضا أكثرهم تفاعلا مع الفاعلين السياسيين العلمانيين.

ووجه مورو في أكثر من مناسبة انتقادات لاذعة لطريقة إدارة الغنوشي للنهضة حتى أنه لم يتردد في القول إنه "يدير شؤون الحركة كما لو أنها شركة عائلية" في إشارة ضمنية إلى نفوذه السياسي والتنظيمي.

وتستعد حركة النهضة لعقد مؤتمرها العام الذي سيطرح بحسب تصريحات قيادات من الحركة الإسلامية مراجعة لمرجعيّاتها وتغيير اسمها وفصل نشاطها الدعوي عن نشاطها السياسي لتتحول إلى حزب سياسي مدني، في محاولة جديدة منها لتغيير الصورة المترسخة عنها في أذهان جزء كبير من التونسيين.

وفي سياق التطرق إلى سبر الآراء الأخير كشفت الأرقام عن تزايد ثقة التونسيين بالمؤسستين الأمنية والعسكرية، وذلك بفضل النجاحات التي تحققت في مواجهة الجماعات الإرهابية وآخرها عملية التصدي لمجموعة تنتمي لتنظيم الدولة الإسلامية أرادت السيطرة على منشآت حيوية في مدينة بنقردان الحدودية.

وبحسب نتائج استطلاع الرأي بلغت نسبة ثقة التونسيين في المؤسسة العسكرية نحو 91 بالمئة والمؤسسة الأمنية 57 بالمئة، ولا تتعدى ثقة التونسيين بالأحزاب السياسية نسبة الـ3.8 بالمئة.

وهناك رأي عام في تونس يرى أن المؤسستين الأمنية والعسكرية الوحيدتين اللتين صمدتا رغم العواصف السياسية وتعاقب الحكومات في ست سنوات (6 حكومات)، ولكن تبقى هناك ثغرات لا بد من تلافيها لتحصين البلاد من التهديدات القادمة خاصة من الجارة ليبيا.

وحذرت وزارة الخارجية الأميركية الجمعة المواطنين الأميركيين من السفر إلى جنوب شرق تونس قرب الحدود الليبية لأن جماعات مرتبطة بتنظيم الدولة الإسلامية تستهدف قوات الأمن والمواقع السياحية التونسية في المنطقة.

ويدعو التحذير المواطنين الأميركيين إلى تجنّب السفر قرب الحدود الليبية أو مناطق غرب تونس الجبلية وتوخّي الحذر في كل الأماكن التي يرتادها سائحون في تونس.

وقالت وزارة الخارجية الأميركية "يجب على المسافرين الذين يفكرون في الذهاب إلى مناطق داخل تونس تقييم الأوضاع والطرق المحلية عندما يضعون خطط السفر، "ولا بد بشكل خاص من التنسيق مسبقا مع السلطات التونسية بشأن كل عمليات السفر جنوبا إلى المنطقة العسكرية المحددة في الجنوب ".

ويعد هذا التحذير أكثر جدية من تحذير السفر الذي صدر قبل شهر.

وقُتل عشرات الأجانب في هجومين كبيرين شنهما إسلاميون متشددون في تونس العام الماضي.

وفي 22 مارس 2016 جدد الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي حالة الطوارئ في تونس والتي فُرضت على البلاد بعد الهجمات التي وقعت العام الماضي ومددها حتى 22 يونيو.

استنفار في المغرب لدحر أي تهديدات إرهابية

فاطمة الزهراء كريم الله

□ **الرباط** – يبذل المغرب جهودا كبيرة في التصدي للتهديدات الإرهابية وكل أشكال الجريمة المنظمة.

ورفعت الأجهزة الأمنية المغربية من درجة تأهبها بعدما استهدفت هذه الأجهزة تجّار الأسلحة النارية.

وأصدرت "المديرية العامة للأمن الوطني" و"القيادة العليا للدرك الملكي"، تعليماتهما إلى مصالح الاستعلامات العامة في كافة أقاليم ومحافظات المملكة، من أجل العمل على إلزام جميع الحاصلين على رخص حمل السلاح بتقديم نموذجين من الخراطيش المستعملة انطلاقا من أسلحتهم النارية إلى المصالح المختصة لإحالتها على القسم البلاستيكي للتحليل، التابع للأمن، بغية إنشاء بنك معلومات يضم معطيات دقيقة عن أصحاب الرخص ونوعية الخراطيش.

وحسب ما أفادت به بعض المصادر، فإن تجار الأسلحة النارية تلقوا تعليمات صارمة بضبط هويات مقتني الأسلحة وذخيرتها، في سجلات خاصة والتنسيق مع المصالح المختصة في الإخبار عن العمليات التجارية باستمرار.

وحول الجهود التي تبذلها الأجهزة المغربية لمواجهة المخاطر الإرهابية المحدقة بالمملكة، قال هشام باري المسؤول الأمني في الفرقة الوطنية لمكافحة الجريمة المنظمة التابعة للمكتب المركزي للأبحاث القضائية لـ"العرب" إن "حالة التأهب القصوى التي تعيشها المملكة، جاءت بتعليمات ملكية في إطار تعزيز الحكامة الأمنية لمواجهة الجريمة المنظمة والإرهاب من جهة، وحفظ أمن وسلامة المواطنين من جهة ثانية".

وأضاف باري أنه "بفضل العمليات الاستباقية التي عرفت بها الأجهزة الأمنية، تمكّن المكتب المركزي للأبحاث القضائية، ما بين سنة 2015 و2016 من إحباط أكثر من 27 خلية وتقديم 275 شخصا من ذوي الجنسيات العائدين من بؤر التوتر ولهم ارتباط مباشر بداعش للمحاكمة".

وأكد المسؤول الأمني، على أنه بفضل القوانين الصارمة، والسياسة الأمنية استطاعت المملكة إلى حد الآن، حماية أراضيها من عمليات إرهابية، وتمكنت البلاد من تحصين نفسها من تهديدات داعش.

وأشار هشام باري، إلى أن المغرب حظي بثقة دولية وإقليمية في مكافحة الجريمة المنظمة والإرهاب، وأصبحت المملكة مثالا يحتذى به في مجال مكافحة ظاهرة الإرهاب، بالنسبة إلى الدول الأوروبية، حيث أصبح له تعاون كبير مع فرنسا وأسبانيا.

وتوجد المملكة المغربية في الصفّ الأول في مواجهة الإرهاب على المستوى الدولي، من خلال سياستها الاستباقية، ومن خلال إعطاء معلومات استخباراتية قيمة جنبت العديد من الدول الأوروبية ضربات إرهابية.

فوضى مالي وأحداث «الربيع العربي» تهجران الآلاف إلى الجزائر

□ **الجزائر** – تحوّلت الجزائر إلى قبلة لجوء من دولتين عربيتين هما ليبيا وسوريا وثالثة أفريقية مجاورة هي مالي، حيث قدّرت خلية أنشئت للتكفل باللاجئين العرب والأجانب في الجزائر وجود ما لا يقل عن 30 ألف لاجئ دخلوا البلاد من هذه البلدان.

وهناك صعوبة كبيرة في تحديد الأرقام بدقة خاصة وأن معظم اللاجئين دخلوا البلاد عبر المسالك غير الشرعية، وخاصة منهم الماليين.

وقال بن علوي محي الدين، عضو الجمعية الأفريقية لرعاية شؤون اللاجئين (غير حكومية) والمسؤول السابق في وزارة التضامن الجزائرية إن "الجمعية أحصت وجود أكثر من 30 ألف لاجئ من 3 دول في الجزائر، أغلبهم فرّ من بلده بسبب الحروب الأهلية".

وأضاف محي الدين أن "لجنة مختصة مكوّنة من وزارات الداخلية والخارجية والتضامن، وجمعية الهلال الأحمر الجزائري، أحصت وجود أكثر من 30 ألف لاجئ أجنبي في الجزائر نصفهم تقريبا من دولة مالي أما البقية فهم من سوريا وليبيا".

وتشهد مالي تواترا للعمليات الإرهابية في ظل عجز السلطات هناك على بسط سيطرتها على أراضيها رغم الدعم الأوروبي وأساسا الفرنسي.

> الآلاف من الفارين من الحرب التي شهدتها منطقة شمال مالي في عامي 2012 و2013 (بعد تدخل فرنسا عسكرياً ضد جماعات إرهابية في الشمال) لم تتمكن السلطات من تسجيلهم

وكانت البلاد قد شهدت في العامين 2012 و2013 حربا بين القوات الحكومية مسنودة من قبل فرنسا ومجموعات إرهابية مدعومة من بعض الحركات الأزوادية التي تطالب بانفصال شمال البلاد.

وقال غواتي عبدالباسط، عضو لجنة الإغاثة التي تشكلت للتكفل باللاجئين الفارين من دولة مالي (لجنة أهلية غير حكومية تتعاون مع السلطات في كلا البلدين)، إن "العدد الحقيقي للاجئين الفارين إلى الجزائر غير دقيق".

وأوضح غواتي "هناك الآلاف من الفارين من الحرب التي شهدتها منطقة شمال مالي في عامي 2012 و2013 (بعد تدخل فرنسا عسكرياً ضد جماعات إرهابية في الشمال) لم تتمكن السلطات من تسجيلهم في سجلات رسمية، والسبب هو أنهم تسللوا عبر الحدود البرية الطويلة بين الجزائر ومالي، وهو ما يعني أن العدد الحقيقي أكبر بكثير من العدد المسجل لدى السلطات".

من جهته قال عدّاس خليفة، مواطن سوري وعضو رابطة اللاجئين السوريين في بلدان شمال أفريقيا إن "عدد اللاجئين السوريين في الجزائر يتغيّر باستمرار من شهر لآخر"، مشيراً إلى أن آخر إحصائية رسمية للسلطات في البلاد أجريت في شهر أبريل 2015 أكدت وجود 7 آلاف لاجئ سوري لديها".

ولفت خليفة إلى أن "الدخول إلى الجزائر بالنسبة إلى السوريين ظل حتى عام 2015 دون تأشيرة مسبقة، قبل أن تضطر السلطات لفرض تأشيرة في العام نفسه، بسبب تطورات الأزمة السورية التي اندلعت عام 2011.

ورأى خليفة أن "الظروف الخاصة في سوريا فرضت على السلطات الجزائرية إخضاع اللاجئين القادمين من هناك لإشراف أمني، للتأكد من عدم وجود متسللين ينتمون لجماعات متطرفة ضمنهم".

وكانت منظمات حقوقية قد وجهت في أكثر من مرة انتقادات للسلطات الجزائرية على خلفية ترحيلها للعشرات من اللاجئين السوريين.

ويتركز اللاجئون السوريون في 22 مدينة جزائرية، إلا أن الغالبية العظمى منهم موجودة في مدن كبرى مثل عنابة (شرق)، ووهران (غرب)، والعاصمة الجزائر.

أما قروي خالد، رجل الأعمال الليبي وأحد ممثلي الجالية الليبية في الجزائر، فاعتبر أن الغالبية العظمى من لاجئي بلاده المقيمين حالياً في الجزائر "تربطهم صلة قرابة مع أسر جزائرية، لا سيما وأن الشعبين تربطهما صلة قرابة ومصاهرة".

وأردف قروي قائلا "أثناء الحرب الأهلية في ليبيا بعد ثورة 2011، لجأ قرابة 5 آلاف مواطن ليبي إلى الجزائر، الغالبية العظمى منهم يقيمون لدى أقاربهم الجزائريين، كما لجأت إلى البلاد المئات من الأسر المختلطة التي يكون فيها الأب ليبيا والأم جزائرية أو العكس إلى الجزائر".

وتشهد ليبيا انفلاتا أمنيا كبيرا دفع الآلاف من المدنيين إلى اللجوء إلى دول الجوار، ويأمل الليبيون أن تتمكن الجهود الأممية من تحقيق الاستقرار لبلدهم، وإن كانت هناك مؤشرات تقول إن الأمر مازال بعيد المنال في ظل غياب التوافق السياسي.

وتستمر المعاناة

الحوثيون يصعدون عسكريا قبل محادثات السلام في الكويت

الهدنة على الحدود السعودية اليمنية تترنح

يحاول المتمردون الحوثيون تحسين وضعهم التفاوضي في محادثات السلام في الكويت والتي لم يعد يفصل عنها سوى أيام قليلة، من خلال تحقيق بعض النجاحات الميدانية خاصة على جبهة تعز.

أجواء التفاؤل تنحسر

□ **صنعاء** – استعاد المتمرّدون الحوثيون، السبت، السيطرة على أجزاء من مديرية الوازعية، التابعة لمحافظة تعز، غربي اليمن، بعد معارك عنيفة مع الجيش اليمني والمقاومة الشعبية.

يأتي ذلك في وقت تواترت فيه أنباء عن انهيار الهدنة على الحدود السعودية اليمنية، على خلفية الخروقات المستمرة من طرف الحوثيين وقوات الرئيس السابق علي عبدالله صالح.

وقال مصدر في المقاومة الشعبية، إن "معارك دامية شهدتها مديرية الوازعية، القريبة من مضيق باب المندب الاستراتيجي، والمحاذية للحدود الجنوبية الممتدة إلى محافظتي لحج وعدن جنوبي البلاد، أسفرت عن تقدم الحوثيين إلى الشقيرا، مركز المديرية، وعدد من القرى والسلاسل الجبلية، وذلك بعد دحرهم منها في نوفمبر الماضي".

ووفقا للمصدر، فقد تعرّضت مواقع لوحدات من الجيش والمقاومة خلال الساعات الماضية لهجوم غير مسبوق، من قبل الحوثيين الذين يتفوقون بالعتاد الثقيل، وأن مناشدات أطلقت لقيادة الجيش الوطني، في المنطقة الرابعة التي تتخذ من عدن مقرًا لها من أجل إمدادهما بالسلاح الثقيل.

وأكد أن انسحاب وحدات الجيش والمقاومة من بعض مناطق المديرية، جاء بسبب نقص الذخيرة لديها، والغطاء الناري المكثف للحوثيين الذي استخدموا فيه صواريخ كاتيوشا ودبابات.

وتسببت المعارك التي دارت حتى منتصف ظهر السبت، بموجة نزوح للسكان المحليين، الذي توجهوا إلى مناطق ساحلية على البحر الأحمر، بعيدة عن مواقع القتال الذي أسفر عن مقتل وإصابة العشرات من الطرفين.

وأعلنت قناة المسيرة التابعة للحوثيين، السبت، السيطرة على مركز الوازعية والملعب وقرى حنة والشيخ وعدد من التلال التي كان يتمركز فيها الجيش وعناصر المقاومة.

> السيطرة على الوازعية، تشكل تهديدا خطيرا على مضيق باب المندب الاستراتيجي، الذي يسعى الحوثيون لاستعادته مع مديرية ذوباب

وفي حال تمكن الحوثيين من بسط سيطرتهم الكاملة على مديرية الوازعية القريبة من سواحل البحر الأحمر، ستعود المحافظات الجنوبية من جديد، تحت مرمى نيرانهم، كما سيقطعون إمداد القوات الشرعية في محافظة تعزّ من اتجاه مديرية الشمايتين، وفقًا لمصادر محلية.

وذكرت المصادر، أن السيطرة على الوازعية، تشكل تهديدا خطيرا على مضيق باب المندب الاستراتيجي، الذي يسعى الحوثيون لاستعادته مع مديرية ذوباب وذلك بعد أن دحرتهم القوات الشرعية منه في أكتوبر الماضي . ولا يقف تصعيد الحوثيين، عند هذه الجبهة، حيث تواترت الأنباء في الساعات الماضية عن انهيار الهدنة على الشريط الحدودي السعودي اليمني وتحديدا في منطقة جازان بسبب خروقات المتمردين المدعومين من قبل قوات علي عبدالله صالح.

ويفسّر محللون هذا التصعيد الحوثي، بالسعي لتحسين وضعهم التفاوضي في محادثات السلام المرتقبة في الكويت.

ويستبعد المحللون أن يكون الهدف من التصعيد نسف العملية السياسية برمّتها، لأنّ المتمردين يدركون أنهم لا يملكون أفق الاستمرار في القتال، في ظل الخسائر الكبيرة التي تكبدوها على مرّ الأشهر الأخيرة في عدّة جبهات.

وقال محمد عبدالسلام، الناطق باسم جماعة الحوثي، إن إجراء الحوار بعد تثبيت وقف إطلاق النار، أمر مقبول لدى الجميع، في إشارة لاستئناف المفاوضات بين جماعته والرئيس السابق علي عبدالله صالح من جهة، والحكومة اليمنية من جهة أخرى، في دولة الكويت، اعتبارًا من 18 أبريل الجاري.

وأوضح عبدالسلام، السبت، في تصريح مقتضب لموقع "المسيرة نت"، التابع للجماعة، أن "الحوار بلا شروط مسبقة، أو بمحددات متفق عليها، وبعد تثبيت وقف إطلاق النار في الموعد المتفق عليه، أمر مقبول من الجميع .

ويوم 23 مارس الماضي، أعلن مبعوث الأمم المتحدة إلى اليمن، إسماعيل ولد الشيخ أحمد، أن أطراف الصراع اليمني، وافقت على وقف "الأعمال العدائية" في البلاد، اعتباراً من منتصف ليل 10 من شهر أبريل الجاري، على أن تبدأ جولة مفاوضات مباشرة بين الأطراف في 18 من الشهر ذاته، في الكويت.

وأوضح ولد الشيخ، أن المفاوضات المرتقبة "ستركز على خمس نقاط أساسية، هي: الانسحاب، وتسليم السلاح، والترتيبات الأمنية، والحل السياسي، وإنشاء لجنة لإطلاق سراح السجناء والأسرى.

وكانت الأمم المتحدة قد رعت جولتين من المفاوضات، في مدينتي جنيف وبال بسويسرا، خلال الأشهر الماضية، دون التوصل إلى اتفاق لحل الأزمة.

ومنذ 26 مارس من العام الماضي يواصل التحالف العربي بقيادة المملكة العربية السعودية، قصف مواقع تابعة للحوثيين، والقوات الموالية لعبدالله صالح، ضمن عملية أسماها "عاصفة الحزم"، استجابة لطلب الرئيس عبدربه منصور هادي، قبل أن يعقبها في 21 أبريل بعملية أخرى أطلق عليها اسم "إعادة الأمل"، قال إن من أهدافها شقا سياسيا يتعلق باستئناف العملية السياسية في اليمن، إلى جانب العمليات العسكرية.

واشنطن تكثف وجودها في سوريا

□ **دمشق** – أعلن مسؤول أميركي كبير السبت، أن الإدارة الأميركية تنوي زيادة عدد جنودها من القوات الخاصة الموجودين في سوريا، والذين يبلغ عددهم حاليا نحو خمسين جنديا.

وستكون مهمة الجنود الإضافيين في حال إرسالهم مشابهة للمهمة التي يقوم بها الجنود الموجودون حاليا على الأراضي السورية منذ الخريف الماضي.

وقال المسؤول الأميركي في هذا الصدد "سنقوم بمزيد مما نقوم به أصلا حتى الآن".

ويتولى الجنود الأميركيون من القوات الخاصة الموجودون على الأراضي السورية حاليا دور المنسقين بين قوات التحالف والمجموعات المعارضة المسلحة التي تقاتل تنظيم الدولة الإسلامية في شمال شرق سوريا.

كما يقدمون المشورة لهذه الفصائل ومعظمها كردية (وحدات حماية الشعب) من دون أن يشاركوا فعليا في المعارك، مع أن مكان وجودهم غير بعيد من مناطق القتال.

ونهاية فبراير قام بعض هؤلاء بتحديد الأهداف لطائرات التحالف الدولي خلال قصفها مواقع تنظيم الدولة الإسلامية تمهيدا لاستعادة مدينة الشدادي.

وتمكنت قوات سوريا الديموقراطية التي تقودها وحدات حماية الشعب الكردية، من انتزاع هذه المدينة من مقاتلي تنظيم داعش.

وكان الجنرال جو دانفورد رئيس أركان الجيوش الأميركية أعلن أخيرا أن البيت الأبيض ووزارة الدفاع يناقشان احتمال تعزيز الدعم العسكري الأميركي للقوات العراقية. وينتشر حاليا نحو 3900 جندي أميركي في العراق.

وأعلنت روسيا من جهتها الأسبوع الماضي أنها نشرت قوات خاصة في سوريا لمساعدة قوات النظام. وأوضحت موسكو أن مهمة هذه القوات هي تحديد الأهداف للطائرات الروسية والقيام بـ"مهمات خاصة أخرى".

وهناك أنباء تدور عن اتفاق روسي أميركي لدحر تنظيم الدولة الإسلامية في معاقله الرئيسية في الرقة ودير الزور وحلب، بالتزامن مع ذات الهدف في العراق.

وتفيد الأنباء بأن استعادة الجيش السوري لمدينة تدمر الأثرية في ريف حمص بدعم روسي مؤثر يندرج ضمن هذا الاتفاق.

ولا يستبعد متابعون أن يكون استعداد الوحدات الكردية للقيام بعملية كبري في مناطق سيطرة التنظيم في ريف حلب ضمن إطار التنسيق الأميركي الروسي.

وتم الاتفاق على وقف لإطلاق النار في سوريا في نهاية فبراير تحت إشراف روسيا والولايات المتحدة. إلا أن وقف النار لا يشمل مناطق سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة.

المئات من العراقيين يعودون أدراجهم بعد تلاشي بريق أوروبا

□ **بغداد** – يعود المئات من العراقيين كل شهر إلى وطنهم بعد المخاطرة بكل شيء لمغادرته من أجل حلم الوصول إلى أوروبا العام الماضي.

ويشعر العديد منهم باليأس خصوصا بعد أن صرفوا مدخراتهم على المهرّبين، لكن الشعور بالندم على محاولة الهجرة لا يطال الجميع.

ويقول مرتضى حميد، من بلدة العزيزية التي غادرها العام الماضي ليلتحق بالمهاجرين الذين تحدوا المعابر البحرية المحفوفة بالخطر لدخول أوروبا، إن حياته شبيهة بفيلم سينمائي.

ويضيف الشاب العراقي "ما هو اسم هذا الفيلم؟ يوم الجرذان أليس كذلك ؟ كل يوم هو ذاته، هنا لا شيء يتغير".

ويوضح "نستيقظ صباحا لنرى الشوارع لا تزال عبارة عن فوضى وخنادق بسبب الإهمال (...) ولا أحد يجد عملا".

وتبعد البلدة التي يقطنها حوالي 100 ألف نسمة 75 كلم جنوب شرق بغداد في محافظة واسط، والشوارع المعبدة قليلة لكنها تتحول إلى برك مياه في الشتاء وتغطيها غيمة من الغبار صيفا.

وتعتبر العزيزية مثالا حيا للفساد والمحسوبية وعدم الكفاءة حيث انقضت الأعوام التي كانت فيها أسعار النفط مرتفعة دون أن يلمس العديد من العراقيين منافع ذلك.

وانتهى المطاف بمرتضى (26 عاما) صاحب الابتسامة الحزينة في بافاريا الألمانية، حيث يتذكر كيف صعقته مشاهد المباني الجميلة والشوارع النظيفة والحدائق.

ويتحدث الشاب الذي عاد إلى الجامعة عن أوقاته في ألمانيا كمن قضى عطلة لكن بمستوى أقلّ من المعتاد.

ويستذكر الأيام التي قضاها في المدينة الألمانية قائلا "كانت لديّ صديقة من البوسنة، كان الأمر ممتعا لفترة من الزمن". لكن شقيقه مصطفى كان يشعر بمرارة أكبر. ويقول هذا الشاب (29 عاما) خريج قسم الكيمياء "صرفت كل نقودي، والطعام الذي كان يقدم لنا غير صالح".

ويضيف "كل شيء مرتفع الثمن هناك، فسعر علبة سجائر رخيصة يبلغ 6.88 يورو، ما أرغمني على تدخين السجائر الملفوفة".

وحلم مصطفى بأن يتعلم اللغة ويتلقى تدريبا على مهنة ما، لكن بعد عودته إلى بلاده بات يشعر بأنه لم يكن موضع ترحيب على الإطلاق في ألمانيا.

ويوضح "كان الوضع مخيفا في الليل، تشعر بالخوف بشكل مستمر من التعرض للضرب من قبل النازيين الذين لا يحبون اللاجئين".

وكان مصطفى في مدينة كولونيا التي شهدت موجة من الاعتداءات الجنسية واتهم لاجئون بالوقوف وراءها ما أثار توترا على مستوى الدولة التي استقبلت أكثر من مليون طالب لجوء العام الماضي.

ويضيف "كان علينا التحرك على شكل مجموعات".

وقد فر بعض العراقيين من مناطقهم التي تشهد حروبا واضطهادا أو سكنوا مخيمات بائسة عام 2015 لكن مصطفى ومرتضى وغيرهم هربوا من البطالة وانسداد الأفاق.

وأظهرت دراسة حول تدفق اللاجئين من العراق أجرتها منظمة الهجرة الدولية أن "اليأس من المستقبل" كان السبب الرئيسي في مغادرة ثمانين بالمئة منهم.

ووجدت المنظمة أيضا أن 41 بالمئة منهم لديهم شهادة جامعية و53 بالمئة كانوا عاطلين عن العمل.

وساعدت المنظمة حوالى 3500 لاجئ عراقي للعودة إلى وطنهم العام الماضي كجزء من "برنامج العودة الطوعية" والأرقام لا تزال تشهد ارتفاعا.

وبحسب متحدثة باسم المنظمة وهي ساندرا بلاك، فإن عدد العائدين بلغ 800 في يناير وألفا في فبراير.

ويحصل العائدون على تذكرة طائرة وأحيانا مساعدة في المطار ومصاريف العودة. كما أنهم يحصلون في بعض الأحيان على مساعدة إعادة اندماج تموّلها الدولة التي يعودون إليها.

ويبقى الوطن هو الملاذ

وأوضحت بلاك أن المنظمة يمكنها تقديم مساعدة للبدء في عمل بسيط، مضيفة "مهما كانت مهنته، يقوم الشخص بجلب أوراق العمل لنا، ونقوم بشراء الأدوات لمساعدتهم على بدء مشروعهم الصغير".

أما حسن باصي الذي لم يجلب معه أيّ تذكار لدى عودته من نورمبرغ، حيث قضى أربعة أشهر ينتظر الحصول على اللجوء، فيقول إنه تعلم أشياء يحتفظ بها لنفسه. ويضيف بأسى واضح بينما كان في منزله في العزيزية "حلمي كان الحصول على إقامة وعمل لتحسين أوضاعي (...) الشهر الأول بدا كل شيء جميل، واعتقدت أني قد حققت حلمي". ويتابع "لكن في النهاية، لم أستطع تناول أيّ طعام طوال شهر وهنا بدأت أفكر بالعود إلى بلدي".

ويختم حسن حديثه قائلا "في نهاية المطاف استنتجت أنه مهما حققت هناك، فسأبقى غريبا، لكن هنا على الأقل فإنني محاط بأهلي وأصدقائي، ويمكنني أن أحاول بناء حياة جديدة".

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

السعودية تحتاج إلى طاقم من المستشارين لشرح توجهاتها الجديدة

الأردن ينفي تسريبات تسيء لعلاقته بالسعودية.. فمن يتصيد صنع الأزمات بين الرياض وحلفائها

يضاف الكلام الذي تناقلته وسائل إعلامية، مؤخّرا، ونسب إلى العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني، وقيل إنه ينتقد فيه التحالف الإسلامي الذي تقوده المملكة العربية السعودية، إلى قائمة طويلة من بيانات مشابهة تستهدف الرياض وسياستها الدفاعية والخارجية الجديدة؛ لكن ولئن أرجع بعض المراقبين مثل هذه البيانات إلى نجاح السعودية في سياستها الجديدة واعتبروها ردّ فعل من الخصوم على تأثيرها، فإنهم انتقدوا الرياض لأنها لم تقدم أفضل ما عندها إعلاميا لطرح قضاياها وتقديم وجهة نظرها إلى الرأي العام الداخلي والخارجي على السواء، وقطع الطريق عبر استباق الحدث.

التسريبات لن تؤثر في تحالفنا

❑ **الرياض** – أعادت تصريحات نُسبت إلى العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني، بشأن جدوى التحالف الإسلامي، إلى الواجهة النقاش عن فاعلية الآلة الدبلوماسية والإعلامية السعودية في مواكبة التطورات المتسارعة التي تعيشها المملكة وتطور مواقفها في الداخل والخارج.

ونفى الديوان الملكي الأردني صحة ما نسب إلى الملك عبدالله الثاني بأن بلاده انضمّت إلى التحالف الإسلامي، الذي تقف وراءه السعودية، لأنه تحالف "غير ملزم"، وتلميحاته إلى أنه محدود الفعالية والنتائج.

وقال البيان إن "ما تناقلته بعض وسائل الإعلام، وما نسب إلى الملك عبدالله الثاني يهدف إلى الإساءة إلى الأردن وعلاقاته مع دول شقيقة وصديقة".

وأكّد عمق العلاقات التي تربط الرياض وعمّان، مشددا على دعم الأردن الكامل للتحالف الإسلامي، حيث كانت المملكة من بين أوائل الداعمين والمشاركين في هذا التحالف.

وقال مراقبون إن الأمر، هنا، أعمق من مسألة تشويه التفاصيل أو إيرادها خارج سياقها، وإنه يتجاوز ذلك إلى التساؤل عن وجود آلية سعودية تواكب التحركات السريعة، سياسيا واستراتيجيا، لتوجّهات المملكة منذ تسلم العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز مقاليد الحكم.

ولا شك أن سعي السعودية للعب دور إقليمي فاعل لم يعد يحتمل الأساليب القديمة في إدارة الملفات، مثل إطلاق مواقف أو تبنّي مبادرات وافتراض أن بقية الدول ستتحرك بنفس السرعة لاستيعابها، أو أنّ ما تقصده الرياض سيفهم في السياق.

وتحتاج الرياض إلى أن يكون هناك طاقم من المستشارين ممّن ينقلون وجهات نظرها بشكل دوري إلى الحلفاء الكبار لمنع الالتباس وقطع الطريق على من يحاولون دق إسفين بين السعودية وأصدقائها.

وكانت تصريحات أوردتها بعض وسائل الإعلام الغربية ونسبتها للملك عبدالثاني تقول إن "الهدف من التحالف الإسلامي إظهار أن الدول الإسلامية تحارب تنظيم داعش"، و"أن الأردن وجميع الدول التي انضمت إلى التحالف كان بسبب أنه تحالف غير ملزم". وذلك خلال لقاء مع وفد من الكونغرس بينهم السيناتور جون ماكين، خلال زيارة العاهل الأردني إلى واشنطن منتصف يناير الماضي.

وأعلنت السعودية، في ديسمبر الماضي، عن تشكيل تحالف إسلامي جديد لمحاربة الإرهاب وقتال تنظيم داعش، يضم 34 دولة.

وليست هذه هي الحادثة الوحيدة التي تدفع إلى إعادة تقييم أسلوب التواصل السعودي، دبلوماسيا وإعلاميا، ليتماشى مع الحجم الذي أخذته المملكة العربية السعودية في السنتين الأخيرتين بسبب معارضتها لتوقيع اتفاق مع إيران لا يحفظ الأمن الإقليمي لدول الجوار، وهو ما قاد إلى برود في العلاقات السعودية الأميركية.

وكان إعلان السعودية عاصفة الحزم في اليمن إيذانا برغبة الرياض في لعب دور إقليمي أكثر فاعلية لمواجهة التمدد الإيراني في المنطقة.

لكن كبر حجم التداعيات لم يقابله تطور في آلية التسويق لها والتعريف بأهدافها داخل المحيط الإقليمي أو على المستوى الدولي، وخاصة في الغرب، حيث ما يزال الإعلام الغربي معاديا للسعودية وباحثا عن التقليل من قدرتها على لعب الدور الجديد الذي باشرت بتنفيذه دون أن تنتظر ضوءا أخضر من أيّ جهة.

وفي ظل تواضع أداء الإعلام المقرب من السعودية، واكتفائه بمربع تغطية المجاملات، يتم تضخيم بعض الأخطاء التي تقع فيها الرياض في اليمن، أو افتعال أزمات من لا شيء لابتزازها لفائدة دوائر خفية.

ولا يقف الأمر عند عقبة الإعلام الغربي، وبعض المنظمات التي ترفع لواء حقوق الإنسان، أو دوائر سياسية معروفة بعدائها للسعودية بوجه خاص أو للخليجيين ككل، فآليات التواصل السعودي على المستوى العربي أثبت في أكثر من مرة محدودية تأثيرها في خلق رأي عام داعم أو على الأقل متفهم لدواعي التحركات والمواقف السعودية.

وعكست الأزمة الأخيرة مع حزب الله هذه الحقيقة، فرغم أن الموقف السعودي يهدف إلى تحرير الموقف اللبناني من الهيمنة الإيرانية، وهو موقف في صالح مختلف الدول العربية، إلا أنّ بعضها تلكّأ في تصنيف الحزب منظمة إرهابية، أو صوّت للتصنيف ثم خرج ليقول إن التصنيف لا يلزمه بأيّ موقف عملي.

ولم تحصل بعض هذه الدول من إيران على مشاريع أو قروض أو هبات، فيما تتمتع طيلة عقود بدعم سعودي وخليجي مالي واستثماري كبير، وهذا التناقض يعكس في العمق أزمة آليات التواصل السعودي مع العمق العربي، فالدعم المالي والاستثماري لا يلزم الحاصلين عليه بأيّ مواقف، على عكس ما هو معمول به بين مختلف دول العالم حيث يتحكم الدعم في الموقف الدبلوماسي ويكيّفه وفق مصالح الداعمين. ولا يتعلق هذا التناقض بموقف الدول فقط، فعلى المستوى الشعبي هناك ميل واضح في دول عربية لحزب الله وشعاراته ولإيران في مواقع مواجهتها مع السعودية مثل سوريا واليمن، وهو أمر لا يفسّره سوى تضاؤل التأثير الذي كان يفترض أن يصنعه الإعلام السعودي في العقود الماضية، وأن السعودية الجديدة تحتاج إلى إعلام جديد وبآليات جديدة تقطع مع أسلوب الصمت وتعمّد عدم إبداء الرأي في الملفات المختلفة.

> دور السعودية الإقليمي الفاعل لم يعد يحتمل الأساليب القديمة في إدارة الملفات، مثل إطلاق مواقف أو تبني مبادرات وافتراض أن بقية الدول ستتحرك بنفس السرعة لاستيعابها أو أن ما تقصده الرياض سيفهم في السياق

حماس وأسرى إسرائيل.. مساومة أم مقاومة

أحمد حافظ

❑ **القاهرة** – التطورات الإقليمية المتسارعة والتغير الحاصل في التوازنات التقليدية في المنطقة، ألقت بظلالها على حركة حماس، التي لجأت مؤخّرا إلى ورقة المقاومة الفلسطينية والتذكير بعملياتها وبريقها الذي يخفت بسبب انخراطها في عمليات جمع وطرح سياسية ومعقدة، مع قوى إقليمية متصادمة.

يتجلى ذلك من خلال إعلان الجناح العسكري للحركة (كتائب عز الدين القسام) المسؤولية عن اختطاف 4 جنود إسرائيليين في خطوة طرحت مجموعة من التكهنات والتخمينات تتعلق بالمغزى الحقيقي من وراء اختيار الإعلان حاليا عن كشف صور الجنود المفقودين، مع أنه مضى على اختفائهم نحو عامين.

بعض المتابعين ربطوا بين زيارة وفد حركة حماس للقاهرة مؤخرا، وإعلان الحركة عن وجود الجنود لديها، وقالوا لـ"العرب" إن حماس أطلعت القاهرة أن لديها أسرى إسرائيليين، وأن تل أبيب مسؤولة عن اختيار توقيت إعلان عملية الاختطاف، في ظل التسريبات التي خرجت من مكتب رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، والذي أكد أن هناك مفاوضات سرية مع الحركة بشأن تسليم جثث أربعة جنود مفقودين في قطاع غزة بعد الهجوم الأخير على القطاع صيف 2014.

وأضافت المصادر أن حماس استغلت الغضب ضد نتنياهو للضغط عليه بورقة الجنود الأربعة، لتظهره أنه "كاذب"، وأن الجنود ما زالوا أحياء، وتنفي مزاعم التفاوض بشأنهم أيضا. وأشارت إلى أن هناك عدّة مكاسب، سعت الحركة إلى تقديمها لمصر من خلال هذه الخطوة لتطمينها والتأكيد على قوة العلاقة بينهما، في مقدمتها أن تكون القاهرة هي الوسيط في هذا التفاوض.

استبعدت المصادر الفرضيات التي يسوقها البعض من أن كتائب القسام تحاول الضغط على مصر من خلال إقحامها في ملف التفاوض مع إسرائيل، حتى تتراجع القاهرة عن بعض شروطها لحماس لترميم جسد العلاقة معها. وأكدت أن دخول مصر طرفا في الوساطة الآن "ميزة كبيرة لها" وليس العكس، لأن ذلك يثبت دورها الإقليمي في الشأن الفلسطيني، حتى ولو كانت هناك أطراف أخرى عربية أو إقليمية، تسعى لخطف هذا الملف، في إشارة إلى تركيا وقطر.

وقالت المصادر إن حماس لن تتفاوض قبل أن تقوم إسرائيل بتحرير 70 معتقلا من ذوي الأحكام القاسية، ألقي القبض عليهم بعد تحريرهم ضمن صفقة تبادل الأسرى في عام 2010، التي أفرجت فيها إسرائيل عن 1028 معتقلا مقابل إطلاق سراح الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط الذي أسره مسلحون من غزة في عام 2006، وجرى فك أسره بوساطة مصرية.

وقال حازم أبو شنب القيادي بحركة فتح لـ"العرب" إن "حماس تحاول من خلال هذه الخطوة، لفت الانتباه بعيدا عما يجري من صراعات داخل الحركة، وفشل الرحلة التي ذهبت إليها سعيا للقاءات مع مسؤولين وأحزاب ودول في الخارج لأجل تحقيق مكاسب، تبدو لمن التقوا بهم مستحيلة".

وأشار إلى أن حماس تسعى لتحويل دفة الإعلام والرأي العام العربي والعالمي إلى قضية الجنود الأسرى لديها، بعدما تبين لقادة الحركة أنهم فشلوا في الملفات الأخرى، المتعلقة بالقضية الفلسطينية، لأجل تعبئة الفراغ الذي خلفوه طوال الفترة الماضية.

ورأى أن إعلان حماس عن وجود أربعة جنود إسرائيليين لديها، وصمتها عن ذلك طوال عامين، يعني أنها كانت تتركهم ليكونوا ورقة ضغط تستخدمها في الوقت الذي تدرك خلاله أنها فشلت في مساعيها الأخرى. وقال أبو شنب "هي تحاول أن تقول لمصر وغيرها، إنه من الضروري التواصل معها، وإن هناك موضوعا هاما يمكن أن يناقشوه معها، لأن زياراتها إلى الخارج لم تحرز نتيجة حقيقية، ولم تكن كل الردود التي تلقتها من الدول التي زارها مسؤولون فيها مثمرة؛ فضلا عن محاولة إخفاء حالة التذمر الموجودة داخل قطاع غزة، الذي تسيطر عليه حماس، وسيطرة الغضب على الناس من الطريقة التي يدار بها القطاع، ورفضها التقدم لخطوة واحدة فيما يخص تحقيق وحدة وطنية داخل غزة يمكن لها أن تنقذ غزة".

في موازاة ذلك، قالت مصادر مطلعة لـ"العرب" إن الموضوع ردّ من حماس على تلميحات الرئيس الفلسطيني محمود عباس بشكل غير مباشر عن أن حركة حماس خارج المفاوضات الخاصة بالقضية الفلسطينية والمقاومة. وأضافت المصادر أن الحركة تحاول إرسال رسالة للجميع بأنه لا يمكن الاستغناء عنها في أيّ شيء يتعلق بفلسطين، وأيضا تحاول بشتى الطرق إثبات قوة الجناح العسكري لها، وأن بإمكانه الضغط على إسرائيل.

> إعلان حماس عن وجود أربعة جنود إسرائيليين لديها، وصمتها عن ذلك طوال عامين، يعني أنها تركتهم ليكونوا ورقة ضغط

مهما كانت التقديرات بشأن إعلان حماس خطف جنود إسرائيليين، فالنتيجة هي، تحريك للمياه الراكدة، سواء على المستوى السياسي أو العسكري، ويخشى البعض أن تكون هذه الخطوة قدمت فرصة لإسرائيل لتصفية بعض الحسابات المعلّقة مع حماس، وإنهاء أسطورة المقاومة التي بدأت بالفعل تتلاشى من الذاكرة العربية.

بعض مسيحيي لبنان وعقدة التوطين

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ لا يمكن معالجة أزمة السوريين في لبنان من دون قرار وطني يأخذ في الاعتبار الوضع الإقليمي وتطوّراته بديلا من الكلام السطحي عن خطر التوطين المثير للشفقة.

الشفقة هنا، هي على قسم من المسيحيين في لبنان الذين لم يستوعبوا يوما لا المعادلات الداخلية ولا المعادلات الإقليمية. هذا الخطر، خطر التوطين، تتذرع به فئات مسيحية بين حين وآخر كاشفة عجزها عن فهم ما يدور على الأرض، إن في لبنان وإن في محيطه القريب والبعيد. لدى هذه الفئة، هدف وحيد هو إثارة الغرائز واستجلاب العطف. فالكلام عن التوطين سهل جدا، ويظل كلاما بكلام، تماما مثل الكلام عن "حقوق المسيحيين" واستعادة هذه الحقوق.

يبقى الصعب الاعتراف بأن في الإمكان دائما معالجة خطر التوطين، كذلك التهديد الذي تتعرض له حقوق المسيحيين، وإنّما من زاوية خطر التوطين على لبنان واللبنانيين عموما وحقوق كل المواطنين اللبنانيين بغض النظر عن طائفتهم ومذهبهم والمنطقة التي يقيمون فيها. أكثر من ذلك، المهمّ في المرحلة الراهنة استيعاب أن السوريين لا يريدون الاستيطان في لبنان، بل إنّ أمام لبنان فرصة كبيرة للاستفادة من مرحلة إعادة بناء سوريا بعد رحيل النظام فيها ورئيسه. هذا ما تحاول المنظمات الدولية إفهامه إلى كل من يعنيه الأمر بدل إضاعة الفرص المتاحة. لعلّ أفضل ما يستطيع لبنان عمله هو التعلّم من الأردن. هناك قيادة أردنية تعي تماما دقّة المرحلة، وتعي خصوصا أن وجود اللاجئين السوريين فرصة للحصول على مساعدات كبيرة ثمنا لما يتكبّده البلد جراء النزوح السوري.

> متى يخرج المسيحيون اللبنانيون من عقدة التوطين؟ الحاجة أكثر من أي وقت إلى جعلهم يستوعبون أن اقتصاد لبنان مرتبط بالوضع السوري وأن إعادة إعمار سوريا فرصة لهم، خصوصا إذا توفر من يشرح لهم أهمية وجود مشروع وطني عابر للطوائف

يدلّ ما لجأ إليه وزير الخارجية اللبناني جبران باسيل، الذي قاطع زيارة الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون، على وجود من يبحث عن بطولات وهمية في زمن يمكن أن تكلّف مثل هذه الممارسات لبنان واللبنانيين، خصوصا المسيحيين، الكثير.

جاء كلام وزير الخارجية، وهو كلام ذو طابع عنصري، في وقت يفترض في الحكومة اللبنانية البحث الجديّ في قضية الوجود السوري في البلد، الذي يمكن أن يشكّل أزمة حقيقية ذات أبعاد في المدى البعيد. هذا البحث الجديّ بديل من الهرب إلى الشعارات الشعبوية التي تغطي على واقع متمثل في أنّ العمل من أجل معالجة قضية كبيرة في حجم الوجود السوري في لبنان، لا يكون إلّا عبر المؤسسات اللبنانية المعطّلة، في مقدّمها مؤسسة رئاسة الجمهورية ومجلس الوزراء.

هناك عشرات المشاريع الجاهزة لسوريا ما بعد سقوط نظام الأسد. يمكن للبنان أن يكون منطلقا لهذه المشاريع التي تصبّ في إعادة إعمار سوريا. فسوريا التي عرفناها انتهت. هناك تطوّرات تتسارع في اتجاه الحل السياسي. الدليل على ذلك، صمود وقف النار، رغم بعض الخروقات، والمسرحية الأخيرة التي جرت في تدمر.. وإعلان بشّار الأسد عن قبوله إجراء انتخابات رئاسية مبكرة، أي قبوله الرحيل.

ما يمكن أن يساعد لبنان في هذه المرحلة، إضافة بالطبع إلى انتخاب رئيس للجمهورية على وجه السرعة كي ينتظم عمل المؤسسات قدر الإمكان طبعا، إيجاد مشروع وطني جامع تجاه سوريا والسوريين. هناك ترابط بين الاقتصادين اللبناني والسوري. هذا الترابط يسمح للبنان في ظلّ وجود النازحين السوريين في أراضيه بلعب دور أساسي في عملية إعادة إعمار سوريا. على سبيل المثال وليس الحصر، هناك مشروع يستهدف تدريب السوريين على بناء منازل طينية عن طريق استخدام المواد الموجودة في أراضيهم. هؤلاء يمكن أن يتدرّبوا في لبنان تمهيدا لإقامة الوحدات السكنية في سوريا. هل السماح لهؤلاء بتعلّم كيفية استخدام المواد التي في أرضهم توطين؟

آن أوان خروج اللبنانيين، خصوصا المسيحيين من عقدة التوطين. لا يوجد سوري يريد الاستيطان في لبنان. حتّى الذين كانت لديهم مبالغ كبيرة من المال، رفضوا البقاء في لبنان. ذهبوا إلى دبي وغير دبي بسبب غياب الرؤية لدى اللبنانيين. هؤلاء لم يدركوا أن لبنان كان المستفيد الأوّل في ستينات القرن الماضي وسبعيناته من خروج العقول والرساميل من سوريا بفضل السياسات التي مارسها البعث وقبله النظام الأمني الذي جاءت به الوحدة مع مصر بين 1958 و1961.

ساهم السوريون في نمو الصناعة اللبنانية وفي المجال العقاري وفي القطاع المصرفي. هناك أحياء عدة في بيروت وراءها

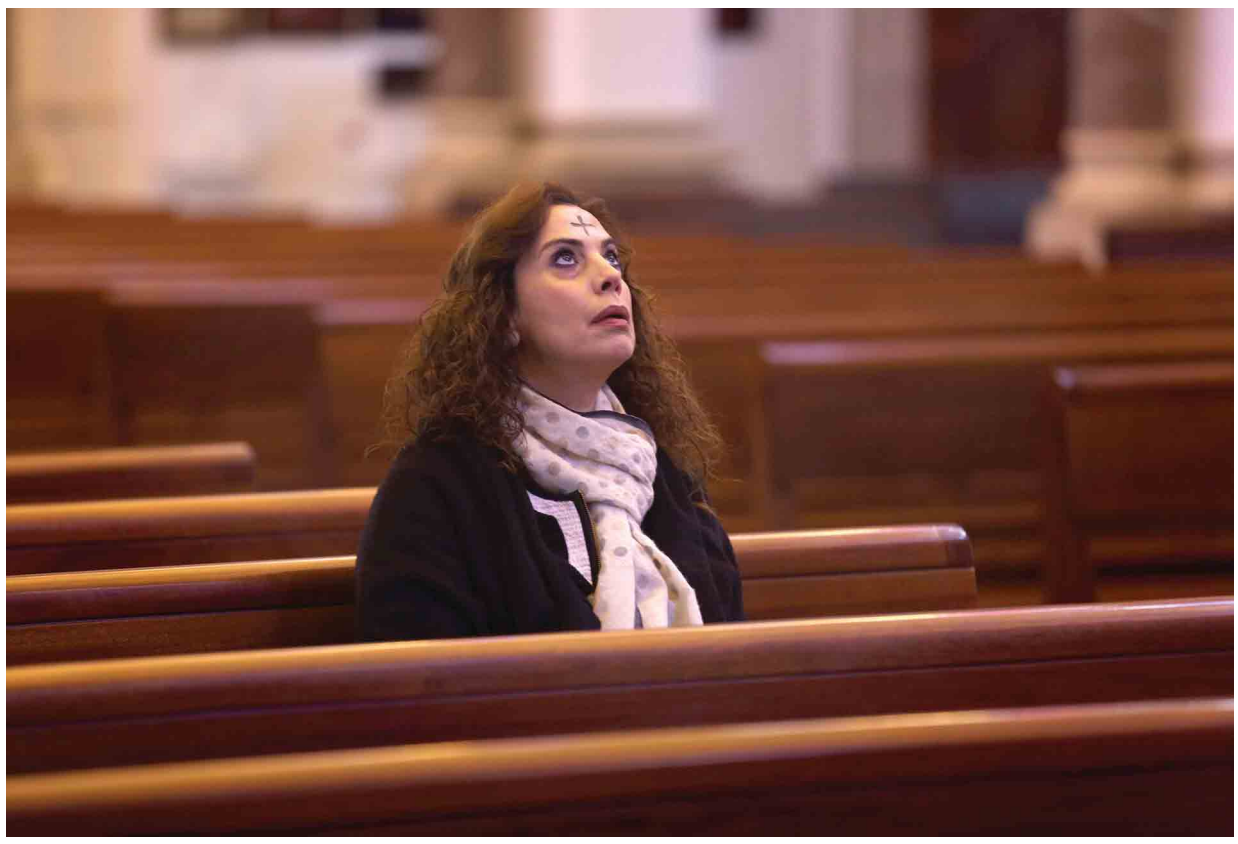

متى تحل العقدة

سوريون، من فردان... إلى بدارو.

إذا كان هناك من يريد تهجير المسيحي من لبنان، فإنّ من يريد ذلك هو بعض المسيحيين من ذوي التفكير الضيّق الذي لا يسمح بفهم ما يدور في المنطقة. مثل هذا التفكير الضيّق كان من عمّم كذبة كبيرة من نوع أن المبعوث الأميركي دين براون جاء إلى لبنان أواخر العام 1975 لتهجير المسيحيين وتوطين الفلسطينيين.

في الواقع، لم يأت دين براون إلى لبنان لعمل شيء باستثناء شراء الوقت لهنري كيسنجر كي يمنع اندلاع حرب إقليمية بسبب الوجود المسلّح الفلسطيني في لبنان.

وجد كيسنجر أخيرا الحل بعدما أقنع الإسرائيليين بالسماح للجيش السوري بدخول لبنان و"وضع يده على مسلحي منظمة التحرير الفلسطينية". أسوأ ما في الأمر أن إسرائيل اشترطت في نهاية المطاف بقاء المسلّحين الفلسطينيين في جنوب لبنان كونها تريد "الاشتباك معهم بين حين وآخر". بقيت هذه الرغبة الإسرائيلية بعد خروج المسلحين الفلسطينيين من جنوب لبنان وحلول عناصر "حزب الله" مكانهم وصولا إلى ما وصل إليه الوضع القائم حاليا بفضل القرار 1701 الصادر عن مجلس الأمن قبل عشر سنوات تقريبا.

كان حافظ الأسد وراء هذه الخطة الجهنمية. كان يشعل الحريق بين المسيحيين والفلسطينيين وبين المسيحيين والمسلمين في لبنان، ثمّ يلعب دور الإطفائي. أراد بذلك السيطرة على لبنان مستخدما المسيحيين والمسلمين والفلسطينيين وقودا.

من لم يستوعب هذه الحقيقة بين المسيحيين، لا يزال قاصرا. لا يزال تفكيره في مكان آخر، لا يزال أسير الغرائز من جهة والعجز عن مواجهة الواقع من جهة أخرى. يتمثل هذا الواقع في أن أكبر عدد من المسيحيين هاجر من لبنان نتيجة حربي "التحرير" و"الإلغاء" اللتين خاضهما ميشال عون مع المسلمين والمسيحيين الآخرين عندما كان في قصر بعبدا بين 1988 و1990، وأن أكبر عدد من المسيحيين عاد إلى لبنان عندما بدأت الحياة تعود إلى بيروت ابتداء من العام 1992 وحتى العام 2005. فالوجود المسيحي مرتبط إلى حدّ كبير بالازدهار الاقتصادي للبنان والهجرة مرتبطة بنشر البؤس في الوطن الصغير.

الدليل على ذلك، موجة الهجرة الجديدة للشباب المسيحي بعد الاعتصام الذي قام به "حزب الله" وسط بيروت طول سنة 2007 بهدف قطع الأرزاق وتدمير الاقتصاد الوطني.

> أمام لبنان فرصة كبيرة للاستفادة من مرحلة إعادة بناء سوريا بعد رحيل النظام فيها ورئيسه. هذا ما تحاول المنظمات الدولية إفهامه إلى كل من يعنيه الأمر بدل إضاعة الفرص المتاحة

هذه الموجة مستمرّة إلى اليوم كون هناك من يريد عزل لبنان عن محيطه العربي وتوريطه في الحرب التي يتعرّض لها الشعب السوري.

متى يخرج المسيحيون اللبنانيون من عقدة التوطين؟ الحاجة أكثر من أيّ وقت إلى جعلهم يستوعبون أنّ اقتصاد لبنان مرتبط بالوضع السوري وأنّ إعادة إعمار سوريا فرصة لهم، خصوصا إذا توفّر من يشرح لهم أهمّية وجود مشروع وطني، عابر للطوائف، يتعاطى مع إعادة بناء سوريا، وهي فرصة قد لا تتكرر، وقد لا تسنح أمامهم قريباً.

حكومة تكنوقراط العبادي إيرانية أيضا

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❑ لا ينفصل المشهدان اليمني والسوري عن سلسلة مآزق النظام الإيراني. المتغيرات الفاجعة أوصلته إلى نقطة الافتراق بين طموحاته التوسعية الخيالية وبين واقع المنطقة المشتبك الذي يوشك أن يشعل النيران في الحقول الإيرانية الداخلية نفسها، واحدا بعد واحد. وهذا ما يفسر لجوء النظام إلى التلويح بالرغبة في الحوار مع الخصوم واللجوء إلى التهدئة.

وقد لخّص مسؤول كبير في المنطقة الخضراء العراقية واقع المشهد الإيراني الأخير بالقول إن السكاكين تتجمع من حول البقرة الموشكة على السقوط. وإن على النظام أن يبدأ سلسلة تنازلات مُذلة. ولكن دونها قد يغرق الحصان نفسُه، وليس راكبه وحده.

والمؤكد وغير الظاهر للعيان أن حرب النظام الإيراني مع القوى المناهضة لتوسعه لا تدور رحاها الأخطر والأصعب في اليمن وسوريا ولبنان فقط، بل في عقر داره العراقي.

واعتمادا على بعض التقارير السرية الخاصة التي يسرّبها مسؤولون كبار في المنطقة الخضراء يمكن القول إن أصعب الحروب السياسية والعسكرية والاقتصادية والطائفية تدور رحاها في العراق، اليوم، بين المعسكر الإيراني العراقي المنهك والمكروه من ملايين العراقيين، بعد أربع عشرة سنة من الفساد والاستغلال والفشل والعمالة، وبين جبهة عريضة عراقية وعربية خليجية، تقودها أميركا بشحمها ولحمها. وتقول تلك التقارير إن أميركا قررت محاربة إيران في العراق، لسببين، أولا لأنها ندمت على إدخال الدبّ الفارسي إلى كرمها العربي، والثاني لأنها اكتفت بما حصدته من توريط إيران في العراق والمنطقة. وأهم ما تؤكده المصادر المطلعة في المنطقة الخضراء أن هذه الحرب تخاض بقفازات من حرير وقطيفة، ومن الباطن.

أميركا تؤيد حيدر العبادي، في العلن، وتشجعه على الابتعاد عن إيران، باسم الإصلاح المطلوب شعبيا ومرجعيا، ولكنها تعمل، في الباطن، على تحشيد أكبر عدد من المعارضين لوجود حزب الدعوة من رجال الدين، من النجف بشكل خاص، ومن القوى والأحزاب والمنظمات المتضررة من هيمنة الائتلاف الشيعي على السلطة، ولكن على نار هادئة جدا، ودون ضجيج، في انتظار ما تأتي به الأيام القادمة.

وتقول تلك المصادر إن خيمة اعتصام السيد مقتدى الصدر ولدت وانتهت بالتنسيق الكامل مع وسطاء إيرانيين حضروا خصيصا لمواكبة التغييرات التي آمنوا أخيرا بأنْ لا مهرب منها. بمعنى آخر لا بد من تغيير الناطور للحفاظ على الحقل ذاته، قبل فوات الأوان.

وتقول تلك المصادر إن حكومة التكنوقراط المقترحة لم تولد بسهولة، خصوصا وأنها ستخلو من أهم وأكبر الحلفاء العراقيين لإيران، وخاصة إبراهيم الجعفري وحسين الشهرستاني ووزيريْ المجلس الأعلى، عادل عبدالمهدي وباقر صولاغ. وبسبب إصرار السفارة الإيرانية الحازم على إبقاء وزارة الداخلية في قبضة هادي العامري، وكيلها المعتمد في العراق، تمت الموافقة المبدئية على عدم طرد وزيرها، رغم الاعتراضات العديدة على أدائه.

وكما توقع كتّابٌ ومحللون كثيرون، عراقيون وعرب وأجانب، منذ بدايات الهجمة الإيرانية الشرهة على العراق، ومنه على سوريا ولبنان واليمن وفلسطين، فقد تعبت الخيول الإيرانية، سريعا، ونهضت بوجهها، سيوف كثيرة متنوعة جمّعها، رغم تباين أهدافها ومصالحها، رفضُها للهيمنة الإيرانية على العراق وسوريا واليمن ولبنان.

الإعلان عن قبول الحوثيين بالحوار وإلقاء السلاح وإعادة ما نهبوه من معسكرات الجيش والوزارات والمؤسسات الحكومية، طعنة غائرة في الجنب الإيراني، بعد أن طبّل كبار وزرائها وقادتها العسكريين لانقلاب الحوثي، وبشرونا بعصر الكماشة الإيرانية المحكمة المطبقة على الوطن العربي من شرقه وغربه ومن شماله وجنوبه، بكثير من غرور القوة والجبروت.

وتأتي مسرحية جنيف السورية التي تؤذن بقرب رحيل بشار الأسد وتشكيل حكومة وفاق وطني ليس فيها سفير سوري لخامنئي وحسن نصر الله قاسم سليماني لتشكل الطعنة الثانية في الجنب الإيراني النازف المريض.

وهذا ما يفسر إقدام إيران على أن تحني رأسها العراقي للعاصفة، وقبولها باستبدال خيولها، في انتظار الفرصة المواتية لاستعادة القوة والهيمنة المطلقة، من جديد.

وتتوقع المصادر ذاتها أن يفشل البرلمان في إجازة حكومة تكنوقراط حيدر العبادي، الأمر الذي سيجبره على التنحي. يومها ستتجه الأنظار إلى أميركا وحلفائها العرب لتقديم مشروع سياسي عراقي جديد يحيل حزب الدعوة على التقاعد، ويُقزّم المجلس الأعلى، و(يفركش) التحالف الشيعي، ويدفع العراق إلى مرحلة جديدة من الحرب التي لا يرى أحد دخانها، ولكنه يشم روائح بارودها، ويسمع دقات طبولها، وينتظر ما سوف تنجلي عنه أستارها المغلقة.

لا يوجد فرق، أزيلوهم جميعا

أخشى على لبنان من كانتون مذهبي واحد على حدوده مع سوريا

ميشال سليمان: نعم لتقارب عون وجعجع لكنني ضد التحالفات الطائفية

عبّر الرئيس اللبناني السابق ميشال سليمان عن قلقه من تداعيات البركان السوري على اللبنانيين، وطالب في رسالة توجّه بها إلى الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون بـ"ترسيم حدود الكيان السوري الذي يُعمل على تشريعه، ببرمجة عودة النازحين السوريين، وباستفادة لبنان من ميزانيات إعادة الأعمار المتعلّقة بالشأن السوري".

أتاهم تكليف بالتدخل في سوريا فأسقطوا إعلان بعبدا

محمد قواص
كاتب سياسي لبناني

❑ **بيروت** – في الحديث مع رئيس الجمهورية السابق ميشال سليمان تلمّس مباشر لواقع لبنان بعد مغادرته قصر الرئاسة في بعبدا (24 مايو 2014). في حدث المغادرة ما هو لافت من حيث أن سليمان أنهى مهامه على رأس البلاد بعد انتهاء ولايته، ذلك أن رئاسيات ما بعد الطائف لطالما شوّهتها عمليات التمديد التي لم تحترم مهلا ولا استحقاقات. حتى اللبنانيون كانوا مبهورين بالحدث، على الرغم من أن الرئيس أقفل باب القصر وراءه دون انتخاب بديل تاركا البلد في فراغ رئاسي لم يخرج منه حتى الآن.

قصدته إلى مقر المكوّن السياسي الجديد الذي شكّله وحمل اسم "لقاء الجمهورية". المقر في منطقة الحازمية غير البعيدة عن منطقة بعبدا حيث مارس في القصر الرئاسي دوره كرئيس وصل إلى الحكم في ظروف استثنائية دراماتيكية.

كاد اللبنانيون يدخلون حربا أهلية، قبل أن يتجمع قادتهم في العاصمة القطرية ويخرجون باتفاق الدوحة الشهير. أنتج الاتفاق، من ضمن سلة تفاهمات، توافقا على انتخاب قائد الجيش اللبناني العماد ميشال سليمان رئيسا للجمهورية (25 مايو 2008).

خَبرَ سليمان ظروف الوصاية السورية وكيفية المناورة في ظلها. ارتفعت أسهمه كمرشح لفريق 8 آذار القريب من دمشق وطهران كونه واكب فترة الوجود السوري وشروط التعامل مع حزب الله. تحفّظ الفريق المقابل، ثم تطوّر موقفه موافقة على التسليم به شخصية توافقية على رأس الدولة. لكن الرجل ومنذ اللحظات الأولى مارس دورا وسطيا مخصّبا بمواقف تتّسق مع الدور الحقيقي للرئيس. بدت كلماته الأولى في خطاب القسم صريحة واضحة اقترب فيها من شعارات 14 آذار دون أن يقلق الفريق المضاد. على أن الرئيس، ومن موقع الرئاسة، ومن قلب معايشته للصراع بين الدولة والدولية ومن ثنايا معاناته من تدخلات الخارج سوريًا وإيرانيًا، أظهر مواقف لم تستسغها دمشق وطهران ولم يقبلها التحالف السياسي حول حزب الله، ما عرّضه لانتقادات شرسة من قبل هذا الحلف الذي اتهمه بـ"معاداة المقاومة".

الرئيس القلق على لبنان من تداعيات البركان السوري وتداعياته على اللبنانيين، نجح في جمع القادة السياسيين للبلاد لوضع وثيقة ثوابت تحدد طبيعة العلاقة مع الدستور والدولة، كما طبيعة التعاطي مع الأزمة السورية، وعدم الانخراط في أتونها من خلال ما أطلق عليه اسم "إعلان بعبدا" (2012–11). ورغم الإجماع على هذه الوثيقة، أطاح تدخل حزب الله في سوريا بمفاعيلها وحوّلها إلى حبر على ورق.

اتفاق الطائف

في مقرّ الحازمية كان الرئيس سليمان منهمكا في التحضير لاجتماع "لقاء الجمهورية" في ذلك اليوم، لكنه كان يجيب على أسئلتي وكأنها جانب من اجتماعه، رغم أن نقاشنا جرى بعيدا عن قاعة الاجتماعات. قاعدة المهمّة السياسية للرئيس يبقى اتفاق الطائف "فهو العقد الاجتماعي بين اللبنانيين بعد الحرب الأهلية وهو أساس الدستور والقوانين والمؤسسات، وهو الذي ينتج الاتفاقات كقانون الانتخاب وعمل الوزارات وإصدار القوانين". أسأله غامزا من قناة من يعتبر أن "الطائف" سلب الرئيس صلاحياته، ألم يقيّدك هذا الاتفاق في ممارسة السلطة حين كنت رئيسا؟

يجيب بلا تردد "أن تؤخذ الصلاحيات بمنحى طائفي فهذا يعني أننا ابتعدنا عن روح ما هو مقصود في الطائف. فصلاحيات الرئيس موجودة بالدستور، وإذا كان هناك ما يقيّدها فذلك كامن في تفسير النصوص".

يسهبُ سليمان في تناول اللغط في تفسير الدستور، لكن "الطائف هو عقد اجتماعي جيد حافظ على لبنان في أصعب فترة في تاريخه، وحافظ عليه رغم الانهيار السوري"، وما يجب أن يفعله اللبنانيون هو "تحصينه". أسأله: تقصد تعديله؟

لا يحب الرئيس كلمة تعديل في موسم الكلام عن مؤتمر تأسيسي وغير ذلك ممّا يروم الإطاحة بالطائف. يذهب إلى تفضيل صيغ كـ"تفسير المواد الدستورية، فيما يخصّ تأليف الحكومة ومهل التأليف أو تعريف صلاحيات الوزير مثلا. التحصين يتطلب تفسيرات تكمّل تطبيق اتفاق الطائف، لا سيما إلغاء الطائفية السياسية".

يعرف الرئيس سليمان أن كثيرين يخشون هذا الاستحقاق الذي حال دون التعرض لطائفية النظام السياسي. يقول "أنا أدعو إلى عدم الخوف من ذلك، اليوم صارت هناك ضرورة لإشراك كافة المكوّنات داخل الأوطان والدول، أميركا تحتاج ذلك كما فرنسا إلخ.. صيغة المناصفة (بين المسلمين والمسيحيين) أنقذت لبنان، لكن يجب أن ننتج قانونا انتخابيا يُبعد الاختيار الطائفي، صحيح أننا نحترم اختيار فلان على أساس مذهبي، لكن يجب أن يكون الخيار على أساس وطني وعلى أساس الكفاءة أيضا".

يذهب ميشال سليمان أبعد في انتقاده لما طرح في السنوات الأخيرة "عندما يطالبون بالقانون الأرثوذكسي يبتعدون عن المناصفة، وهؤلاء الذين يتحدثون عن الحفاظ عن الوجود المسيحي هم يبتعدون، بذلك، عن حماية هذا الوجود". في هذا الموقف الواضح رفض لذلك القانون الذي طالبت به التيارات المسيحية الكبرى، والتي دعت إلى انتخاب كل طائفة لنوابها بزعم تخليصها من هيمنة أصوات الطوائف الأخرى.

من ذلك المنطق أسأله حول ما يقال عن تهميش يعاني منه المسيحيون ما ينتج هواجس تفضي إلى "القانون الأرثوذكسي". يسارع بالردّ "أنا لست مهمشا! بغياب الرئيس حاليا، أدركت كم أن للرئيس قدرات وصلاحيات لا تحتاج إلا إلى بعض التوضيح، ثم إن علينا الالتزام بانتخاب رئيس في الوقت المحدد".

حول أزمة الفراغ الرئاسي الحالي، لا يرى الرئيس سليمان أن الحلّ في التمديد "أنا ضد التمديد"، لكنه يدعو إلى التمثّل ببقية الدول التي تعدّل من قوانين المجمع الانتخابي المطلوب لانتخاب رئيس "أنا أفضّل انتخاب رئيس بالنصف زائد واحدا من عدم انتخاب رئيس".

لكني أستوضح، وهل المشكلة في لبنان هي نظامه الداخلي أم التعقيدات الإقليمية وسلاح حزب الله.. إلخ؟ يعود بي إلى مشكلة عدم انتخاب رئيس "الخطر أن تتدهور مؤسساتنا من خلال هذا الشغور، لذلك علينا التمسك بعقدنا الاجتماعي، وتحصين لبنان هو بتحييده عن الصراعات".

"إعلان بعبدا" مفصل عزيز على قلب ميشال سليمان، وهو إنجاز لا بد أنه فخور به. "إعلان بعبدا هو الحل"، يقول لي، ويضيف "وافقوا جميعا على مضمون الإعلان بساعة تخلي كما يسمّيها وليد جنبلاط، كانوا جميعا مقتنعين بعد ساعات على النقاش، كلهم، ميشال عون ومحمد رعد ونبيه بري.. إلخ، كانوا مقتنعين"، ولماذا لم يتم الالتزام؟ أسأل آليا، فيأتيني جواب اليقين "لأنه أتاهم تكليف بالدخول في الحرب في سوريا".

توابع الوضع السوري

إلى أين يذهب الوضع في سوريا؟ يجيب الرئيس سليمان بلهجة العارف "ذاهبون إلى تسوية لذلك توجهت للأمين العام للأمم المتحدة والهيئات الدبلوماسية والدولية من خلال مؤتمر صحفي وبعثت رسالة تعبّر عن هواجس لبنان المرتبطة بالحلّ السوري"، ماذا تقصد؟ "لبنان لا يناسبه التقسيم في سوريا، لا سيما إذا ذهبوا هناك باتجاه الكانتونات الطائفية. فوجود كانتون ذي لون مذهبي واحد على حدودنا، إضافة إلى وجود إسرائيل جنوبا سيخنق لبنان. ربما أن قيام كانتونات مذهبية متعددة هو أخفّ ضررا على لبنان من كانتون طائفي واحد على حدوده. يكفي تخيّل تعاطي قسم من اللبنانيين مع هذا الكانتون الحدودي الطائفي، الأمر سيؤدي إلى مشكلات قد تقود إلى اندثار الكيان اللبناني المعروف بصيغته المميّزة في العالم". لكن الرئيس يخرج من هذه الفرضيات إلى أمنية "أفضل شيء لنا في سوريا هو وحدة سوريا مع إمكانية إنشاء لامركزية إدارية على أساس المحافظات الحالية بصيغة موسعة".

أحاول أن أستكشف ما يعرفه عن التسوية المقبلة في سوريا وعمّا إذا كانت مخفّفا أو محفّزا لـ"الوصاية" الإيرانية على لبنان، وهل التسوية ستحوّل حزب الله إلى حزب سياسي داخلي؟

لا يتوقف الرئيس سليمان عند "حالة" حزب الله، يقول لي "حزب الله أو غيره، موضوع الوصاية ينتج عن إرادتين، إرادة الوصيّ وإرادة الموصى عليه. لا أحد يرفض الوصاية وبالإمكان فرضها عليه، إلا إذا كان مستفيدا من تلك الوصاية"، ثم يكمل "أنا أرى أن الكانتونات المذهبية ستعزز الوصاية، وهي لن تنفع الموصى عليه".

أعود إلى الرئيس بموضوع الرئاسة. أسأله: هل حين غادرت قصر الرئاسة كنت تتوقع انتخاب رئيس؟ يجيبني "كنت أحسب أن الأمر سيسبب صدمة لدى اللاعبين تقود لانتخاب رئيس، لكن يبدو أن المخطط أنهم لا يريدون رئيسا في ظل الوضع السوري وفي ظل التدخل في سوريا"، ثم يستطرد أكثر "هم لا يريدون رئيسا يتكلم باسم مصالح لبنان على طاولة المفاوضات السورية السورية في جنيف". كيف ذلك؟ "من سيقول ما هي هواجسنا؟ من سيضرب على الطاولة؟ فحوى رسالتي إلى بان كي مون تطال هذه الهواجس، رفضت الكانتونات المذهبية، طالبتُ بترسيم حدود الكيان السوري الذي يُعمل على تشريعه، ببرمجة عودة النازحين السوريين، وباستفادة لبنان من ميزانيات إعادة الأعمار المتعلّقة بالشأن السوري تعويضا له عن بناه التحتية التي تضرّرت بسبب النزوح (يطالب بمبلغ يتراوح ما بين 10 و15 مليار دولار من مئات المليارات التي ستخصص لإعادة إعمار سوريا).

هل تتفهم قرار السعودية وقف الهبة للجيش اللبناني؟ "لا أتفهمها" يجيب ثم يستدرك، "لكن 60 بالمئة من المشكلة عائد إلى تصرفاتنا تجاه السعودية ودول الخليج، وخاصة تجاه المساعدة بحدّ ذاتها، التي قالوا إنهم لا يريدونها وإنها مشروطة وإن هناك صفقات مع المملكة. لا شروط ولا صفقات، لكنهم واصلو هذا السلوك إلى أن وصلنا إلى مرحلة العداء مع السعودية".

يتأمل سليمان الأمر "كنت أتمنى أن لا يقطعوا الهبة، فإذا بقي في لبنان 60 بالمئة يريدون لبنانا متحررا عربيا، فلماذا نحرم الجيش اللبناني من هذ الهبات؟"، ثم يستطرد "لكني أعتقد أنها ستعود".

يعترف الرئيس سليمان أنه ليس بصدد منافسة الأحزاب السياسية في لبنان فتلك تعتمد على الاستقطاب المذهبي وعلى ذاكرة شهداء ومفقودين وعلى مال متوفر بشكل "غير معقول"، لكنه مستمر في سعيه معتمدا على شخصيات وطنية كفؤة ومعتدلة، وعلى رصيده المعنوي.

أسأله هل لديك خيار لاسم رئيس، يقول "لا"، لكنه يفضل رئيسا "من خارج الاصطفافات الحالية"، رغم أنه يرجح انتخاب أحد المرشحين (ميشال عون، سليمان فرنجية) في غضون الأشهر المقبلة.

يرفض سليمان الحديث عن رئيس مسيحي قويّ ويتساءل "ما هو دور المسيحي؟ العضلات، المال، الفكر؟"، ويجيب "دور المسيحي هو القلب الجامع، دور الرسالة كمال قال يوحنا بولس الثاني، أما إذا كانت القوة أعدادا، فلتحكم الأكثريات (...). أنا حين انتخبت انتخبني 120 نائبا. لا يعتبرون ذلك قوة لأن الرئيس لا يملك حزبا سياسيا وهل كان ديغول يمتلك حزبا، وهل جبران خليل جبران في هذا الزمن سيعتبر ضعيفا لأنه لا يمتلك حزبا أو ليس رئيس بلدية؟".

يرفضون الهبة السعودية ولا يحبذون تسليح الجيش اللبناني

حدثني الرئيس عن توجّسه من التحالفات المذهبية فسألته هل هو خائف من تقارب سمير جعجع وميشال عون؟ فقال "لا لست خائفا، الأمور تتعالج لكن إذا تركت على سجيتها ولم يرتفع صوت يقول لا، تصبح الأمور مخيفة. أنا ضد الاستسلام لهذه التحالفات أنا مع المصالحات الاجتماعية والتاريخية، لكن لينتبهوا، لا لتحالفات سياسية بمنطلق ومنطق مسيحيين. إذن بمنطق سياسي عظيم، لكن هل التحالف الحالي هو بمنطق سياسي؟".

في ذلك التساؤل ربما وجاهة حول المشهد السياسي الحالي في لبنان. لا أحد يتحدث عن تموضع طائفي، لكن بعض الأعراض تثير ارتيابا، لا سيما وأن موسم التسويات السورية، لا سيما في جوانبها التقسيمية الفيدرالية، قد تروّج لمشاريع قديمة جديدة لا تتسق مع وحدة البلد.

هذه هواجس الرئيس، الذي باعتداله، حين كان في قصر بعبدا، لم يرق له أي تطرّف.

إعلان بعبدا هو الحل

❑ إعلان بعبدا مفصل عزيز على قلب ميشال سليمان. صدر في 11 يونيو 2012، إثر انعقاد هيئة الحوار الوطني، ومن أبرز نقاطه:

● التزام نهج الحوار والتهدئة الأمنيّة والسياسيّة والإعلاميّة والتزام العمل على تثبيت دعائم الاستقرار وصون السلم الأهلي.

● العمل على تعزيز مؤسسات الدولة وتشجيع ثقافة الاحتكام إلى القانون والمؤسسات الشرعيّة لحلّ أيّ خلاف.

● دعم الجيش على الصعيدين المعنوي والمادي بصفته المؤسسة الضامنة للسلم الأهلي والمجسّدة للوحدة الوطنيّة.

● دعم سلطة القضاء تمكينا من فرض أحكام القانون بصورة عادلة ومن دون تمييز.

● الدعوة الى تنفيذ خطة نهوض اقتصادي واجتماعي في مختلف المناطق.

● دعوة جميع القوى السياسيّة وقادة الفكر والرأي في لبنان إلى الابتعاد عن حدّة الخطاب السياسي والإعلامي وعن كلّ ما يثير الخلافات والتشنّج والتحريض الطائفي والمذهبي.

● التأكيد على ضرورة التزام ميثاق الشرف الذي سبق أن صدر عن هيئة الحوار الوطني لضبط التخاطب السياسي والإعلامي.

● تأكيد الثقة بلبنان كوطن نهائي وبصيغة العيش المشترك وبضرورة التمسّك بالمبادئ الواردة في مقدمة الدستور بصفتها مبادئ تأسيسيّة ثابتة.

● التمسّك باتفاق الطائف ومواصلة تنفيذ كامل بنوده .

● تحييد لبنان عن سياسة المحاور والصراعات الإقليميّة والدوليّة وتجنيبه الانعكاسات السلبيّة للتوتّرات والأزمات الإقليميّة، وذلك حرصاً على مصلحته العليا ووحدته الوطنيّة وسلمه الأهلي، ما عدا ما يتعلق بواجب التزام قرارات الشرعيّة الدوليّة والإجماع العربي والقضيّة الفلسطينيّة المحقّة، بما في ذلك حقّ اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى أرضهم وديارهم وعدم توطينهم.

● الحرص على ضبط الأوضاع على طول الحدود اللبنانيّة السوريّة وعدم السماح بإقامة منطقة عازلة في لبنان وباستعمال لبنان مقرّا أو ممراً أو منطلقاً لتهريب السلاح والمسلحين.

● التزام القرارات الدوليّة، بما في ذلك القرار1701.

● اعتبار هذا البيان "إعلان بعبدا" ويلتزم به جميع الأطراف.

لا يريدون رئيسا يدافع عن لبنان على الطاولة السورية

بحيرة عربية تدور من حولها الصراعات

أمن البحر الأحمر
الملف الشائك الذي تتسابق عليه الأمم

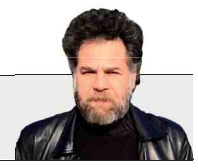

إبراهيم الجبين

❑ **برلين** – لم يفقد البحر الأحمر مكانته الاستراتيجية، رغم اشتعال الحروب من حوله، وليس على شواطئه. بل إن الكثير من المؤشرات تقول إن الصراعات الدائرة في الفضاء المحيط بالبحيرة المالحة العملاقة إنما تهدف للسيطرة عليها تحديداً وليس على ما يجاورها من أراض مختلفة الجنسيات والاتجاهات.

طريق الملاحة القديم، الذي ربط القارات الثلاث الكبرى ببعضها البعض عبر آلاف السنين، والذي وصل ما بين آسيا وأفريقيا وأوروبا، حتى قبل أن يقرّر الأمير عبدالقادر الجزائري التوسّط لدى السلطان العثماني للسماح لفرديناند ديليسبس بشق ترعة من الشمال إلى الجنوب، تصل بين بحرين، سميت فيما بعد "قناة السويس".

تبلغ مساحة سطح البحر الأحمر حوالي 438 ألف كيلومتر مربع. ويمتد على طول ما يزيد عن ألفي كيلومتر وعرض ثلاثمئة كيلومتر. ومثل هذا البحر الضيق متنفساً اقتصادياً وحضارياً للعرب خاصة، فالدول المطلة عليه في معظمها عربية، باستثناء إسرائيل. فهو "خليج عربي" آخر بصورة مختلفة.

النفط يمر عبر البحر الأحمر ومعه تمرّ التحديات الأمنية التي خلقتها تطورات الأحداث على الضفتين الشرقية والغربية منه. فبينما تشهد العربية السعودية استقراراً أمنياً وسكانياً، ومثلها مصر والأردن، تتعرض بقية دول البحر الأحمر لمخاطر عديدة، فإن السودان حاول تجاوز هذه التحديات، لا سيما بعد انفصال الجنوب، وإريتريا كذلك بعد تسوية مشاكلها مع إثيوبيا، أما اليمن فمتفجر وكذلك الوضع في الصومال، وجيبوتي تكمل الخارطة بالمزيد من التفاهمات والمزيد من القواعد العسكرية على أراضيها.

قرصنة محلية وأخرى دولية

اللاعبون الدوليون والإقليميون يدركون أهمية البحر الأحمر، ولذلك فقد حرصوا على تثبيت قواهم بشكل أو بآخر في هذه البقعة أو تلك من الدول المعنية به، وكان من بينهم العرب أنفسهم الذين اقترحوا من خلال الجامعة العربية أواخر السبعينات تشكيل قوة مشتركة لمواجهة أيّ مخاطر محتملة تهدد أمن البحر الأحمر. بالطبع لم تشكل تلك القوة، رغم أن الحديث عن مثيلتها عاد اليوم مع تحقق الاحتمالات القديمة بتهديد الأمن القومي. ليس فقط بسبب تصاعد القرصنة جنوب البحر الأحمر، بل لأن المنطقة العربية برمتها بدأت تشهد تهديدات إيرانية عملية بغية التوسع وبسط النفوذ. إضافة إلى ظهور القاعدة وداعش في كل من اليمن وسيناء.

وقد اشتغلت فرق مراكز الأبحاث العالمية على دراسة الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر، وبقي العالم العربي مقصراً كعادته في هذا، رغم أنه الطرف المستفيد الأكبر من ضبط أمن البحر الأحمر وفي الوقت ذاته المتضرر الأكبر من تقدم المصالح المختلفة ليكون لها موطئ قدم في مياهه.

يقول الخبراء العسكريون والاستراتيجيون إنه مع تراجع الحضور البريطاني والفرنسي خلال النصف الثاني من القرن العشرين، فقد تحوّل الأمر إلى تنافس أميركي روسي (سوفييتي). وبظهور المشروع الإسرائيلي ظهرت مشاريع إقليمية منافسة، منها المشروع الصيني والمشروع الإيراني والمشروع التركي والمشروع الإثيوبي. ويذكر اللواء بحري ركن مسفر بن صالح الغامدي في كتابه "تداعيات صراع القوى الخارجية والإقليمية على النفوذ بمنطقة البحر الأحمر" إن جميع هذه المشاريع ذات أطماع وأهداف ومصالح تقوم على حساب الأقطار العربية. فإسرائيل سارعت إلى احتواء إريتريا، وإقامة قاعدة عسكرية خاصة بها في ميناء مصوع، والاستفادة من الجزر الإريترية على امتداد ساحلها على البحر الأحمر البالغ أكثر من ألف كلم والذي يضم أكثر من 360 جزيرة.

ومن أهم تلك القواعد قاعدة رواجيات ومكهلاوي على حدود السودان، مع ضمان إقامة قواعد جوية في جزيرة حالب وجزيرة فاطمة ضد مضيق باب المندب، إضافة إلى استئجار جزيرة دهلك التي أقامت فيها تل أبيب قاعدة بحرية.

شرق آسيا القادم إلينا

لم يتوقف الأمر بخصوص المهتمين بالبحر الأحمر على دول المنطقة والدول الكبرى، فقد امتد ليشمل الدول البعيدة، والتي تخطط لمستقبل نفوذها في خارطة العالم، ومنها دول جنوب شرق آسيا مثل الصين واليابان.

فاليابان منزوعة المخالب عسكريا، لا يمكنها أن تتسامح مع أيّ تهديد لأمنها الاقتصادي، ومنذ اللحظة التي رصدت فيها ما يحدث في المشرق العربي، بدءاً من العام 1973 وأزمة النفط التي تسبب بها إيقاف النفط العربي، اتخذت قراراً بأن يكون لها دور أكبر في البحر الأحمر والخليج، فاتجهت إلى تعزيز علاقاتها وتعاونها التجاري والاقتصادي مع الدول العربية في المنطقة. حيث تشكل الصادرات النفطية السعودية إلى اليابان النسبة الكبيرة من إجمالي واردات اليابان النفطية. وبالمقابل تعتبر السعودية أحد أهم الأسواق للبضائع اليابانية إذا بلغت قيمة الصادرات اليابانية للسعودية وحدها فقط في عام 1985 أربعة مليارات ونصف المليار دولار. وهذا الرقم يفوق قيمة الصادرات اليابانية إلى الولايات المتحدة والتي بلغت في نفس العام أربعة مليارات وربع المليار دولار. ومنذ ذلك الوقت وتلك الأرقام تتصاعد.

ويؤكد مركز مقديشو للبحوث والدراسات أن سواحل الصومال تعتبر ممرا مهما للسفن التجارية العملاقة المتنقلة بين قارات العالم، الأمر الذي ساهم في توجيه أنظار الدول الأوروبية إلى أهمية الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به منطقة القرن الأفريقي، وأن يصبح البحر الأحمر وبكل مميزاته وخصائصه الجيوبوليتيكية "آخر محاور الصراع الدولي" وملتقى أهم نقاط الحكم الاستراتيجي، باعتباره حامل البترول ومعبر التجارة الأساسية ومجال تدفق القوى العسكرية ما بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود والمحيط الأطلنطي وبين المحيطين الهادي والهندي.

مشروع تدويل البحر الأحمر

يعد البحر الأحمر وخليج عدن المطل على أجزاء من الصومال من أهم الطرق لتجارة الدول العربية، وبالذات لتجارة دول عربية كبرى، مثل مصر والسعودية رغم ما لهذه الدول من بدائل وإطلالة على بحار أخرى كالبحر المتوسط بالنسبة إلى مصر والخليج بالنسبة إلى السعودية وأن 30 بالمئة من الملاحة البترولية تمر بالبحر الأحمر، وبالتالي فإن أيّ ارتباك في الملاحة في خليج عدن يؤثر سلبيا وبشكل واضح على مصالح تلك الدول، وخاصة دول الخليج العربي التي يمر جزء كبير من صادراتها البترولية إلى أوروبا عبره. وفي ضوء هذه المعطيات يمكن القول إن البحر الأحمر ومنطقة الصومال يصبحان ممراً مهما بالنسبة إلى كل من الدول الخليجية ومصر والعراق.

ولم تمنع الأزمات السياسية والعرقية والمشاكل الاقتصادية والأمنية التي تعصف بمنطقة القرن الأفريقي، عدداً من الدول من أخذ زمام المبادرة والعزم على إيجاد موطئ قدم في الصومال، رغم بروز مشكلة القرصنة.

حتى أن دولاً كبرى نشرت وزير الدفاع يطالبان فيها باتخاذ إجراءات لحماية المصالح الأميركية في المنطقة والتنبه لمسلك الرئيس الجيبوتي الموالي للصين.

ما تزال جيبوتي مشكلة في قلب البحر الأحمر، ففي الوقت الذي يحاول المحور العربي جمع الأطراف في اتجاه واحد، ما يزال لاعبون آخرون يحاولون استثمار أمن البحر الأحمر لمصالحهم، وليس لمصلحة الإقليم. فقد أوردت صحيفة البيان الإماراتية خبراً يقول "رفضت المحكمة التجارية البريطانية المزاعم التي وجّهتها حكومة جيبوتي وآخرون ضد موانئ دبي العالمية. وقالت موانئ دبي العالمية في بيان أصدرته: يسرنا قيام المحاكم البريطانية برفض المزاعم ضد السيد بوريه وبشكل غير مباشر ضد موانئ دبي العالمية حيث قامت موانئ دبي العالمية على مدى 14 عاما بالاستثمار في جيبوتي بشكل كبير ونفخر بمساهماتنا الرئيسية في دعم النمو الاقتصادي للبلد ويؤسفنا اتخاذ الحكومة لهذه الإجراءات وادّعائها ضد شركة موانئ دبي العالمية".

وأضافت البيان "قامت هذه الادعاءات على التهم ذاتها التي رفضتها المحكمة. ونحن نتطلع إلى مواصلة المساهمة في دعم اقتصاد جيبوتي ومجتمعها والاستمرار في تحقيق إنجازات تعزز من سمعتنا المشرفة في المنطقة"، وأوضحت موانئ دبي العالمية أنها ستركز "من الآن فصاعدا على الدفاع بقوة عن موقفنا لكننا نأمل ألا تكون هناك حاجة لذلك في ضوء نتيجة الحكم الذي صدر اليوم".

الأمر الذي أثار غضب دول الخليج العربية على حكومة إسماعيل عمر جيله، ولفت الأنظار إلى طبيعة النظام القائم في جيبوتي. وإزاء خطر فرض عقوبات عليه في حال فوزه بولاية رابعة، يسعى جيله لتحسين علاقاته بالمملكة العربية السعودية وعرض تقديم قاعدة دائمة للبحرية السعودية، لتكون على شكل تسهيلات تذلّل مصاعب عملية عاصفة الحزم في اليمن. بيد أن العلاقة الأميركية-الجيبوتية مرشحة للتراجع ويقال إن واشنطن تتجه لاختيار منطقة تقع بالقرب من بورسودان في شمال السودان من أجل إقامة قاعدة بحرية بديلة للاستغناء نهائياً عن جيبوتي.

شمالاً يعمل كلّ من الأردن وإسرائيل على شق قناة من البحر الأحمر إلى البحر الميت، وحمل المشروع اسم "ناقل البحرين" ويهدف كما قيل إلى إنقاذ البحر الميت، ما يذكّر بمشروع البريطاني ولين آلن في العام 1855 والذي سمّي حينها بمشروع "البحر الميت - طريق الهند الجديد" لربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الميت، ولتكون تلك القناة الجديدة بديلاً عن قناة السويس المصرية.

وقالت صحيفة معاريف في ديسمبر من العام 2013 إن المشروع الجديد، الذي يهدف إلى مدّ أنبوب يربط البحر الأحمر بالبحر الميت، "لا علاقة له بإنقاذ البحر الميت، عدا أنه ينذر بكارثة بيئية محتملة". مضيفة أن "إنقاذ تراجع منسوب المياه في البحر الميت يتطلب ضخ مليار متر مكعب سنوياً فيه، بينما كميات المياه المقرر أن تصله من هذه القناة ستساهم في أحسن أحوالها بـ10 بالمئة فقط في حل نسبة التراجع السنوية في البحر".

ولا يخفى ما لهذا المشروع من أبعاد استراتيجية أكبر من موضوع المياه، فهو سيحقق لإسرائيل سواحل أكبر مما لديها الآن على البحر الأحمر، ويتيح لها حرية الحركة والمطالبة بالمزيد من الحقوق الدولية فيه.

فوزير الطاقة والتنمية الإقليمية سيلفان شالوم قال لإذاعة الجيش الإسرائيلي إن "المياه سوف تُجلب من خليج العقبة، وسيُحلّى جزء منها لتستفيد به إسرائيل والأردن والفلسطينيون. بينما سينقل الجزء الباقي عبر أربعة أنابيب إلى البحر الميت" وأوضح أن المشروع يتضمن "جوانب اقتصادية تتمثل في تزويد الدول المجاورة بمياه محلاة رخيصة وناحية بيئية تهدف إلى إنقاذ البحر الميت، وأيضا جانب استراتيجي-دبلوماسي".

أجرت مصر مناورات عسكرية مع الجيش الروسي في البحر الأحمر. وحينها قال الخبير العسكري اللواء أحمد عبدالحليم، إن تلك المناورات تعتبر رسالة عسكرية من مصر إلى بعض الدول التي تحاول فرض سياسة الأمر الواقع على مصر، خاصة وأن إثيوبيا اتخذت قرار تسيير مياه النيل الأزرق في 4 قنوات لسد النهضة وتشغيل محطتي توليد كهرباء دون الرجوع لأعضاء اللجنة الثلاثية "مصر والسودان وإثيوبيا"، على حدّ قوله.

وكانت البحرية الروسية قد نقلت معداتها البحرية المشاركة في التدريبات مع مصر عبر قناة السويس الجديدة ومياه البحر المتوسط، وقامت بمشروعها التدريبي في البحر الأحمر، بعد أن تدرب طاقم السفينة "فيتسي أدميرال كولاكوف" خلال المشروع على مكافحة الإرهاب.

> النفط يمر عبر البحر الأحمر ومعه تمر التحديات الأمنية التي خلقتها تطورات الأحداث على الضفتين الشرقية والغربية منه. فبينما تشهد العربية السعودية استقرارا أمنيا وسكانيا، ومثلها مصر والأردن، تتعرض بقية دول البحر الأحمر لمخاطر عديدة

المناورة تضمنت إيقاف سفينة مشبوهة والتحضير لتفتيشها بواسطة مروحية كا-27 والزوارق السريعة. وأيضاً اكتشاف اللغم الافتراضي العائم وتدميره. ودخلت سفينة "فيتسي أدميرال كولاكوف" إلى البحر الأحمر، مقبلة من البحر المتوسط عبر قناة السويس.

يشار إلى أن سفينة "فيتسي أدميرال" وصلت لمصر بعد أن قطعت مسافة تزيد على 3000 ميل، وتعود تسميتها إلى الأدميرال الروسي "كولاكوف".

الصين في نقاط أخرى

في خريف العام 2015 كشفت الحكومة السودانية أن الصين وافقت على الدخول في مشروعات استكشافية جديدة في مجال النفط وولوج مجال إنتاج الغاز في حقول بالبحر الأحمر وسنار وغرب كردفان. وتعتبر الصين أكبر مستثمر أجنبي في السودان، وتعد استثماراتها بالبلاد الأكبر على صعيد أفريقيا، وقد وقع الرئيسان السوداني عمر البشير والصيني شي جين بينغ، اتفاقية شراكة استراتيجية بين الجانبين، شملت اتفاقية لبدء إنتاج الغاز الطبيعي من حقل بولاية سنار.

الصين ستدخل في مجال إنتاج الغاز في مربع "15" بولاية البحر الأحمر، ومربع "4" المعروف بحقل بليلة ومربع "6" شمال هجليج بولاية غرب كردفان، فضلا عن مربع "8" بمنطقة السوكي شرقي ولاية سنار. وكان السودان قد أعلن في العام 2009 بدء إنتاج الغاز من بئر "توكل" في ولاية سنار ضمن مربع "8" بإنتاج 3.7 ملايين قدم مكعبة في اليوم من الغاز المكثف، مشيرا إلى احتياطي كلي بالمربع يبلغ 25 مليار قدم مكعبة.

أوروبا تتراجع عن مناطق نفوذها في البحر الأحمر، وإن بصورة أبطأ من التراجع الأميركي، فيما تتقدم قوى أخرى إلى "البركة" العربية المستهدفة. ويبقى العرب في لحظة سياسية شديدة الخطورة.

> إسرائيل تسبق العرب خطوات في حساب مخاطر الأمن والمستقبليات، فقد سارعت إلى احتواء إريتريا، وإقامة قاعدة عسكرية خاصة بها في ميناء مصوع، والاستفادة من الجزر الإريترية على امتداد ساحلها على البحر الأحمر البالغ أكثر من ألف كلم والذي يضم أكثر من 360 جزيرة

مصر وروسيا تجريان مناورات مشتركة في البحر الأحمر بهدف مكافحة الإرهاب وفرض الأمن

زعيم سياسي مغربي هارب مزج الأصالة بالمعاصرة

إلياس العمري

ماركسي في مواجهة نفوذ بن كيران في الانتخابات المقبلة

يوسف حمادي

❑ **الرباط** – لما كان زعيم الريف المغربي عبدالكريم الخطابي يحث الريفيين على الثورة ضد الاستعمار الأسباني، ويدعو لرفع ثقله الاستغلالي الجاثم على صدور المغاربة، كان في تلك البيوت الصلبة الملتصقة بجبال الريف الوعرة، ضواحي مدن الحسيمة والناظور وبركان والسعيدية، ينمو جيل ثائر من جينات الزعيم الخطابي القائل "إذا كانت لنا غاية في هذه الدنيا، فهي أن يعيش كافة البشر، مهما كانت عقائدهم وأديانهم وأجناسهم، في سلام وأخوّة".

هناك في أحضان سيدات ريفيات مثابرات لا يرضين بالخنوع إلا لرجالهن الذين قالت لي إحداهن، عندما سافرت "العرب" إلى محافظة الناظور لمتابعة التنمية هناك، وقيام العاهل المغربي الملك محمد السادس، وهو ما يزال في بداية عهده بالحكم في المملكة المغربية، بتدشين مطار الناظور، هناك قالت لنا سيدة تدعى "عشوشة" إن الرجل الريفي له فوق حرف الراء شدة مشددة بقوة لا ترتخي إلا بالمعقول والاستقامة.

من هذا المنطلق الفكرو- أخلاقي، سيخرج من نفسه الجيل الثالث لما بعد ثورة "أسد الريف"؛ عبدالكريم الخطابي، شاب من مواليد سنة 1967، اسمه إلياس ولد الفقيه إمام مسجد قرية أمنود، حيث ريح الصقيع تضيف لجلد الإنسان جلدا إضافيا من شدة البرد .

ينتمي إلياس العماري الزعيم الجديد لحزب "الأصالة والمعاصرة"، الذي سيرمي "المطرقة والمنجل"، رمز الاشتراكية، ليركب آلة الجرار، رمز حزب "الأصالة والمعاصرة"، الذي أسسه أحد رجال الدولة المقربين من العاهل المغربي منذ كان وليا للعهد، هو فؤاد علي الهمة، الذي سيستقيل من الحزب مباشرة بعد تعيينه مستشارا بالديوان الملكي، الوظيفة الشمولية التي من شروطها الحياد، والعمل السياسي ضد ذلك، لا حياد فيه.

شمّر العماري عن ساعد الجد والنضال، وقام بعملية إحماء تقني باحترافية وذكاء، وحرّك عجلات جراره الضخمة وآلة حرثه المشكّلة من أقوى شباب اليسار الثوري الاشتراكي المغربي القديم، عازماً على حرث نفوذ حزب العدالة والتنمية، ذي المرجعية السياسية الدينية، الذي يرأسه عبدالإله بن كيران، لا تحدّه حدود ولا تمنعه موانع، فالسياسي الجديد/القديم، ركب أهداف رأسه المدموغ بضربة عصا معلم عدواني حينما كان العماري طفلا صغيرا في مدرسة أمنود.

> إلياس العمري الزعيم الجديد ينتمي لحزب الأصالة والمعاصرة، سيرمي «المطرقة والمنجل»، رمز الاشتراكية، ليركب آلة الجرار، رمز حزب الأصالة والمعاصرة، الذي أسسه أحد رجال الدولة المقربين من العاهل المغربي منذ كان وليا للعهد

ضربة المعلم

بقريته وسط منطقة بني عياش بإقليم الحسيمة، سيملأ طفل لا يعرف للمكوث الطويل الهادئ في مكان بعينه معنى، سريع الانفلات لا يقدر على القبض عليه سوى أمه "خديجة"، المتدربة على القبض بمراس وحكمة على الدجاج العاصي المنفلت، وما عدا أمه فالريح لرجلي إلياس طاقة عالية محركة.

أما في لحظات الهدوء المسائي، فكان الصبي ينزل إلى مركز الدرك الملكي ليسترق النظر في تلفاز حارس المداومة، لمشاهدة حلقة جديد من فلم "طرزان"، الذي كان ضالة الأطفال وحتى الكبار، سنوات السبعينات من القرن الماضي.

كان طرزان، إنسان الغاب، بطلاً سينمائياً عاري الجسد إلا من جلد نمر يستره، لكنه كان شجاعا مدافعا عن قردته "شيتا"، يملأ الدنيا صراخا غريبا تجتمع حوله حيوانات الغاب، بينما كان إلياس يرسم للبطل طرزان في مخيلته الطفولية الواسعة بطولات للآتي من زخم الأحداث وظلم الأيام، التي كانت بدايتها من صورة تلميذ نجيب في المدرسة سيفاجئه معلمه المريض بضربة عدوانية نتج عنها جرح غائر في جمجمة إلياس، ما يزال شاهدا عن عنف ذلك المعلم، الذي فشل في أن يصبح رجل سلطة من رتبة "خليفة قائد"، عندما كانت وزارة الداخلية تدمج في أسلاكها بعض المعلمين الذين كانوا يتعاونون مع موظفيها أيام وزارة الداخلية.

الفقيه وابنه الهارب

كان مغرب السبعينات حقل تجارب فكرية وأيديولوجية. وكانت أدبيات الاشتراكية والشيوعية وكتبها الضخمة الرخيصة جدا، تحمل أفكارا تدعي الخلاص للبشرية. وكان رجال الملكية يقاومون، وكان الفكر اليساري يجد لأفكاره وسجالاته الثورية ملاذا وسط الجامعات المغربية، وخلال أحداث يناير 1984 التي شهدتها عدة أقاليم بالمملكة، نتيجة ما وصفه حزب الاتحاد الاشتراكي المعارض آنذاك بـ"تفاقم الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في البلاد"، وما نتج عن تلك التعابير التي قال وزير الداخلية الراحل إدريس البصري بأنها تمس النظام العام وتسيء إلى الدولة المغربية، مطالبا بملاحقة المناضلين الاشتراكيين واليساريين التقدميين، وتقديمهم إلى المحاكمات بالتأثير على القضاء الذي كان تحت أمر الوزير القوي ووزارته.

حينها كان الشاب العمري ضحية للمخبرين الظالمين الأميين العاملين بأسلاك الداخلية. فاتهم المصلح الريفي بتهمة تمزيق العلم الوطني للمغرب، ويا لها من تهمة ثقيلة في تلك الفترة. كان على إلياس الهروب من الحسيمة في اتجاه دارهم بأمنود، لكن عندما علم والده الفقيه محمد بوصوله إلى البيت هاربا من مواجهة المخزن في المعترك السياسي للوطن، قال له مؤنبا "أهون عليّ يا إلياس أن تأتيني في كفن من معترك النضال الشريف ضد الظلم، على أن تأتيني هاربا مهزوما خائفا".

ماركس يسكن جبة الفقيه

كان لتأنيب والد إلياس وقع على نفسية الشاب المراهق، حتى أضحى وقودا سحريا حثه على مغادرة البيت هاربا من ملاحقة القضاء الذي سيصدر بحقه حكما غيابا في ما بعد، فما كان على المناضل الريفي سوى شده الرحال بلا زاد ولا مال نحو مدينة طنجة "العالية"؛ المدينة العالمية المطلة على أوروبا، التي بين دروبها سيعاني إلياس الثائر الهارب. وعلى عادة أهل الريف الذين لا يرضون بالذل، سيجد يده تمتد من حين لآخر نحو "الخدمي"، أي السكين، في كل لحظة يحس فيها بالخطر أو الإهانة. فالريفي المغربي معروف بين قبائل البلاد باستقامته ورجولته. هي خصال حميدة سهّلت على العماري ظروف العيش والانصهار بين أبناء بلدته الذين تغص بهم مدينة طنجة تجارا ورجال أعمال وبحارة، بل منهم من كان يتاجر بالتهريب والممنوعات، فكانت كل تلك الأجواء، رغم تناقضاتها أحيانا، فرصة سانحة لتقلب إلياس فيها مع تقلبات حياته اليومية، واستمر الشاب يبحث عن ذاته لتحقيق وجوده كشاب ثوري هارب من سلطات محافظته بمدينة الحسيمة، رافعا شعار كارل ماركس "الإنسان أثمن رأس مال في الوجود".

لهذا الهدف قرّر الثائر أن يجعل له رأس مال يدخل به عوالم الاختفاء وراء ظلال الأخلاق، وإظهار نموذج شخصه المثالي للناس، فأخذ يطوف في مدينة طنجة يعيد إنتاج حرفة والده، يؤمّ الناس للصلوات الخمس بالمساجد، بل كان أيضا مفتيا في الدين، وهو الماركسي الذي يقول "الدين أفيون الشعوب". فيا للمفارقة الغريبة، التي سيجد خلالها العماري فرصة عمل غير قار يقتات منه بتحرير الرسائل للراغبين في التواصل مع ذويهم بالمدن المغربية النائية، بل حتى خارج الأراضي المغربية بالدول الأوروبية، وبذلك كان "الفقيه العمري" يحصل على بضعة دراهم يعيش منها منتظرا سفينته للسفر به إلى أرض الأمان، كالمصطفى بطل رائعة "النبي" لجبران خليل جبران.

> الشاب العمري كان ضحية للمخبرين الظالمين الأميين العاملين بأسلاك الداخلية. فاتهم المصلح الريفي بتهمة تمزيق العلم الوطني للمغرب، ويا لها من تهمة ثقيلة في تلك الفترة. كان عليه الهروب من الحسيمة في اتجاه دارهم بأمنود

العفو الملكي يجعله مثيرا للجدل

❑ على امتداد خمس سنوات من الهروب هنا وهناك، بين مدن فاس وطنجة والعاصمة الرباط، بات الزعيم الهارب، يبيع الخضر والورق، متمنيا أن يصبح صاحب مطبعة كبيرة لطبع الكتب، وبقي على حاله بين الفرار والاستقرار، خوفا من القبض عليه من طرف سلطات بلده.

بقي على حاله ذاك حتى سنة 1989 حين أصدر العاهل المغربي الحسن الثاني عفوه الملكي عن المعتقلين السياسيين وفتحه باب الصفح العام، والدخول في المصالحة الوطنية، فكان من بين المعفى عنهم إلياس العماري المحكوم الذي بادر بتأسيس جمعية ضحايا الغازات السامة بأقاليم الريف الشجاع، لتسليط الضوء على محنته وإثارة الانتباه إلى ما عرفه إنسانه من انتهاكات جسيمة خلال مرحلة الاستعمار الأسباني، وستتغير حياة العماري حينها، خصوصا عندما سينسج خيوط علاقة قوية مع رجال الفكر والإعلام والسياسة، ستوصله إلى رجل الدولة الملكي، فؤاد عالي الهمة، وسيكون ذلك "آخر ساعة" لتوقف محنته المضنية.

بعدها سيخرج للعمل المباشر، وسيكلّف بحل ملفات ودعم قرارات خدمة لبلده المغرب في الداخل وفي الخارج، حتى استطاع أن يجمع حوله نفوذا من المجتمع المدني أهّله يوم الجمعة 22 يناير الماضي لينتخب أمينا عاما لحزبه "الأصالة والمعاصرة"، الحزب الخصم التاريخي لحزب العدالة والتنمية الذي يرأسه عبدالإله بن كيران، رئيس الحكومة الحالية، الذي يخاف كثيرا من الحزب القوي، الذي من أهداف برنامجه السياسي "حرث الخريطة السياسية المغربية في الانتخابات البرلمانية القادمة، ودحر العدالة والتنمية إلى الوراء، وهي الانتخابات التي ربما قد تسفر عن تعيين رئيس الحكومة من بين زعماء الحزب الحديث، ومن يدري، ربما تحصل المفاجأة؟

> حزب الأصالة والمعاصرة الخصم التاريخي لحزب العدالة والتنمية الذي يرأسه بن كيران رئيس الحكومة الحالية يشكل فارقاً وازناً في الانتخابات المغربية القادمة

«سيم كارد» ينقذ 13 إنسانا من الموت المحتوم يوميا

الكلية الشريحة
ثورة ستغزو العالم في العام 2017

شهد خالد

❑ **بوخارست** – يعاني ما يقارب من 50 إلى60 من كل مليون شخص في العالم من الفشل الكلوي النهائي الذي يحتاج إلى عملية الغسيل الكلوي أو عملية نقل الكلى، الأمر الذي يحتم عليهم إجراء غسيل دوري في المستشفيات، يكلفهم عناء الذهاب إلى المراكز الكلوية، وقضاء ما لا يقل عن أربع ساعات كل مرة.

يتمنى كل مريض التخلص من هذا العناء، ولكن بهذه الطريقة يظل المريض على قيد الحياة لسنوات طوال وتختفي أعراض الفشل الكلوي جميعها تقريبا، فالعيب الأساسي في طريقة العلاج هذه هو ارتفاع تكلفتها بحيث لا يطيقه إلا عدد محدود من المرضى. وإذا لم تتحمل الدولة أو شركات التأمين جزءًا من تكاليف العلاج أو كلها فلن يقدر عليه أحد. وقد عمدت بعض الهيئات والحكومات المختلفة في بادئ الأمر إلى انتقاء المرضى الذين يعالجون بما يسمى بـ"الديلزة" لارتفاع تكلفتها، ولكن نظراً للضغط الشعبي الكبير والمطالبات الواسعة باستمرار لوجوب إتاحة هذا النوع من العلاج فقد انتشر في جميع أنحاء العالم.

بداية العلاج

تاريخ علاج الفشل الكلوي يعود إلى عام 1942 عندما بدأ كولف وبرك، وهما عالمان أميركيان، باستخدام استصفاء الدم في هولندا. ثم لحق بهما العالم السويدي ألفال في السويد في العام 1947. ومن ثم انتشر استخدام الكلية الصناعية إلى بقية بلدان العالم.

> الخبراء يقولون إن الابتكار الأخير يتجسد في الشريحة المايكروية، والتي تستعمل تقنية السيليكون النانوية، فيما أوضح الدكتور وليام أتش فيسيل، قائد الفريق الذي طور الجهاز، أن هذه التقنية النانوية تستخدم نفس العمليات التي تطورت في صناعة الإلكترونيات الميكروية التي تعمل في الكومبيوتر

كان استصفاء الدم يستخدم أساسا في إنقاذ حياة المرضى المصابين بالفشل الكلوي الحاد، وظل استخدام هذه الطريقة في هذا المرض حتى عام 1960 عندما ابتكر الطبيب الأميركي سكريبنر أنبوبة تفلون يتم تركيبها بين شريان ووريد في الساعد، ويمكن استعمالها بوصلها بجهاز الكلية الصناعية مئات المرات. ثم اخترع الجراح الأميركي سيمينو عملية يوصل بها شريان في الساعد مع الوريد، وبعد مدة حوالي ثلاثة أسابيع تتضخم أوردة الساعد لدرجة تسمح باختراقها بالإبرة التي تنقل الدم إلي جهاز الكلية الصناعية، وإبرة أخرى توضع في الوريد تسمح بعودة الدم من جهاز الكلية الصناعية. وهكذا يمكن استعمال الوصلة الشريانية الوريدية لديلزة الدم للآلاف من المرات، وبهذا أمكن استخدام طريقة الديلزة لعلاج الفشل الكلوي المزمن.

الديلزة الحل المؤقت

بدأ استخدام الديلزة على نطاق ضيّق للغاية بعد التمكن من الدخول إلى الدورة الدموية لحوالي عشر سنين من سنة 1960 إلى سنة 1969. وعندما تبين العالم فاعلية هذه الطريقة الأكيدة في إنقاذ مرضى الفشل الكلوي المزمن من الوفاة، واستعادتهم لنشاطهم وحيويتهم وتمكنهم من العودة إلى عملهم بعد أن أصبحوا أعضاء عاملين في المجتمع، اشتد الاهتمام بهذه الطريقة الجديدة في جميع أنحاء العالم ودخلت تقنية مستحدثة في عالم الطب، وهو علاج مرضى الفشل الكلوي بالديلزة بالكلية الصناعية.

الفشل الكلوي بصفة عامة هو حدوث قصور في عمل الكلية ووظائفها، مما يؤدي إلى اختلال عام في جسم الإنسان. ومن أهم الأسباب المؤدية له التهاب الكلى. ولا يعرف السبب الحقيقي لهذه الإصابة، إلا أن إصابة الجسم بالميكروبات تؤدي إلى اختلال في الجهاز المناعي للجسم، لتتكون مولدات الأجسام المضادة. ونتيجة لذلك يقوم الجسم بتكوين مضادات الأجسام ليتسرب الناتج في أغشية الكبيبات الكلوية.

> الابتكار الجديد سوف يطيح بتجار أعضاء البشر الذين يجدون في شراء وبيع الكلى مهنة مربحة جدا، ويعتمدون عليها بشكل أساسي في عملهم، والكلية الجديدة التي يقال إن سعرها سوف يكون معقولا من الممكن أن تؤثر أيضا على حياة بعض فقراء العالم

ومن الأسباب الأخرى للفشل الكلوي، انسداد المجاري البولية كوجود الحصوة في الحالب أو المثانة أو الإحليل وتضخم البروستات وارتفاع ضغط الدم ومرض السكري بنسبة قليلة، كلها تنتهي بإصابة الكلى وتؤدي إلى الفشل الكلوي. حيث أن ارتفاع ضغط الدم أو السكري يؤديان مع مرور الزمن إلى ضيق الشرايين المغذية للكلية، وبالتالي يحصل ضمور في منطقة القشرة للكلية مما يؤدي إلى إصابة الكليتين بالفشل الكلوي المزمن.

يتسبب بهذا أيضاً الاستخدام المفرط لبعض الأدوية، ذلك أن الإفراط في استخدام الأدوية والمسكنات بالذات لفترة طويلة وبجرعات عالية دون استشارة الطبيب، يعدّ من أهم الأسباب المؤدية إلى الفشل الكلوي، لأنها تصيب نخاع الكلية، الذي يصبّ في حوضها مما يؤدي إلى موتها.

أهم العقاقير المسببة لإصابة الكلية بالفشل هي المسكنات ومضادات الالتهاب. أما أعراض وعلامات المرض فقد لا يشعر بها الشخص لفترة طويلة، ولكن أهمها، الشعور بالتعب والإرهاق الجسدي والذهني وقلة الشهية للطعام وصعوبة التنفس والضعف الجنسي والحكة، وكثرة التبول وخاصة في الليل.

الكلية الاصطناعية بمرحلتها الأولى

منذ العام 2009 فكر العلماء بإيجاد طرق بديلة أسهل لعملية الغسيل هذه تتمثل في ارتداء المريض لجهاز يشبه الحزام، أطلقوا عليه اسم الكلية الاصطناعية المحمولة، وقد جاء التصوّر لهذا الجهاز الفريد، من قبل فريق في مركز سيناي الطبّي في مدينة لوس أنجلوس الأميركية، حيث تتكون من آلة لغسيل الكلى ولكنها مصغرة حيث يمكن ارتداؤها تماما مثل الحزام وتركب في جسمه عن طريق القسطرة، مما يمكّن المريض من ممارسة حياته من عمل أو ترفيه أو حتى الاسترخاء أثناء ارتدائها.

الكلية الصناعية تلك هي جهاز خارج الجسم يوصل بالدورة الدموية للمريض ويمرّر فيه الدم، ليقوم بإنشاء توازن لأملاح الدم والمواد الذائبة في الماء ويعيدها إلى مستواها الأصلي الطبيعي، ومزوّد بآلية تسمح بالترشيح المستدق لخروج الماء من الجسم، أهمّ مكونات دورة سائل الغسيل هي وحدة تجعله متناسبا على الدوام في تركيزه ودرجة حرارته مع وجود مقياس دقيق لسرعة مرور السائل وضغطه وتركيزه وآلية لوقف مرور السائل إذا اختلت أيّ من هذه المقاييس.

الجزء الأساسي في جهاز الكلية الصناعية هو المرشح، الذي ينبغي حساب قدرته الترشيحية بدقة قبل الاستعمال، يمرر الدم من جسم المريض بخروجه من شريان يوصل بالمرشح ويعود إلى المريض في وريد بعد ترشيحه ويدفع الدم داخل المرشح بمضخة الدم.

تتميّز هذه الكلية الاصطناعية (الخارجية) بخفة وزنها مقارنة بأجهزة الغسيل التقليدية في المستشفيات. فهي تزن حوالي 5.4 من الكيلوغرامات فقط، ممّا يسهل ارتداءها من قبل المرضى. كما أنها تعمل بكفاءة في تصفية دم المريض من الفضلات، وتتألف من نوع جديد من المضخات التي تعمل على تنظيم تيارات الماء والدم وهي تتشابه في الوظيفة إلا أنها توفر من كمية المياه المطلوبة في الغسيل فبدل من استهلاك 150 لترا، فإنها تستهلك نصف لتر فقط لإتمام هذه العملية في كل مرة، وسعى فريق البحث لمزيد من التجارب لهذا الجهاز الجديد على المرضى للتأكد من فعاليته في حل هذه المشكلة.

الكلية المعجزة

في سابقة علمية لا مثيل لها، اخترع علماء من جامعة فاندربيلت في الولايات المتحدة الأميركية، أول كلية اصطناعية قابلة للزرع في جسم الإنسان. تحتوي على شريحة فلتر مايكروية مع خلايا كلوية حية تستطيع العمل بواسطة قلب المريض.

هذه الكلية الحيوية الاصطناعية تعمل مثلها مثل الكلية الطبيعية. فهي تزيل الأملاح والماء والفضلات من دم المرضى الذين يعانون من الفشل الكلوي ويعتمدون على أجهزة الغسيل.

وآلية عمل الكلية الجديدة تتم من خلال احتوائها 15 طبقة من هذه الشرائح موضوعة فوق بعضها البعض، تعمل هذه الشرائح كفلتر وتتصرف كنظام إسناد لحاجات الخلايا الحية، هذه الخلايا الحية هي عبارة عن خلايا كلوية تمت تنميتها في المختبر لتكون كمفاعل حيوي للخلايا الحية، هذا الغشاء من الخلايا الحية سيفصل بين المواد الكيميائية النافعة والمواد الضارة.

ويقول الخبراء في هذا المجال إن الابتكار الأخير يتجسد في الشريحة المايكروية، والتي تستعمل تقنية السيليكون النانوية، فيما أوضح الدكتور وليام أتش فيسيل، قائد الفريق الذي طوّر الجهاز، أن هذه التقنية النانوية تستخدم نفس العمليات التي تطورت في صناعة الإلكترونيات الميكروية التي تعمل في الكومبيوتر، إلا أن الكلى الاصطناعية لا تتطلب أيّ مصدر خارجي للطاقة وتعمل على تدفق الدم فقط على عكس أجهزة الكمبيوتر.

لكن التحدي الذي واجه الباحثين هو كيفية الحصول على تدفق الدم ومروره خلال الجهاز من دون أيّ ضرر أو تخثر، وهو السبب الذي جعل فيسيل وفريقه يتعاونون مع المهندسة الطبية الأميركية أماندا بوك لمعرفة الأماكن داخل الجهاز، والتي يمكن أن يتخثر فيها الدم باستخدام قوانين جريان الموائع والنمذجة الحاسوبية، وكانت بوك قادرة على تحسين وتطوير شكل القنوات داخل الجهاز مما يسمح للدم بالجريان فيها بسلاسة، كما استخدمت تقنية الطباعة ثلاثية الأبعاد لفحص النماذج وتحليل أدائها.

أمل الفقراء

❑ كانت شبكة شراء وزراعة الأعضاء الأميركية قد أعلنت أن هنالك 100 ألف مريض في أميركا ينتظرون شراء كلية مع حصول 15 مريضا منهم فقط على كلية في العام الماضي، ومن هنا قد يمنح هذا الجهاز الجديد الأمل لمن هم على قوائم الانتظار، ولكن قد يطول الانتظار قليلا خصوصا مع إعلان الفريق العلمي تاريخ بدء التجارب السريرية لهذه الكلى الاصطناعية، وهو نهاية عام 2017. وبالنظر إلى النقص في عدد مانحي الكلى، يقلل الجهاز من الطلب على زراعة الأعضاء لدى مرضى الفشل الكلوي، حيث تقدر مؤسسة الكلى الوطنية بأن هنالك ما يقارب 460 ألف مريض في المرحلة النهائية من فشل الكلى وأن 13 مريضا منهم يموتون يوميا بانتظار كلى ممنوحة للزرع.

الابتكار الجديد سوف يطيح بتجار أعضاء البشر الذين يجدون في شراء وبيع الكلى مهنة مربحة جدا، ويعتمدون عليها بشكل أساسي في عملهم، والكلية الجديدة التي يقال إن سعرها سوف يكون معقولا من الممكن أن تؤثر أيضا على حياة بعض فقراء العالم الذين يضطرون لبيع كلاهم طمعا بالمال الذي يعينهم في استمرار معيشتهم، خصوصا هؤلاء الذين يعيشون في بلدان العالم الثالث.

فنانة تحررت من الوصفات الجمالية الجاهزة

نازلي مدكور
رسامة الأقلية السعيدة

فاروق يوسف

❑ **لندن** – مثلما فعل الرسام الفرنسي كلود مونيه مع زهوره المائية فإن نازلي مدكور يمكنها أن تستمر في رسم الربيع إلى ما لا نهاية، من غير أن يتكرّر المشهد الذي ترسمه. ما من ورقة وما من زهرة وما من شجرة ترسمها إلا وتظهر مرة واحدة. من لوحة إلى أخرى لا شيء يتكرر حتى وإن كان الموضوع واحدا.

العالم لن يتغير

"العالم لم يتغيّر" يمكنها أن تقول وهي تقصد "نحن الذين نتغيّر". تهبنا مدكور العالم الذي ألفناه وعشنا فيه لتقنعنا بصريا أننا لم نره من قبل. متعة الرسم لديها تنتقل مثل عدوى إلى المشاهد لتضعه في جوهر الطبيعة. ذلك الجوهر الذي لا تصل إليه الحواس مباشرة.

لا تهمّها التفاصيل كثيرا، بالرغم من أن كل ضربة فرشاة لا تخطئ طريقها إلى مكانها المناسب. المكان الذي يستدعيها على سطح اللوحة.

المشاهد التي ترسمها تظل حيّة، طازجة وليّنة تنعش العين برذاذها اللوني. غير أن تلك المشاهد لا تحيل إلى الطبيعة. صحيح أن كل شيء في تلك المشاهد مستلهم من الطبيعة، غير أن الفنانة صنعت من كل ما رسمته شيئا آخر عن طريق الارتجال.

كل هذه الخفة التي تظهر في رسوم مدكور ليست من نتاج النظر المباشر. إنها خفة روحية تزيح عن المرئيات كثافتها المادية. تعرّيها من زينتها لتحتفي بجمالها الحقيقي، وهو الجمال الذي يقترحه الفن.

تكمل نازلي مدكور الطريق الذي بدأه أسلافها الانطباعيون، غير أنها تنحرف بالانطباع إلى هدف مختلف. وهو ما يؤهلها أن تكون الفنانة العربية الوحيدة التي تنتمي إلى تيار الانطباعية الجديدة. وهو تيار حداثوي يكسر الحدود بين التشخيص والتجريد، ذاهبا إلى ما هو أبعد من المشهد الطبيعي من غير أن يجرده تماما.

لذلك تستلهم نازلي مدكور حريتها من علاقة يقيمها الرسم بالطبيعة هي مزيج من الشغف المجنون بالجمال الطبيعي والرغبة في أن يتحرّر ذلك الجمال من صورته الجاهزة، ليخلص إلى جوهره.

> المشاهد التي ترسمها مدكور تظل حية، طازجة ولينة تنعش العين برذاذها اللوني. غير أن تلك المشاهد لا تحيل إلى الطبيعة. صحيح أن كل شيء في تلك المشاهد مستلهم من الطبيعة، غير أن الفنانة صنعت من كل ما رسمته شيئا آخر عن طريق الارتجال

رائدة الانطباعية الجديدة

ولدت نازلي مدكور في القاهرة عام 1949. درست السياسة والاقتصاد وعملت خبيرة في المجالين بمكتب الأمم المتحدة في مصر، ثم أصبحت خبيرة اقتصادية في مركز التنمية الصناعية التابع للجامعة العربية. تزوجت وأنجبت. غير أن كل تلك النجاحات الاجتماعية والمهنية لم تنسها ولها قديما بالرسم. التحقت بمدرسة فنية لمدة سنة ونصف السنة ثم سافرت إلى إيطاليا لتلتحق بجامعة متخصصة بالطلاب الصيفيين. حين أقامت معرضها الشخصي الأول وفوجئت بالأقبال عليه قررت أن يكون الفن مصيرها فاعتزلت العمل الإداري في مجال الاقتصاد لتتفرغ للفن. حياة ليست عادية، فهي تنطوي على قدر عظيم من التضحية من أجل الفن في بلد مثل مصر، الوظيفة فيه، إن كانت من نوع الوظائف التي شغلتها نازلي تعني وضعا اقتصاديا مريحا.

تذكّرني نازلي هنا ببول غوغان الرسام الفرنسي الذي ترك وظيفته في البورصة ليستسلم لرياح الرسم الذي أخذته إلى آخر الأرض في تاهيتي.

بدلا من أن تذهب إلى آخر الأرض ذهبت نازلي إلى آخر الرسم. وهو ما يجعلها من وجهة نظري مطمئنة إلى أنها لن تكون جزءا من الوصفة الجمالية المصرية. نازلي هي امرأة أخرى بالرغم من أنها تكمل بنضالها وكدحها اليومي مسيرة نساء مصريات عظيمات ناضلن من أجل أنوثة الرسم. جاذبية سرّي وتحية حليم وإنجي أفلاطون وسواهن من رائدات الرسم في مصر.

ما تتميز به نازلي أنها وهبت الرسم المصري الحديث شيئا من خارجه، في إمكانه أن يغيّر الكثير من العادات البصرية. ربما لأنها لم تدرس الرسم أكاديميا في مصر فلم تنتقل إليها عادات المعلمين. وربما لأنها جاءت من خارج المزاج الثقافي بمزاج تصويري مختلف.

غير أن المؤكد أن هذه الفنانة وهبت الرسم المصري الحديث فرصة أن ينفتح على تيار الانطباعية الجديدة. وهو تيار لم يتعرف عليه الفن في العالم العربي.

سليلة الشغب

من أجل أن يكون الربيع ممكنا تخترع نازلي مدكور ورودها. من وجهة نظرها فإن ذلك يعني أن يكون الفنان معاصرا وأيضا أن يكون الفن قادرا على صنع صورة مستعارة من الحياة المتخيّلة. تحيلنا رسوم نازلي إلى انطباع يقع في لحظة إشراق أو انخطاف شعري. وهي لحظة عابرة لا تستند إلى شيء من الواقع. الواقع الوحيد الذي تؤمن به الفنانة هو ذلك الذي يتشكّل على سطوح لوحاتها. من خلاله نستطيع أن نستغرق في تفاصيل حياة مجاورة.

نكتشف أيضا لذائذ تأمّل طبيعة مجاورة. وهنا بالضبط يكون الفن ضروريا. إذ أنه بطريقة أو بأخرى يعيدنا إلى اكتشاف ما كنّا رأيناه بطريقة عابرة من غير أن نقف أمام سحره. ما تفعله نازلي ليس غريبا على الفن العالمي. هناك تجارب فنية سعيدة حاولت أن تظهر إعجابها بالطبيعة، لكن بطريقة متمردة ومشاغبة، تقدم هذيان الفن على العواصف التي ينطوي عليها صمت الطبيعة. الانطباعيون الفرنسيون كلهم حاولوا أن يستفزوا الطبيعة حين استعرضوا مفاتنها وهي تتغير وفق مزاج متقلب. غير أن الأميركيين، وفي مقدمتهم سي توملي، سعوا إلى القبض على مزاج الطبيعة في حالته التجريدية الصافية. وكما أرى فإن المصرية نازلي مدكور تسعى إلى التعريف بذلك المزاج عربيا. هي طراز آخر من الفنانين. ذلك الطراز الذي يعيد تخيل العالم لا من جهة كونه أيقونة ثابتة بل باعتباره مجموعة متلاحقة من التركيبات، التي تتمكن الفنانة من إعادة تركيبها في كل لحظة رسم. ولا أبالغ إذا ما قلت إن روحا متفائلة تتخلل الهواء الذي يحيط برسوم مدكور، كما لو أنها الرسالة الخفية التي تسعى الفنانة إلى إيصالها إلى المتلقي لتجعله سعيدا. يمكنني القول إن نازلي تنتمي إلى الأقلية السعيدة في العالم العربي.

تعيد صياغة ما تتخيله

منذ سنوات طويلة تركت نازلي مدكور العادة التقليدية في رسم تخطيطات مسبقة للوحة. ليس لديها مصغرات قلمية. تتجه كما تقول مباشرة إلى قماشة اللوحة لترسم. وهو عمل يتطلب استعدادا روحيا مسبقا للرسم. لتلقي صدماته غير السارة وأخباره المفرحة على حد سواء. غير أن خبرة نازلي بعالمها هي ليست من النوع الرياضي الذي يستند على فرضيات مسبقة. ما ينقص لديها يكمله ما يزيد. وهي تعترف أن خبرتها تتبلور مع كل لوحة جديدة تقبل عليها. رسامة من نوع نازلي إنما تقوم باستخراج رسومها من داخل السطح كما لو أن ذلك السطح يمثل بالنسبة إليها خزانة لخيالها المشبع بالمشاهد الطبيعية. وهي مشاهد لا زمن محددا لها. ما تسمّيه الفنانة بالربيع هو الزمن كله. وهو مقياسها لجمال الحياة التي إن لم تكن جميلة في الواقع فعليها أن تكون كذلك في الرسم. ولأنها تدرك أن اللعبة يمكن أن تنزلق بها إلى العبث فإن نازلي تمارس الكثير من الانضباط وهي تراقب كائناتها وهي تنمو أثناء الرسم. فهي لا تكتفي بإعادة صياغة ما تراه بل وتعمل جاهدة على إعادة ما تتخيله. وهو ما يجعلها تقف في أحيان كثيرة على حافة التجريد.

نازلي مدكور التي صنعت من الرسم الخالص قضية لها وهبت الرسم المصري فرصة مثالية للخروج من عنق زجاجة الوصفة الجاهزة لتنفتح به على العالم.

لا تلوموا الروائيين كثيراً

أهلا بكم إلى عالم الرواية الممل

هيثم الزبيدي
كاتب من العراق مقيم في لندن

❏ ثمة شيء لا يغري بمطالعة رواية عربية معاصرة، أو التوقف عن مطالعتها بعد عدد من الصفحات. من الصعب توصيف هذا الشيء ولكن يمكن القول إن الكثير من الروايات العربية المعاصرة تبدو وكأنها في وادٍ آخر. الطريف في هذه المفارقة هو أنك ما تقرأ رواية إلا لكي تذهب بك إلى وادٍ آخر، ولكنه وادٍ غير الوادي الذي تأخذك إليهِ روايتنا العربيةُ المعاصرة.

يمكن أن تسحرك الرواية وتعيش في أجوائها. تغوص في أعماق الشخصيات وتتحول المشاهد الوصفية النصية إلى صور في مخيلتك. عندما تشاهد فيلما مقتبسا عن رواية سبق وأن طالعتها، قد تعاني من الصدمة عندما تجد أن كاتب السيناريو رسم صورة مغايرة لتلك التي في عقلك عن الرواية أو أن الشخص المسؤول عن الكاستينغ، أي اختيار الممثلين الذي يقاربون في أوصافهم وأصواتهم شخصيات الرواية، لم يوفق – على الأقل من وجهة نظرك. إلى هذه الدرجة يمكن أن ننغمس في العمل الروائي المبدع.

يذهب البعض في وصف الرواية وقدرتها على التأثير مقارنة ببقية الأجناس الأدبية إلى حد القول بأنها أرفع ما يمكن أن يقدمه الإبداع. والرواية هي المؤسس في الكثير من الأحيان للفنون البصرية المتحركة من سينما ودراما تلفزيونية ومسرح. وهي بالتأكيد ليست قصة طويلة.

أين العيب إذن في الأعمال الروائية العربية المعاصرة بما يجعلها منفّرة أو على الأقل غير جذّابة؟

لعل النقاد هم الأقدر على وصف الإشكالية الروائية العربية المعاصرة. ولكن للقارئ الحق أيضا في أن يقول ماذا يجعله يهرب من الأعمال التي يتمّ نشرها هذه الأيام. وأنا قارئ.

لنضع جانبا السقطات اللغوية والنّحوية والأسلوب في الكتابة. هذه قضايا تعاني منها الكتابة العربية عموما، من المقال الصحفي إلى خطب الزعماء ونصوص الشعراء. حجم الركاكة في الكتلة النصية العربية المتداولة في مختلف وسائل النشر والإعلام والأدب شيء استثنائي.

تبدو الرواية العربية المعاصرة أسيرة قضايا محددة. يبدو عالمها وكأن عقارب الساعة فيه توقفت عند زمن معين، زمن الوعظ والإلقاء أكثر منه زمن الوصف والغور في الشخصيات. الغاية من السرد تبدو وكأنها بعيدة عن بناء مشهدية الرواية وشخصياتها، بل هي تقارب موقفا نفسيا للكاتب الروائي عادة ما يصبه في عدد قليل من الصفحات ويترك الباقي وكأنه تكرار أو حشو لا معنى له.

هذا موضوع خطير لأنه يضيّع الهدف من الرواية كلها. عندما أصدر الروائي الألماني بيرنهارد شلينك روايته "القارئ" عام 1995 مثلا، كان أول سؤال طرح عليه: ماذا تريد أن تضيف إلى قصص وحكايات الهولوكوست المتداولة؟ من حق الروائي أن يكتب ما يشاء، ولكن عليه أن يفكر عميقا في المتلقي وإن كان مهتما بالأصل بهذه القضية أو تلك أو إذا كان ما سيقدمه ينتمي إلى صنف التكرار. هل تريد أن تكتب رواية لتوصف بأنك روائي أم لكي يقرأ الناس روايتك؟

المجال الحيوي للروائي العربي أيضا محدود. البيئة الاجتماعية العربية تبدو وكأنها تخنق نفسها بنفسها. على الروائي (أو الروائية) أن يضيف الصفحات عن الدين أو الجنس أو غيره من المحظورات كنوع من التوابل لضمان الاهتمام. عمّاذا يكتب الروائي العربي إذا لم يكتب عن الدين والسياسة والجنس؟

الترجمة بدورها كانت عقبة أمام تقدم فن الرواية العربية بعد الانطلاقة الكبيرة في الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي. الروائيون العرب الأوائل قرأوا ما كتب الروائيون الغربيون مترجما وقاموا بمحاكاته من بيئتهم الثرية. قاهرة نجيب محفوظ كانت غنية بالتفاصيل، السياسية والاجتماعية والعبثية ممّا يوفر له ما يوصّفه في رواياته القريبة نفسيا من روح الرواية الغربية. ولعل هذا ما سهّل وصولها إلى القارئ الغربي. بساطة القرية المصرية وتعقد منظومة قيمها في آن كانتا أيضا مادة ثرية ليحيى حقي في الأربعينات ليكتب شيئا يذكّر بتحولات القرى والأرياف في أوروبا في مواجهة التطور الحضاري والتبدلات الاجتماعية.

* تخطيط: ساي سرحان

الروائي اليوم لا يزال يقرأ الروايات الغربية المترجمة من أوائل القرن العشرين، وصار من النادر أن نجد من يقوم بترجمة الروايات الغربية، أو العالمية عموما، إلى العربية. الرواية جنس أدبي متطور مثلها مثل كل الفنون المرتبطة بالإبداع. من دون تلاقح مع الثقافات والتجارب الأخرى، سنبقى ندور حول أنفسنا. ليس من قبيل المصادفة أن الروائيين العرب المعاصرين ممن استقطبوا الأضواء بأعمال روائية مؤخرا، هم من القلّة التي تتقن اللغة الإنكليزية والتي تتيح لهم الفرصة لقراءة ما يكتبه الآخرون.

الرواية المملة والسطحية التي نهرب منها اليوم هي التعبير الحيّ عن أزمة الثقافة ومجتمعاتنا. دعونا لا نلقي بالكثير من اللوم على الروائيين.

سؤال نسوي بامتياز

سيمون دي بوفوار معادية للنساء

حميد زناز
كاتب من الجزائر

❏ "سيمون دي بوفوار والنساء " ذلك كان عنوان الكتاب المثير الذي أصدرته الباحثة والناشطة النسوية الفرنسية ماري جوزيف بوني أخيرا والذي قد يعيد النظر في المكانة المميزة التي احتلتها الفيلسوفة الشهيرة في الحركة النسوية الفرنسية الحديثة. فهل كانت صاحبة "الجنس الآخر"، ذلك الكتاب الذي اعتبر كإنجيل للحركة النسوية العالمية، معادية للنساء ولم يكن ما كتبت وقالت سوى تضليل للرأي العام؟هل كانت راية الحرية وخاصة حرية المرأة مجرد شعار لدى السيدة سيمون؟ هل كانت نسوية مزيفة؟

على إثر دراستها المعمقة والدقيقة لكل أعمال سيمون دي بوفوار، والتأمل في مقولاتها ومتابعة مراسلاتها وما كتبه عنها غيرها، بالإضافة إلى تحليل وتأويل بعض الأحلام التي روتها سيمون ذاتها وكذا العودة إلى طفولتها، قدمت صاحبة "الحب بين النساء" للقارئ سيمون دي بوفوار أخرى غير معهودة، بعيدة عن تلك الصورة الوردية التي عادة ما يقدمها الإعلام عن صديقة سارتر. وسيجد هذا القارئ صعوبة كبيرة في الاستمرار في اعتبارها من رواد ومنظري النسوية في القرن العشرين. لقد فكك كتاب ماري جوزيف بوني الأسطورة بطريقة منهجية بعيدا عن التحامل وعن كل مجاملة أيضا على الرغم من صداقة ونضالات نسوية وسياسية عامة مشتركة جمعت بين الكاتبتين. تتحدث المؤلفة عن عملية إجهاض سرية محتملة قامت بها سيمون دي بوفوار في شبابها في ظروف صعبة وحاولت أن تخفيها بكل ما أوتيت من دهاء إذ تقول الكاتبة إن سيمون فعلت كل شيء لخلط الأوراق بل كذبت كثيرا لتجميل سيرتها الذاتية. ولكن لم تعد سحاقيتها المموّهة خافية على أحد كما تبين شهاداتها العديدة في مراسلاتها الخاصة ولا برودتها القاسية تجاه عشيقاتها الشابات التي كانت تستغل أجسادهن مع غياب كل تجاوب تضامني مع هيامهن. وتذكر الكاتبة أيضا تصرف سيمون دي بوفوار غير اللائق مع صديقاتها اليهوديات واستعمال بعض الكلمات التحقيرية في حق نساء أخريات هذا إذا لم تتجاهلهن بشكل فاضح. تربت سيمون في كنف أب طالما ردد على مسامعها أنها كانت تملك "دماغ ذكر" حتى وصلت هي نفسها وبسرعة إلى قناعة مفادها أن الأنوثة في النصف الأول من القرن العشرين هي بمثابة العقبة الكأداء أمام كل محاولة للاقتراب من المهن الفكرية.

وتصفها المؤلفة بأنها امرأة من جليد يدفعها الثأر من تاريخ عائلة وجّهتها دائما للتصرف بهدف أن تكون مساوية للرجال، أن تصل هي إلى المساواة وليس الدفاع عن ترقية النساء على اختلاف خصوصيّاتهن.

كانت مهووسة بالوصول إلى مساواة مع الرجال، إلى اللحاق بجنس الذكور، التمتع بالذكورة المتفوّقة. وربما يصاب من كان يؤمن بأسطورة سيمون النسوية بخيبة أمل كبيرة حينما يكتشف رويدا رويدا عبر صفحات الكتاب الموثق جيدا أن الكاتبة الوجودية الشهيرة لم تكن تحب النساء ولكن هي ذاتها، هل أحبت نفسها بما يكفي؟ نلتقي عبر كتاب ماري جوزيف بوني مع امرأة شديدة التعقيد، حقودة في علاقاتها مع أمّهات الفتيات اللواتي كانت تستمتع بأجسادهن، وتتقاسمهن مع صديقها الفيلسوف جان بول سارتر وتستعملهن بغرض إحكام قبضتها عليه. "حينما التقيت بسيمون دي بوفوار سنة 1971، في إطار 'حركة تحرير النساء' كانت مثار إعجاب جميع نساء جيلنا، تقول الكاتبة، كانت مثال المرأة الحرة التي ترفض الزواج وإنجاب الأطفال مع معاشرتها للفيلسوف جان بول سارتر في مساواة تامة. ولكن مع صدور مراسلاتها اضطررنا أن نعيد النظر في الحكاية: بدأت تظهر على الملأ سيمون أخرى، سيمون الحقيقية مميطة اللثام عن وجه امرأة لا تريد الاعتراف بحبها الشبقي لعشيقاتها، وهكذا بدا التناقض الفظيع بين حياتها المخفية وخطابها التحرري الداعي للانعتاق في كتاب (الجنس الآخر)".

و تتساءل ماري جوزيف بوني "لماذا نستمر في اعتبارها مرجعية النسوية المعاصرة بينما هي غير واضحة بل تعاني من ازدواجية في علاقاتها مع النساء؟"، سؤال في غاية الأهمية وخاصة حينما تطرحه مؤرخة، مختصة في تاريخ النساء ومناصرة تاريخية للقضية النسوية، ساهمت بفعالية في "حركة تحرير النساء" وفي الجبهة المثلية للعمل الثوري في سبعينات القرن المنصرم.

* تخطيط: ساي سرحان

❏ تصفها المؤلفة بأنها امرأة من جليد يدفعها الثأر من تاريخ عائلة وجهتها دائما للتصرف بهدف أن تكون مساوية للرجال، أن تصل هي إلى المساواة وليس الدفاع عن ترقية النساء على اختلاف خصوصياتهن. كانت مهووسة بالوصول إلى مساواة مع الرجال، إلى اللحاق بجنس الذكور، التمتع بالذكورة المتفوقة ❏

رثاء مشرعي الإنسانية

خلدون الشمعة
ناقد من سوريا مقيم في لندن

❏ الذين يصرون على أن قوة الحق ستهزم حق القوة، إنما يكررون أسطوانة قديمة تدور منذ قرون دون انقطاع: كان الشاعر العربي يرى أن الكلمة (مع وجود استثناء هنا أو هناك) أشد مضاء من السيف. وكان فليتشر سالون يرى أن أغاني الشعب أشد أهمية من قوانينه.

وكان شيلي يمجد الشعراء ويؤكد أنهم مشرعو الإنسانية غير المعترف بهم. ودفع المتنبي حياته ثمنا للكلمة عندما أراد أن يضعها من حيث الأهمية موضع الفعل الملزم نفسه. غير أن كل الخطب الرنانة التي ألقاها ديموستين لم تفلح في إنقاذ اليونان من الانهيار. كما لم تفلح الخطب العظيمة التي ألقاها شيشرون في تأخير سقوط الجمهورية الرومانية.

ولم تستطع قصيدة أبي البقاء الرندي "لكلِ شيء إذا ما تم نقصانِ.." أن تفعل شيئاً في محنة الأندلس.. تماماً كما أخفقت أشعار ملتون في الحفاظ على وحدة إنكلترا. وبالمقابل كان هناك فولتير وبيرك اللذان صار ينظر إليهما على أنهما يمثلان سلطة أخلاقية عظيمة بمعنى من المعاني.

وقد خلّف عقد روسو الاجتماعي علامة لا تمحى وأصبح معلماً بارزاً في تاريخ أوروبا. وكان لرأس المال لماركس أثره الذي تجاوز نظريات الاقتصاد. كما لعب كتاب الإدراك العام لتوماس بين دوره المتميز في أميركا. ولكن المرء يتساءل عما إذا كان تأثير الكلمة يعود فقط إلى ما تحمله من أفكار وليس إلى الأسلوب الذي قيلت به هذه الأفكار.

فصل المقال هو أن الكتّاب الكبار صناع أساطير واقعية ربما تجاوزت في واقعيتها الافتراضية الواقع نفسه. ألسنا نعتقد بوجود شخصية دون كيشوت في كل مكان وزمان؟ أليست شخصية يوليوس قيصر كما رسمها شكسبير أشد صدقاً من شخصية يوليوس قيصر الحقيقية؟

وماذا عن هاملت وعطيل وشايلوك.. كل هذه الشخصيات تبدو وكأنها ذات وجود فعلي. وهذا ليس غريباً فمعظم أعمال شكسبير اعتمدت على أحداث موثقة في مصادر تاريخية معروفة. وتكمن المفارقة في أن شخصية شكسبير المؤلف نفسه كانت عرضة للشكوك وهناك نظريات كثيرة في هذا الموضوع أطلقت في مستهل القرن السابع عشر. وقبل ذلك لم يعرف الأدب الإنكليزي مثل هذه الشكوك. وأما الذين ترددت أسماؤهم كمؤلفين محتملين لمعظم مسرحيات شكسبير فيمكن أن نذكر منهم الفيلسوف فرانسيس بيكون، والمسرحي كريستوفر مارلو. وهناك أسماء أخرى لكتّاب أقل شهرة لا يغير ذكرها أو إغفالها من طبيعة الاتهام.

والمهم فيما يتعلق بالمؤشرات التي أوردتها في مستهل هذه الكلمات أن الهزيمة لا تصنع أدباً. والتاريخ يقدم أكثر من مثال على أن الأدب العظيم يظهر في فترات الازدهار التي تعقب إحراز انتصار حاسم. وقد عاش شكسبير في عصر بداية ازدهار.

في عام 1588 أرسل فيليب ملك أسبانيا أسطول الأرمادا الأسباني الذي كان يضم 130 قطعة بحرية تحمل ما ينيف على عشرين ألف جندي. وقبل أن يقترب أسطول الأرمادا من شواطئ إنكلترا ليشن الهجوم المرسوم له، تصدى له الأسطول الإنكليزي وأغرقه. وبذلك انهار عصر السيطرة الأسبانية على البحار.. وبدأ نجم إنكلترا بالصعود. وقد عاش شكسبير في فترة الصعود هذه.

الأدب العظيم يظهر في الفترات العظيمة ويواكب الازدهار على الصعيد القومي. ولكن المشكلة هي أننا لا نستطيع أن نضع قواعد حاسمة فالتاريخ من حولنا سلسلة من الاستثناءات. لقد عاش شكسبير في عصر صعود.

ولكن معاصره الأسباني ثرفانتس مؤلف دون كيشوت، عاش في عصر أفول. والغريب أن هذين العملاقين في الأدب العالمي توفيا في نفس العام أي 1616. فهل لهذه المفارقة معنى؟

إن دراسة الأدب من خلال العصر والبيئة ربما تجسد هذا المثال أبلغ تجسيد. ولا شك أن من الصعوبة بمكان أن نعتمد منهجاً محدداً في دراسة عمل أدبي، ثم نعمم هذا المنهج بنتائجه على أعمال أدبية أخرى. فلكل عمل أدبي مفاتيحه التي ينبغي اكتشافها وكأنها لا تصلح لعمل سواه.

المرأة بين التمرد والتعنيف والقهر

«امرأتان» للسعودية هناء حجازي رواية مواجهة القدر

هيثم حسين
كاتب من سوريا

المرأة بين صورتين وقدرين ومواجهات كثيرة

❏ تعالج السعوديّة هناء حجازي في روايتها "امرأتان" صوراً من حياة المرأة، ومفارقات وجوانب من العنف الأسريّ الذي تتعرّض له في بلدها. ترصد الضغوطات التي تتعرّض لها المرأة في ظلّ منظومة أسريّة اجتماعيّة تحجبها عن حقوقها الحياتيّة الأساسيّة، وتقوم بتجريمها وتأثيمها حين محاولتها المطالبة بأيّ حقّ من تلك الحقوق.

تصوّر حجازي في روايتها (الصادرة عن دار الساقي، بيروت 2015) مفارقات امرأتين؛ ليلى ومرام، تتبادلان السرد فيما بينهما، تتحدث كلّ واحدة منهما عن واقعها الذي يبدو انعكاساً لواقع الأخرى. ليلى التي تستهلّ السرد، تقدّم مأساة التسمية بداية، يكون لاسمها أثر سلبيّ عليها، وكأنّه أثر موروث تاريخياً من ليلى المعشوقة التي جنّ بها عاشقها، وأصبح يعرف بمجنون ليلى.

تقلب حجازي الدور في الرواية، تكون ليلى العاشقة والمعشوقة في آن، المجنونة بدورها بمعشوقها أحمد، الساعية لاقتراف المجازفات من أجل الوصول إليه، وإكمال رحلتها الحياتية معه. لكنها تصاب بخيبات أمل، تعاندها الظروف، يعاندها أهلها، تقع في فخّ الفرض الأسريّ، لتزوّج بأحدهم تحت الضغط، ومن غير رغبة أو حبّ.

مرام هي صورة ليلى المنشودة، هي نصفها الأنثويّ الآخر، تتمرّد على التقييد الذي يفرض عليها، تحاول ممارسة حريتها، تصطنع اللامبالاة، لكنها تتألم بعمق لحكايات ليلى وقصة حبها المغدور، واضطرارها للرضوخ لسلطة والدها، وقراره بتزويجها، وكأنه يسلب منها حياتها بعد سلبه حريتها.

تشير حجازي إلى جانب التمرّد الذي يجتاح شخصية ليلى بعد قرارها بالطلاق من الزوج الذي اختير لها، ثمّ مسعاها للاقتران بحبيبها، ومحاولتها إثبات كينونتها المستلبة، عبر تحدّي قيود أهلها، ونزع لبوس الإذعان الذي وجدت أمّها مرهونة له، لدرجة دفعتها إلى كره أنوثتها وأمومتها في الوقت نفسه.

تلفت حجازي إلى تواطؤ المرأة ضدّ بنات جنسها، والانقياد لسلطة الرجل بهذه الحجة أو تلك، وكأنّه مكتوب على النساء أن يتوارثن القهر والإذلال والقمع والضغط والسجن، ويتخلين عن رغباتهنّ لصالح الرجل الذي يرسم لهنّ حيواتهنّ ويختار لهنّ السبل التي يفرضها عليهنّ، ويعتبر نفسه الوصيّ الدائم من دون أن يمنحهنّ أيّ هامش لبناء الذات واتّخاذ القرارات المصيرية لحياتهنّ.

تعتقد الراوية أنّ تحدّيها للقيود التي تفرض عليها قد يضع نهاية لفجيعتها، ويمهّد لها درب الاقتراب من حلمها، والاقتران بحبيبها، لكنّ إحسانها الظنّ لا يلبث أن يودي بها إلى مشقّة جديدة أكثر إيلاماً من سابقاتها. وذلك حين تقرّر، بعد مناقشات ومداولات وأخذ وردّ، مع حبيبها أن ترفع دعوى في المحكمة على أبيها الذي يظلمها، ويسطو على راتبها، ويؤذيها، ثمّ تكون الفاجعة أنّ القاضي الذي يفترض به الانتصار لقضية المرأة المظلومة، يتحوّل إلى خصم لها، ويرجعها إلى حظيرة الأسرة، لتنال عقابها جزاء الذنب الذي اقترفته، وكادت أن تتسبّب بفضيحة لها، بحسب زعمهم.

تُعاد ليلى إلى بيت أهلها، تلقى عذاباً شديداً على أيدي أبيها وأخيها، تقيّد إلى السرير، توصف بالمعتوهة، ويتمّ الانتقام منها، والتعامل معها كوباء يهدّد سلامة الأسرة وأمانها وسمعتها، وهي التي طلّقت من زوجها السابق، وسعت إلى المحكمة لتشوّه سمعة أبيها، ثمّ حاولت الاقتران بأحدهم سرّاً، وكل ذلك أسباب كافية لأهلها كي يقنعوا أنفسهم أنّها تلوّث سمعتهم وشرفهم ولا بدّ من استئصالها، أو التخلّص منها، أو وقفها عند حدّها، وسجنها وتقييدها.

بعد وقت مرير عصيب من التعذيب الوحشيّ القاسي، بدأت ليلى بتمثيل مسايرة أهلها، وصوّرت أنّها تذعن لإملاءاتهم وشروطهم، وادّعت تندّمها على ما اقترفته من شرور ومساوئ، وحين تمّ جلب عريس لها، مثلت موافقتها، كي تتخلّص من واقعها، وتجد منفذاً إلى الخارج لتهرب إلى مرام وأحمد. وبالفعل تغافل أختها في اليوم المحدّد لزفافها، وتهاتف مرام التي تقوم بإنقاذها وتخرجها من سجنها وتعاستها.

تشدّد حجازي على حالات من العنف الأسريّ الممارس بحقّ المرأة، وتلفت إلى أنّ التعنيف لا يكون لفظيّاً فقط، بل يتعدّى ذلك إلى درجات خطيرة، فقد يتمّ قتل المرأة بحجج واهية، وبناء على الشكوك لا غير، ويتمّ تقييد الجرائم ضدّ مجهول، مع أنّ الجميع يعرف القاتل الحقيقيّ.

كما تشير إلى حالات الفقد، والحبس التي يمارسها بعض الأهل بحقّ بناتهم، فقد تصادف أحدهم يسجن ابنته أو زوجته أو أخته لسنوات في قبو بيته، مانعاً إيّاها من التنفّس والحياة، بحجّة خشيته على شرفه من أن يدنّس بسبب تصرّفاتها.

تختار الروائيّة نماذج ذكوريّة تدور في خانة الاستبداد بأكثر من معنى، تكون الفحولة المُستهجنة المرَضيّة هي الرابط المشترك بين معظم شخوص الرواية من الرجال. فالوالد ظالم، قاس، متوحّش، لا يني يعذّب الأمّ والبنات، ويتساهل مع الشباب، والإخوة يرثون عن أبيهم طباعه وعاداته، يكونون قساة القلوب غلاظاً على أخواتهم وزوجاتهم.

بالإضافة إلى تلك النماذج، هناك نموذج المثقّف المتعالي على مجتمعه، يجسّده سامي، الذي يتقن عدّة لغات، ويختار طرائده من النساء بطريقة خبيثة، يستدرجهنّ إلى فخاخه، يتقنّع بشعارات ومقولات فضفاضة عن الحرّيّة، ويكون ذلك مجيّراً من أجل تلبية غرائزه، وإيقاع الفتيات المخدوعات بأفكاره الزاعمة للتحرّر في حبائله.

يفلح سامي في الإيقاع بمرام، يبتزّها بطريقة مناقضة لما يزعمه من تفكير متحرّر، ينال منها، ثمّ يتخلى عنها بذرائع سخيفة، ويكشف عن وجهه الحقيقيّ، بحيث أن القناع الذي يتستر به لا يدوم طويلاً في الواقع، ويعود إلى استبداد الرجل المحكوم بأفكار بائسة، والمنساق وراء إملاءات الجهلة ومراضاتهم ومسايرتهم. وتراه يعود إلى استغلاله وابتزازه لها حين قصدته ليستعلم عن مصير ليلى التي اختفت من المحكمة، ولم تفلح في معرفة شيء عنها برغم محاولاتها المتكرّرة لذلك.

يكاد يفلت شخص وحيد من هذه المعمعة الذكورية التي تختارها حجازي في روايتها، وهو أحمد، الحبيب العاشق لليلى، مجنونها الواقعيّ، وضحية المجتمع وأعرافه وعاداته من جهة أخرى، يظلّ الحلقة الأضعف في دائرة العبث التي يجد نفسه وليلى غارقين فيها. لا يستطيع إنقاذ حبيبته من براثن أهلها، ولا ينجح في مسعاه في المحكمة برفقتها، لأنّ القاضي يتخلّى عن دوره لتسييد العدالة، ويدين الضحية، بدلاً من إدانة الجلّاد.

في مشهد مأساويّ تتكاتف المرأتان الضحيّتان معاً، تحدّدان طريقهما ونهايتهما بدقة وعزم، تثقلان عباءتيهما بالأوزان كي لا يخونهما الخوف ويثنيهما عن مرادهما وما ستقدمان عليه من مغامرة مجنونة، تلجآن إلى البحر لتبوحا له بهمومهما، وتلقيا بجسديهما إليه، ليكون ملاذهما الأخير، وموطن حرّيتهما، وقبرهما المشترك.

تختار حجازي نهاية مؤلمة لبطلتيها؛ ليلى ومرام، فكل واحدة منهما بعد أن انقطعت بها السبل في واقعها، وصلت إلى طريق مسدود، وتعبت من التحدّي والتمرّد، بلغت حدّاً من القهر والهدر بحيث تجد معه أنّها تدور في حلقة مفرغة، وأنّ جدراناً نارية مكهربة تفصل بينها وبين حرّيتها المنشودة، فتلوذ بالبحر لتنقذ أملها، وحلمها.

وهنا يكون السؤال عن الحلّ والعقدة، وعن جدوى التحدّي والتمرّد، وما إن كان الطريق مسدوداً، وإن كان الاختيار يؤدّي إلى هذه النهاية التعيسة، وهل هكذا يكون الحلّ بتوجيه صفعة انتحاريّة إلى كلّ مَن يرفض منح المرأة حريّتها، بأنّها تستطيع، بطريقتها الخاصّة، منعهم من التعامل معها كأسيرة أو تابعة ذليلة مقموعة..؟

> تعتقد الراوية أن تحديها للقيود التي تفرض عليها قد يضع نهاية لفجيعتها، ويمهد لها درب الاقتراب من حلمها، والاقتران بحبيبها، لكن إحسانها الظن لا يلبث أن يودي بها إلى مشقة جديدة أكثر إيلاماً من سابقاتها. وذلك حين تقرر، بعد مناقشات ومداولات وأخذ ورد، مع حبيبها

رف الكتب — حسين الخطيب

الإسلام والغرب

❏ "الخوف من الإسلام" كتاب حاور فيه نيكولا تريونغ الصحافي بجريدة لوموند أوليفييه روا أستاذ العلوم السياسية المتخصص في الإسلام. في هذه الحوارات، يسلط روا الضوء على الخوف الذي استبد بالمجتمعات الغربية منذ أحداث 11 سبتمبر 2001، ويفند الحجج اليمينية المهيمنة التي تعتبر المسلمين في جوهرهم غير قابلين للاندماج في الغرب، والبراهين اليسارية التي تفسر راديكالية المسلمين كنتيجة لعداء الغرب لدينهم. من ثورات الربيع العربي إلى النيهيلية الجيلية للشباب المتروك على هامش العولمة، ومن فشل الإسلام السياسي إلى إعلان فرنسا الحرب على داعش، يقدّم روا مفاتيح لفهم المسألة الإسلامية في شتى أوجهها، المحلية والدولية، ويعتقد أن فرنسا قادرة أن تمنح مثلها للعالم في تعدده وتنوع مكوناته.

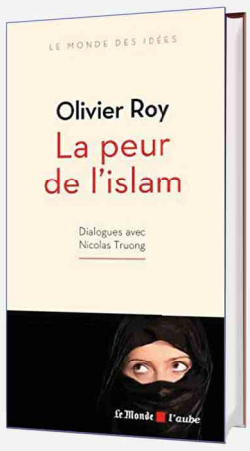

المسلمون على اختلاف مشاربهم

❏ "إسلامستان" هو عنوان كتاب لكلود غيبال الصحافية بإذاعة فرنسا الثقافية، تشرح فيه أن مصطلح "الإسلاموية" كالخرج الذي يوضع فيه كل شيء، من الإخواني إلى نائب حزب العدالة والتنمية والسلفي والجهادي والمرأة المتحجّبة أو المنقبة، والحال أن تلك العناصر متباينة، وأحيانا متنافسة ومتصارعة. من خلال لقاءاتها خلال عشرين سنة بمسلمين من شتى الاتجاهات من مصر إلى إيران، ومن فرنسا إلى غوانتنامو، تحاول الكاتبة أن تفهم العوالم الإسلامية المختلفة، أو ما تسميه "إسلامستان" وأن تضع تسمية لكل مسمّى من خلال تلك التجارب. يرد ذلك في شكل بورتريهات، ولحظات فارقة، وثورات، ولقاءات مع بعض وجود التطرف والراديكالية، تبين أن المرجعية العقدية، بعكس ما يتصور الغرب، ليست دائما واحدة.

التعايش والعنف

❏ لقد صار مفهوم "صدام الحضارات" مكانا مشتركا عند الحديث عن الجيوسياسية والدين والهوية القومية. في كتابه "حرب الحضارات لن تقع- التعايش والعنف" يبين عالم اجتماع الأديان رافائيل ليوجييه، أنه وهم أمام واقع الحضارة الشاملة المتولدة عن تكاثف المبادلات الدولية. فالاستعمالات التقنية والممارسات الغذائية والمناهج الجامعية صارت متماثلة، والصور والموسيقى والانفعالات باتت تجوب العالم في لحظة. وبرغم المواقف المتعادية والمتطرفة التي تستند إلى أيديولوجيات دينية وسياسية، تراجعت المعتقدات الأساسية للبشر كعوامل تَوَاجُه قيم. وفي رأيه أن مجمل الديانات تحتوي على ثلاث نزعات ولدتها العولمة: الروحانية، والكاريزماتية، والأصولية، دون أن تمنع تلك الحضارة الموحّدة من ظهور تفاوتات كبرى على المستويين الاجتماعي والاقتصادي ومخاوف هويات أدت بدورها إلى أشكال عنف غير مسبوقة وإرهاب من نوع جديد.

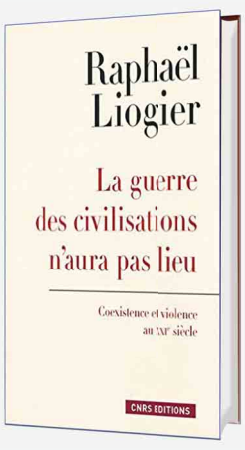

ما تيسر من حكم السيسي قبل انتحار تاريخي

كاتب قال كلمته في قلب الضجيج والخطر

سعد القرش
روائي من مصر

صرخة محمد طعيمة هل تذهب هباء

❑ كلما رأيت محمد طعيمة تذكرت حاطب بن أبي بلتعة. أقدم الصحابي على ما يمكن وصفه بالخيانة الوطنية، حين كتب إلى «الأعداء» في مكة، «ببعض أمر رسول الله»، ولعله ارتكب الجريمة بالفعل، إذ كتب إليهم وانتهى الأمر. ثم قال في التحقيق إنه كتب إليهم بسبب فقر نسبه، فليست له عشيرة تحمي أهله العزّل في مكة، ولم يفعل ذلك «كفرا ولا ارتدادا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام». لم يقتنع عمر بن الخطاب بهذا الضعف البشري، واتهمه بالنفاق، واستأذن في قتله، ولكن النبي قال عن حاطب «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». وليس لمحمد طعيمة علاقة بسلوك حاطب، إلا في أنه شهد ما قبل بدر، ما قبل ثورة 25 يناير 2011، وشارك نبلاء يؤمنون بقدرات الشعب على التغيير في التمهيد لهذا التغيير المتعثر، رغم مرور أكثر من خمس سنوات. هذا التعثر قضية كتابه الجديد «انتحار تاريخي: ما تيسر من حكم السيسي».

في مصر نحترف ادعاء الحكمة بأثر رجعي، ونستسهل فتاوى التكفير الدينية والوطنية، ونجيد طرح البدائل بعد فوات الأوان، فنرشد الحجيج بعد انتهاء موسم الحج إلى سبل أقل مشقة، ولكن التاريخ لا يعترف بحرف «لو»؛ لأن ما حدث قد حدث وأصبح تاريخا، ومن الأمانة أن يقول الإنسان كلمته وسط الضجيج ولا يبالي، وهذا ما فعله محمد طعيمة بكتاب حمل غلافه صرخة تصلح عنوان مرحلة: «افتح.. بنموت». لم ينتظر انتهاء حكم عبدالفتاح السيسي ليدّعي شجاعة في غير توقيتها، كما كان حاضرا في قلب المشهد في عهد المخلوع حسني مبارك، بكتابه «جمهوركية آل مبارك»، وقد صدر في خمس طبعات بمقدمة ثابتة لصنع الله إبراهيم. في «جمهوركية آل مبارك» توثيق لتفاصيل وتجليات فضيحة التوريث، وفيها تورّط كهنة يزعمون الآن امتلاك الحكمة والبصيرة، وينظّرون للثورة، لم يكتب أحدهم مقالا يدعو مبارك إلى الرحيل طوال 18 يوما هي الأبهى، ولم يتهوّر أحدهم بتصريح منفلت يقترب من هذه المنطقة قبل أن يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من فجر الثورة، ومنهم السيد يسين وجابر عصفور ومصطفى الفقي ومكرم محمد أحمد ومرسي عطاالله وصلاح فضل وعبدالمعطي حجازي وعلي الدين هلال وأحمد زايد ويوسف زيدان ومحمد صبحي.

«الجمهوركية» نحت لغوي مبتكر، يجمع الجمهورية والملكية معا، ويؤكد اختلاط المفاهيم والمصطلحات وتحول الجمهورية إلى حكم ملكي وراثي. وظل كتاب «جمهوركية آل مبارك» محتفظا بعنوانه، وفي بعض الطبعات أضيف إليه عنوان فرعي، وفقا لهبوط أو ارتفاع منسوب عوامل تحمل جمال مبارك إلى احتلال مكان أبيه، فالطبعة الثالثة (2009) عنوانها الفرعي «صعود سيناريو التوريث»، وفيها تقول باحثة أميركية إن مبارك يواصل «إعداد جمال رغم استياء جنرالاته». وخلت الطبعة الخامسة (2010) من العنوان الفرعي، وتفاءلت آنذاك قليلا كما تفاءلت بكتاب محمد طعيمة «فقه التلون: خيانات الإخوان المسلمين» (2012) أثناء حكم الإخوان، ولم ينتظر رحيلهم ليستقوي عليهم، كما لم ينتظر ما بعد السيسي ليصدر كتابه الجديد.

الذين استحضروا تجارب ناجحة في العالم الحر، لعسكريين سابقين، حين تولوا حكم بلادهم، فاتهم فرق التوقيت الحضاري والثقافي بين عالمين، تلك مسافة تجعل من ونستون تشرشل ودوايت أيزنهاور وشارل ديغول قاعدة، ومن جمال عبدالناصر استثناء يؤكد القاعدة. يجمع بين الأربعة حب المعرفة وأصحابها، ورغبة في اطلاع يسمح بقبول المختلف، بتفاوت تحدده قواعد المؤسسات العسكرية هنا وهناك، أما تربية المعسكرات ونماذجها أنور السادات ومعمر القذافي ومبارك - فيقرّبون أشباههم، ويحبّون الأدنى من هؤلاء الأشباه، ويكرهون الثقافة لأنها تذكرهم بجهلهم، وتدعو البعض للجرأة على المطالبة بالديمقراطية. لا نذكر أن السادات (الذي كتب له يوسف إدريس بعض كتبه) أو مبارك ذكر كتابا أعجبه، أو استشهد بكاتب. لا يختلف العسكريون في هذا الأمر عن سلالات اليمين الديني، كلاهما من حيث لا يدري فقير الخيال، كثمرة لوطأة التنظيم، وتقديس القواعد العسكردينية.

ولهذا السبب، يرى الكاتب - متفقا مع منتقدي السيسي وناقديه ممن لا ينتمون إلى فصائل اليمين الديني - أنه لم ينجح في عملية التحول «من خندق العسكري الذي يواجه عدوا لا تفاهم معه، والأمني الذي يتحيّن الفرصة للإجهاز على خصمه، إلى ساحة السياسة، حيث الكل وطنيون ومختلفون ومتعايشون، وحيث التنوّع، بين الأقصى والأقصى، قانون واجب الاحترام». وهنا تثقل يد الشرطة ويخفّ عقلها، ويُتجاوز عن انتهاكاتها، حاليا ومنذ إعلان المجلس الأعلى للقوات المسلحة في 23 فبراير 2011 إعادة هيكلة وزارة الداخلية. ثم أضاع محمد مرسي فرصة الهيكلة، بقوله في ذكرى عامين من الثورة "إن الشرطة كانت في القلب من ثورة 25 يناير"، متجاهلا أن الثورة لم تكن لتقصي مبارك، لولا كسر شوكته البوليسية في جمعة الغضب. ولا تزال الفرصة قائمة لتنظيف هذا الجهاز، قبل أن يسبب انفجارا أكبر من 25 يناير، ونسمع «يسقط حكم السيسي»، هتاف لا يتمنى محمد طعيمة سماعه؛ فبعد موجتي غضب، في 25 يناير و30 يونيو 2013، ليس مستبعدا أن تكتمل دائرة الغضب، «ونغرق في انتحار تاريخي» يسأل عنه السيسي الذي يتوق معه الشعب إلى تأسيس ثالث لدولة أكثر نضجا وعصرية وديمقراطية من تجربتي محمد علي وعبدالناصر.

بعد تضحيات الشعب بدماء شهدائه، وصبره على الضائقة الاقتصادية، لن يستبدل الخبز بالحرية، فلا أقل «من حياة كالحياة» على رأي محمود درويش الذي يعتز به محمد طعيمة القائل «أنا من عبدة الدولة»، وكتابه «هجوم محب» يحسد مثقفي لبنان على غيرتهم على جيشهم، ناقلا قول بيار أبي صعب إن الإساءة إلى جيش لبنان تعتبر «مسا بالوجدان الجماعي والكرامة الوطنية»، في مقابل سخريات تبدأ بمراهقي الثورة ولا تنتهي بمحمد البرادعي من الجيش المصري؛ لأنه يصنع المكرونة، في قراءة ساذجة لظاهر الأمور، بعيدا عن تقصي الأسباب، بعد خصخصة القطاع العام، الظهير الاقتصادي للجيش، وتقليص الإنفاق العسكري نتيجة معاهدة السلام مع العدو الصهيوني، فتأسس في العام نفسه (1979) جهاز الخدمة الوطنية. وقد رفض مبارك شراء ميراج فرنسية، بحجة نقص العملة الصعبة، وطالب الجيش بتدبير أموره، فكان التوسع في أنشطة مدنية، لتغطية صفقات التسليح. جيش مصر ليس استثناء؛ فنصف موظفي أميركا (800 ألف مدني) يعملون في أنشطة مدنية تتبع البنتاجون، «حاول أن تتذكر كم اختراعا تستخدمه أنت، خرج من معامل البنتاجون، وأمثاله، ستدهش».

> في مصر نحترف ادعاء الحكمة بأثر رجعي، ونستسهل فتاوى التكفير الدينية والوطنية، ونجيد طرح البدائل بعد فوات الأوان، فنرشد الحجيج بعد انتهاء موسم الحج إلى سبل أقل مشقة، ولكن التاريخ لا يعترف بحرف «لو»؛ لأن ما حدث قد حدث وأصبح تاريخا، ومن الأمانة أن يقول الإنسان كلمته وسط الضجيج ولا يبالي

أنهي مقالي بهذا التلخيص الدال: «سيسقط أيّ رئيس يتجاهل ثورة مستمرة»، شعارها الحرية.

رف الكتب

العولمة كحاضنة للإرهاب

❑ كتاب المؤرخة الفرنسية جيني رافليك ليس تاريخا للإرهاب بقدر ما هو مقاربة نقدية للصلات الحميمة بين الإرهاب والعولمة منذ أواسط القرن التاسع عشر إلى اليوم. وتستخلص في نوع من التحليل المقارن أن مختلف أشكال الإرهاب تنبجس عن عائلات ثلاث: الإرهاب ذو المرجعية الثورية، الإرهاب الإثني القومي، والإرهاب الهووي. أوجه الإرهاب تلك، التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين، تتصف منذ بدئها بأبعادها الدولية والعابرة للقارات والشمولية، ومن الوهم أن نتصور أن الإرهاب العالمي تحوّل شيئا فشيئا من بعد إلى آخر، فما يميزه قدرته على الظهور على مختلف المستويات. وقد حاولت الدول عبثا منذ المؤتمر العالمي ضد الإرهاب الأنارشيست عام 1898 أن توحّد جهودها للتصدي لخطر الإرهاب. فهي لا تزال حتى الآن عاجزة عن تقديم مفهوم مشترك للإرهاب، فما البال بمحاربته.

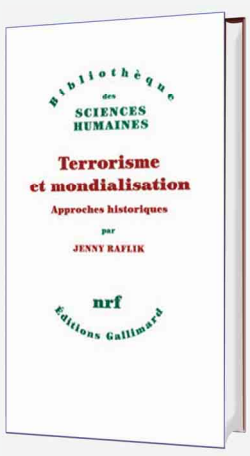

العولمة وفوضى العالم

❑ "الشهداء وحدهم لا تسكنهم شفقة ولا خوف، صدقوني أن يوم يكتب للشهداء النصر، فسوف يعمّ الكونَ حريق". كذلك تنبأ لاكان عام 1959 بما يجري الآن في بقاع كثيرة من العالم. هل تهدد الحروب التي تطحن الشرق الأوسط باستقطاب كل الخيبات السياسية والثورات اليائسة لهذا الجيل؟ هل أن "راديكالية الإسلام" سبب في هذه المأساة والأعمال الإرهابية في العالم؟ للإجابة عن مثل هذه الأسئلة، يغير آلان بيرتو في كتابه الجديد "أطفال الفوضى" أطر التفسيرات المعتادة ويبين أن الفوضى السائدة ليس محركها الجهاد وحده، وإنما اهتزاز شرعية الدول بفعل العولمة، والأزمة المعممة للتمثيل السياسي، وبحث الدول العظمى عن الأمن هي التي مهدت للعنف في العالم حسب رأيه. وهو ما يفسر منذ بداية الألفية تفاقم التمرد والانتفاضات والثورات والعمليات الإرهابية في شتّى القارات. عندما تصبح نهاية العالم أكثر صدقية من نهاية الرأسمالية، يتخذ التمرد سبل اليأس والاستشهاد.

النقد والعلمانية

❑ هذا عمل يلخّص لقاء جمع أربعة جامعيين أميركان هم طلال أسعد ووندي براون وجوديث باتلر وسابا محمود التقوا للإجابة عن السؤال التالي "هل النقد عَلمانيّ؟"، انطلاقا من الرسوم الدانماركية الساخرة لعام 2005 وإعادة نشرها وتعميمها في عدة صحف أوروبية، وخاصة تشارلي إيبدو، يطرح المفكرون مسألة التجديف والشتم وحرية التعبير، لتحديد مفهوم الدين والعلمانية في الفكر النقدي الغربي، ويتساءلون ما إذا كانت عملية النقد لا تتم إلا في ظرف علماني، وما إذا كانت العلمانية لا تتأتى إلا بفضل العمل النقدي. وهو ما يقودنا إلى التصورات الغربية للمعتقد والعقلانية والأطر المعيارية التي تحضنهما. وفضل الكتاب أنه يجمع بين مفكرين من آفاق مختلفة لتطارح مسألة تناظر الغرب والإسلام بوجهات نظر جديدة.

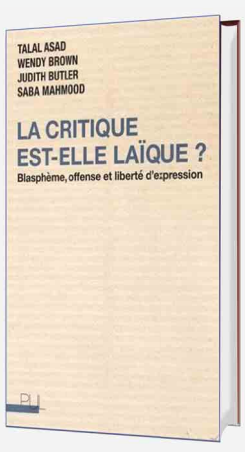

شاعرة الفضاء

عواد علي
كاتب من العراق

❏ رحيل سيدة العمارة العالمية العبقرية زها حديد، وهي في ذروة عطائها، خسارة مروّعة لا تعوّض. لكنها ستظل خالدة إلى الأبد بتصميماتها المعمارية المبهرة الموزعة على 44 دولة في العالم، منها الصين، هونج كونج، أذربيجان، بريطانيا، اليابان، النمسا، الإمارات، إيطاليا، الولايات المتحدة الأميركية، ألمانيا، مصر، وقطر، من إنجازاتها 700 تصميم عالمي، و300 عمارة مثيرة للدهشة أبرزها مركز لندن الأولمبي للألعاب المائية، ملاعب مونديال قطر 2022، مركز حيدر علييف في باكو، برج الابتكار في هونج كونج، جسر أبو ظبي، مركز العمارة والفن المعاصر في روما، مركز روزنثال للفن المعاصر في مدينة سينسيناتي بولاية أوهايو الأميركية، والملعب الأولمبي في طوكيو.. وكل واحدة من هذه التحف المعمارية قصيدة مفعمة بالجمال تعانق الفضاء، وقد جرى تصنيف اثنين منها ضمن أجمل خمس عمارات مصممة في العالم. أما مشاريعها التي تنظر الإنجاز فهي تزيد عن عشرين مشروعا، منها مركز تشانغشا ميكسيهو العالمي للفنون والثقافة في اليابان، أوبرا دبي وسط جزيرة في مياه خور دبي، المسرح الكبير في مدينة الرباط بالمغرب، دار الملك عبدالله للثقافة والفنون في عمّان، المبنى Opus، العائم بدبي، مكتبة ومركز تعليمي في فيينا، محطة مترو الرياض، إضافة إلى تصميم مجموعة من اليخوت الفاخرة بالتعاون مع شركات بناء السفن في هامبورغ بألمانيا.

زها حديد، ابنة أم الربيعين (الموصل) والعراق والإنسانية، التي "انضمت إلى أجدادها السومريين"، بتعبير الشاعر صلاح فائق، ليست من أبرز المصممين المعماريين العالميين خلال القرنين العشرين والحادي والعشرين، بل في جميع العصور. إن عبقريّتها في مجال اختصاصها شامخة كعبقرية العشرات من العلماء والمفكرين والأدباء والفنانين الكبار الذين أضفوا على العالم معنى وجمالا. وتعود اللمحات الفنية في أعمالها إلى حبها التشكيل منذ طفولتها، وهو حب أخذته عن والدتها التي كانت مولعة بالرسم.

تفرّدت زها حديد، كما يقول المعماري العراقي إحسان فتحي بشجاعتها العالية في كسر السيمترية (الاتزان)، وتميزت تصميماتها باتجاه واضح في جميع أعمالها هو الاتجاه التفكيكي، منذ أن عرض لها متحف الفن الحديث في نيويورك عام 1988 تصميما يمثل هذا الاتجاه الذي يتسم بتعقيد عال وهندسة غير منتظمة، ويقوم بشكل عام على هدم كل أسس الهندسة الإقليدية (نسبة إلى إقليدس عالم الرياضيات اليوناني) من خلال تفكيك المنشآت إلى أجزاء. ورغم الاختلاف والتناقض القائم بين روّاد هذا الاتجاه فإنهم يتفقون في أمر جوهري وهو الاختلاف عن كل ما هو مألوف وتقليدي. وتلخّص رؤيتهم للتفكيك في تحدي الجاذبية الأرضية من خلال الإصرار على الأسقف والكمرات الطائرة، مع التأكيد على ديناميكية التشكيل. كما تستخدم زها معدن الحديد في تصاميمها بحيث يتحمل درجات كبيرة من أحمال الشد والضغط تمكّنها من تنفيذ تشكيلات حرة و جريئة.

رحلت زها حديد دون أن يتحقق حلمها برؤية معمار منفّذ لها في بغداد، وهي التي فازت بأكثر من تصميم لبلدها، منها مبنى البرلمان العراقي، والمبنى الجديد للبنك المركزي على شاطئ دجلة في منطقة الجادرية ببغداد، الذي يتكون من 37 طابقا، وقد استوحت التراث الحضاري العراقي في تصميمه.

رحلت شاعرة الفضاء، أيقونة وادي الرافدين، وظل صدى أمنيتها يتردّد "أدعوني وأنا أبني العراق".

> تفردت زها حديد، كما يقول المعماري العراقي إحسان فتحي بشجاعتها العالية في كسر السيمترية (الاتزان)، وتميزت تصميماتها باتجاه واضح في جميع أعمالها هو الاتجاه التفكيكي

أيها الشاعر اطرد الكلمات السوداء

شيء عن الشاعر الفرنسي إيف لوكلير وقصائد من «مسافر بلا أوراق»

أيمن حسن
كاتب من تونس

❏ تعرضت لاسم إيف لوكلير بفضل أعماله وتحقيقاته الشغوفة حول شاعر فرنسي كبير، بيار ألبير جوردون، كان ربما قد نُسي تماما لولا التزامه وتفانيه في التعريف به. كان ذلك منذ عشر سنوات، وكنت آنذاك طالبا شابّا يحاول – بصفة شعرية محضة – أن يقطع طريقا له وسط زحام الصمت والخوف والمجهول. كان بوسعي أن أراسل إيڤ لوكلير منذ سنة 2002 وأن أصبح صديقه الحميم، لكنني انتظرت. وخلال شهر أفريل 2005، قبل بضعة أسابيع من اجتيازي لمناظرة التبريز في دار المعلمين العليا بتونس، وسط نوع آخر من القلق والخوف من المجهول، قررت الاتصال به. بحثت عن رقم هاتفه واتصلت به من هاتف عمومي ببطحاء الخيل بالفرجاني. كان يوم أحد على الساعة الخامسة مساء. أتذكر جيدا كل التفاصيل، كل هذه التفاصيل الصّغيرة التي، ومنذ الوهلة الأولى، جعلتني أحس بنشوة الحوار وأنا أحادث إيڤ. فلم أكن أكلم شخصا مجهولا ولم يتعجب هو البتّة من اتّصالي. سعد إيف باتّصالي وتحدث إليّ وكأنه كان ينتظر أو يعلم ذلك مسبقا. قال لي بكلّ مودّة إنه يحب تونس الّتي زارها مرّتيْن وأنه سعيد بالتعرف على شاعر من الضفة الجنوبية للمتوسّط، في انتظار أن يقرأ ما جادت به القريحة عليّ من أشعار وكتابات. أملى علي عنوانه الإلكتروني وطلب منّي أن أراسله. أعرف أن حواراتنا الإلكترونيّة ساعدتني كثيرا في خوض "معركة التبريز ، وزادت سعادة إيف عندما نجحت بتألّق. بعد شهر، وصلني طرد بريدي كبير يحتوي على مجموعة من كتبه، زيادة على ذلك "الكراس الرائع الذي جمع فيه مجموعة من النصوص والمقالات والحوارات والشهادات والتّكريمات الهامّة حول بيار ألبير جوردون.

عندما رحلت للاستقرار بمدينة ليون الفرنسيّة في شهر سبتمبر 2005، شجعني إيف كثيرا وهو الذي تنبّأ بأنني سأعيش حالة من الغربة بعيدا عن وطني. نعم، كان إيڤ متيقنا من أنّي، وإن أحببتُ فرنسا لغة وأدبا وفكرا، فإنّ قدري أن أعيش وأعمل وأبدع في تونس.

صدر "مسافر بلا أوراق" خلال تلك الفترة (سبتمبر 2005)، لكن الشاعر أرسله لي خلال شهر نوفمبر برفقة مولود جديد بعنوان "مُختَصَرُ التأمل في الجبل" الصادر عن دار "لا تابل روند".على أن أقول في هذا الصّدد إنّ إهداءات إيف رائعة فهي ترقى عن المألوف وتكرّس لعلاقة وجوديّة بين الشاعر والقارئ والنّص أي بين الواهب والمُهدى إليه والهديّة. فالواهب سخيٌّ والهبة حاتميّة (حاتم الطّائي) لامحالة والمُهدى إليه كذلك شاعر له من الأحاسيس ما يجعله عنصرا أساسيّا في فعل الكتابة التي يمارسها الشّاعر على أنها إضفاء معنى على العالم.

جاء إذن "مسافر بلا أوراق" محفوفا بإهداء تبدو من خلاله العلاقة بيننا الثلاثة (الشاعر والقصائد وأنا القارئ) علاقة وئام ووحدة وتجذر في الزمان والمكان.

"من مسافر بلا أوراق إلى آخر يعرف كيف يستثمر هذه الأوراق الوحيدة جاعلا منها جواز عبور، مع مودتي الخالصة..."

ذكرني هذا الإهداء بالبيتيْن الأخيريْن لقصيدة الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش "جواز السّفر" حيث يقول:

«كلُ قلوب الناس... جنسيّتي
فلْتُسقطوا عني جواز السّفر!»

ليس هذا التقريب اعتباطيّا، إذ أن التناصّ بين إيف لوكلير ومحمود درويش قائم الذّات، علاوة على أن الشاعر الفرنسي من القرّاء الشغوفين بالشاعر الفلسطيني الرّاحل، وهو كذلك مدافع منحاز للقضية الفلسطينيّة، لكن عليّ أن أقول إنّ مثل هذه الأشعار تدحض معاني ومفردات الجنسيّة والنّسب والهويّة باحثة عن عمق فكري وحضاري وتاريخي آخر، هو بحث عن الإنسان في أسمى تجلّياته.

يقول إيف لوكلير في "قصيد كشاف" الصّادر في مجموعة "ذهب المشترك" ("ماركير دو فرانس ، 2001):

«وطني ذو لون ضائع..
أستعمل قلمي وكأنّه مكنسة
أطرد الكلمات السّوداء للعثور بسهولة أكثر
على النور الأبيض القابع تحت القصيدة».

بعد قراءة "مسافر بلا أوراق" و"مختصر التأمّل في الجبل"، انتابتني رغبة كبيرة في مُصاحَبَتِهما، أي في المساهمة في التعريف بهما. لم أكن حينها أمتهن الصّحافة الأدبيّة، لكنّي شرعتُ في كتابة نص نقدي طويل بمثابة القراءة الأكاديميّة والشعريّة في نفس الوقت. أعجب ذلك النّصّ إيف لوكلير إلى حد كبير واقترحتْ نشره على صديقنا المُشتَرَك الشاعر والناقد الكبير جون ميشال مولبوا الذي أصدره في مجلته المرموقة "الديوان الجديد" (Le Nouveau Recueil) الصادرة عن دار "شون فالون" (العدد 78، مارس ـ ماي 2006، ص. 157.169).

اخترتُ لهذا النّصّ عنوانا شعريا محضا "Au clair de la vie autour dYves Le clair"وهو بمثابة اللّعب أو الغزل بالكلمات. ربما هو جناس يتناغم فيه اسم الشاعر ولقبه مع كلمات "clair" – نور، ضوء، ضياء، وضوح – و"vie" – حياة ووجود – "في وضح الحياة، حول إيڤ لوكلير".

و من هنا تظهر إشكالية التّرجمة وثنائية الترجمة والخيانة. صحيح أنني ترجمت عددا لا بأس به من القصائد لمحمود درويش وأمل دنقل ومظفر النّوّاب ومحمد الماغوط وابن عربي والحلاج وعنترة... لكنني قمت بذلك رغبة مني في التّعريف لدى أصدقائي الفرنسيّين بأصوات لها صدى ووقع خاصّ عندي. صحيح كذلك أنّني ترجمت برنار نُويل وموريس بلانشو لأسباب مُشابهة، لكن في الحقيقة خامرتني فكرة ترجمة "مسافر بلا أوراق" منذ قراءتي الأولى له، فسلاسة لغة إيف لوكلير، كلماته البسيطة، صوره الطّريفة، رحلاته، وجوديته العميقة، إنسانيّته، حميميّته، قلقه، سعادته...، تُضفي جميعُها على الشعر معنى فريدا وتعطي للقصيدة نفَسا جديدا. فوجدتُ نفسي أترجم بطريقة جدّ طبيعيّة: أقرأ، أتأمّل، أترجم.

عندما اكتشف ذلك صديقي الباحث منير السّرحاني الذي التحق بدار المعلمين العليا للآداب والعلوم الإنسانيّة بليون في سبتمبر 2007، تحمس "للمشروع واقترح علي بعد قراءة متأنّية وعميقة للقصائد أن يرافقني على هذا الدرب الوعر الجميل. فصرنا كالخليليْن نَجُوبُ قصائد إيڤ لوكلير بعيون طريّة، بأقلام متعثّرة وبحوار مفتوح متواصل لا رغبة لنا إلاّ أن تتمكن لغتنا العربيّة من احتواء عالم إيڤ لوكلير وربما التّأقلم مع وجوديّته...

أيمن حسن وإيف لوكلير في باريس

صحيح أنّ منير السّرحاني مبرّز مثلي في اللّغة والآداب والحضارة الفرنسيّة من دار المعلمين العليا بالرباط ـ المغرب، لكن يجمعنا سويًا هذا الحب المتأجّج للغة والشعر العربي، وتلك الرغبة الفيّاضة في تمرير صوت عزيز علينا إلى عالمنا وثقافتنا.

أتمنّى أننا قد نجحنا في ذلك، وأتمنّى أن تحظى هذه التّرجمة بالإعجاب. ربما ستكون نقطة البداية لترجمة أعمال أخرى لإيفلوكلير، أعني تحديدا أعماله النثرية الشعريّة التي نجحت في فسخ الحدود بين الأجناس الأدبيّة جاعلة من النثر شعرا ومن الشّعر فلسفة ومن الفلسفة حكمة إنسانية عميقة.

آخر أعمال إيف لوكلير صدر أواخر سنة 2010 عن دار "غاليمار" المرموقة تحت عنوان Orient intime – "الشرق الحميم". أظن أن إيف كتب فصلا كاملا من الكتاب لمتابعة الحوار المتواصل بيننا، أي منذ أول اتصال جرى بيننا. يقول إيف "مدينة سوسة العتيقة، حديقةٌ، حبات تين من تونس، جمال النساء، عبق الجزر، ولحظات معلقة من القراءة والكتابة والتأمّل، شرق الطّفولة، شرق اللّغات، شرق العوالم، كلها فينا إن عرفنا كيف نجلس في صمت في حديقتنا الذّاتيّة لنستمع بسلام إلى ما يُنشد القلب لنا".

افتح الباب الرمادي لترى الجمرة القرمزية

مختارات شعرية

عشية في «أور»

هُنَا تُعَدُّ الأَحْدَاثُ
علَى أَصَابِعِ اليَدِ الوَاحِدة. أناس
يمرُّون وَ ينظُرُون إِليّ وأنا بمظهر
المُسْتَمْتِع،
جالسًا لا أفعلُ شيْئًا، رُبَمَا يَحْسُدُونني.
لا يهمُّ أن تحْسبَني وُجُوهُهم
أحدَ أغْبياء القَرية
لأنَّ ذَلِك يَجْري منْ وَراء ظَهْرِي،
رَائحةُ التِّبن الأصيلة تتسَلَّلُ منْ تحت
بَاب المِرْآب، وأحْصَيْتُهَا خلالَ سَاعة
واحدة،
لم تمرَّ سوى سيارتَيْن اثنتين.
لا أفعل شيئا. أنا للدِّيكُور،
لنَقُلْ بعُجَالة، بَيْدَ أَنّي أعملُ على أنْ أختفيَ
في الدِّيكور. أفعل مثل ساموبل
بكيت الذي كان على ما يبدو يحبُّ أن يقضيَ
عشيّاته في الاستماع إلى شدْو الطنبر في
ضيعته الصّغيرة
في انتظار غودو.
في قلب البستان،
كدسٍّ هرميٍّ صغيرٍ من بقايا النَّباتات
يُعطِرُ الجوّ برائحةِ الأرض ولبان جاوة
الخفيفة.
ثَلاثُ رنَّات قَويَّة لمُنبّه السَّيّارة.
إنها عربةُ بيعِ الحليب والبيض.
أسمعُ صوتَ البائعَة. يُعجبُني أن تكون
مُسجّلة
تحت رقمِ اثنين وثلاثين. لا أعرف
لماذا، لكنّي أسمعُ جُلجُل الجرس الخَفيف
المُعلّق في أعلى البَوَّابة، إنَّها الرِّيحُ. نُوديَ
عليَّ،
والرِّيحُ تحملُني، كما لو أنّي مُلتزمٌ بموعدٍ
هامّ.

في بيت ديوجين الكلبي

قبلًا، في الحديقة، امرأةٌ
عجوزٌ ترتدي صدرية زرقاءَ من النايلون
تصرخ ناهرةً كلبها: اذهب للنّوم. صوت
جهوري.
قروِيٌّ عجوزٌ له ابتسامةٌ عريضةٌ من وراء
نظارات ضخمة. له حَوَل و تقريبا
بلا أسنان. يعرضُ عليَّ كُرسيًّا
منْ قصب. يقُولُ إنَّ الجوَّ جميلٌ هُنا. إنَّهُ
المَكانُ المثاليُّ، قالها نازعًا صنْدَلَه،
متأهّبًا ليصير فزّاعة

مدونات أغسطس

جالسًا عند النافذة لتأمُّل
الضَّبَاب، الجبل المعلّق
– مسافرٌ ثابتٌ مختلطٌ
بهذا التِّبر الأزرق، موسيقاي،
تأمُّلي الوحيد. كلّما لمَست
أوتاره، كلما لمست قلمًا،
مسَّت الرِّيحُ الأوتَار،
وستظهرُ الأصواتُ بمُفردهَا على الصَّفْحة،
تسلْسُلُ مُوسيقيٌّ فريدٌ في القطعةِ الكبيرَة
باشو الصَّغير
الدقّاتُ العَشرُ الصَّافيَةُ للسَّاعة ترنُّ
في المنزل الفارغ. القَريةُ مَهْجُورَة.
كلبٌ بَعيدٌ ينبحُ. القصائدُ ليست
كلمات فارغةً، ولكنَّهَا بالأحْرَى نظَاراتي،
قدحي من الأَرُز، قمري السّاهر على
عتبَات المنازل. أُعيدُ قراءةَ بَاشُو.
وضَحَ القمرُ، أقولُ في نفسِي، الذي أضاءَ
فجْأة
ريشتَه، الذي جعل لباسَهُ من وَرق الكريستال
يَصْفَرُّ، شبيهٌ بذلك الذي
يضيءُ قراءتي في ليلة بَاشُو.

منصب مهم

كنتُ قد فقدتُ الشمال. اكتشفت من جديدٍ
ريحَهُ، نورَهُ، ماءَهُ، أرضَهُ
المنخفضة، على طريق نيوفلوزدريشت،
وأنا أراقبُ، جالسًا عند نافذة
منزله العوّامة، واحد من القَبكنغ راقدًا
يغوصُ نظرتهَ الحمراءَ في البيرة
والعرضِ المجانيُّ للبطّ البرّي
في القنوات، عندما يتبختَرُ بحيويَّة
على المياه، تتساوى مع آلهة
التزلّج على الماء المشهودة، بيد أنّ خنزيرًا
عجوزًا على السّيراميك، له عينٌ من زجاج،
يرعى إذن قليلا من الأخضر الأبديِّ،
وأنا من أجل شيء من الحياة الأبديّة،
كَمْ من حياةٍ على الأرضِ أحتاجُ

أعلى الأراضي المنخفضة

ثلاثة خرفان سمينة مثل كُبَات من الصُّوف
تجزُّ عشب السّدّ الذي سيفقدُ
بصره في لانهاية مساره.
جوٌّ هاويةٍ يسحقُ المروحةَ الهوائيّةَ
العملاقةَ.
تنسحبُ الأرضُ مثل البحرِ في
سراب جزيرة روتومربلات
مستقيمة كحرف ال"آ" في "وتويوزفاد".
هناك، تبتعدُ درّاجتان في السّلام الأخضر
على امتداد القنوات، تحت سمَاءٍ رسمَهَا
"روزدايل".
ترعى أربعةُ جيادٍ في عُشب "غارنفرد".
تلمع حلتهُمْ المخَيّرة في الضياء.
عمّا قريب، يرسمُ برجُ "مارْتِني" الضخم
والعتيق،
تحت الرّذاذ دانتيلهُ الناعمَ،
ويذهبُ بنا من البلدر إلى "غرونيغن"

غرونيغن على الدراجة

الأولى تقرأ، وحيدةً، في رُكْنها، متربّعةَ
القدمين مثل بُوذا. الثانية تتذوّقُ
كأسَ نَبيذ، يصيرُ عنْبرًا
في الشّمْس. وأُخرى تُخفي جَلَمتَيْ
نَهديهَا البيضاوين وترتدي ثيَابَهَا.
التفَ الناسُ حول
الحوض الكبير حيثُ تَرشُّ فوَّارات المياه
يبدُو العَشبُ مَرسُومًا بالأخضر المُشعّ.
يتفاجأ الرّاجل بصمت
الدّرّاجات على "غروت ماركت" حيثُ
نتلذذ بالرّنكة الطّازجة والبصل.
نرى الطّعام المقليَّ والذهبيَّ يرقُصُ
في الزّيت، في آخر الشاحنة.
في شارع "فْيسماركت" رائحةُ البيرة
والسّمك

ترجمة: أ. حسن
راجع الترجمة: سلمى دشراوي حسن

السماء علامة نوستالجية

شهلا العجيلي حول الرواية والطفولة والتاريخ والشخصيات

خلود الفلاح
كاتبة من ليبيا

❏ تبحث الروائية السورية شهلا العجيلي في روايتها "سماء قريبة من بيتنا" في خريطة التحوّلات التي اعترت الشرق الأوسط منذ نهايات القرن التاسع عشر، مروراً بحربين عالميّتين، إلى اللحظة الراهنة، من خلال مشاهدات إنسانية للبلد الذي ولدت وترعرعت فيه واليوم يغرق في الظلام، الرواية مليئة بتفاصيل مدن وأشخاص يصارعون القسوة يومياً، تكتب عن الحرب وما تخلّفه من يتم وتشرد وضياع للأحلام، في مخيمات اللجوء، عن الموت الذي لا يفرّق بين أحد، ما تكتبه شهلا العجيلي في الرواية يقترب من بلدي ليبيا الذي يعيش القسوة بكامل تفاصيلها.

لكل كاتب طريقته الخاصة لحظة اقتناص الكتابة، هنا سألنا الروائية شهلا العجيلي عن قواعد الكتابة لديها فقالت "شروط لحظتي الكتابيّة تبدو غير معقّدة، ليس أكثر من الهدوء والانفراد والمثابرة، لكنّها بالنسبة إلى شخص مثلي صعبة التحقّق، فالعائلة، والعمل الأكاديميّ، والحرب.. كل ذلك يجعلني صيّادة للوقت أنتظر أن ينام الجميع، ويتوقّف إطلاق النار، وينتهي موسم أبحاث الطلبة، وأبحاثي الخاصّة، ويهدأ العالم لأستطيع أن أكتب. الابتعاد عن النصّ أمر مقلق للروائيّ، عليه أن ينكبّ ويكتب بلا انقطاع، وألّا يهجر عالمه، حتّى لا تيأس شخوصه من رعايته، فتعمّ الفوضى في النصّ". شهلا العجيلي روائية وناقدة سورية، حاصلة على الدكتوراه في الأدب العربي، وعبر صفحات "العرب" نتحاور حول روايتها "سماء قريبة من بيتنا" التي وصلت للقائمة القصيرة لجائزة الرواية العربية "البوكر" للعام 2016.

مفارقة حادة

"جمان بدران" الشخصية الرئيسية في رواية "سماء قريبة من بيتنا" تعيد شهلا العجيلي من خلالها اكتشاف ذاتها عبر الكتابة. وهي كما ترى الكاتبة صارت نموذجاً فنيّاً مؤثراً في كل من قرأه. نموذج فنيّ حقيقيّ تكاثفت فيه السمات الواقعيّة لامرأة سوريّة تعيش في هذه المرحلة، تمتلك تاريخاً عائليّاً كثيفاً، وتعي ذلك التاريخ، وتأتي اللحظة الحاسمة لتعبّر عن ذلك الوعي عبر سرد، ونقد، وسخريّة، ووجع، ورثاء، لكن بلا مبالغات، بل بمحاولات التفكير الموضوعيّ عبر طرح الأسئلة، ففي لحظة الحرب أو مقاربة الموت والزوال، تطفو الأسئلة الحقيقيّة التي كانت من قبيل المسلّمات، ولعلّ لحظة معرفة "جمان" بإصابتها بالسرطان هي اللّحظة التي حدّدت الجوهريّ من العارض أو الوهميّ، لتكشف لنا مخاتلات التاريخ، وخدعه بشجاعة مطلقة، فالمرض يحرّر، والحرب تحرّر. يسعدني أن تصير "جمان بدران" شخصيّة تمشي مع كثير من الناس، يسألونني عنها، عن أصولها، ومصيرها، وكأنّها من لحم ودم! لقد انضمّت إلى إيمّا بوفاري، وآنّا كارنينا، وسلمى كرامي، وظلّت شخصيّة إشكاليّة كاشفة لتحوّلات الواقع، من غير أن تمنح أسرارها جميعاً.

وتعتقد الكاتبة أن الفنّ عموماً مواجهة جماليّة عبر النمذجة التي تبرز الأضداد. والكاتب يصوّر الحياة في ديناميكيّتها، وهنا سيظهر كل شيء، لكن ما حدث في "سماء قريبة من بيتنا" أظهر المفارقة الحادة بين القبيح والجميل، لأنّ الأماكن التي كانت مسرح الأحداث أماكن موسومة تاريخيّاً بـ(الجميل): الرقّة، وحلب، ودمشق، ويافا، وبراغ، والكاريبي، إنها جغرافيا لها ثقل تاريخيّ يمنحها الجلال أيضاً، والذاكرة تحمل لها الكثير من التصوّرات الرومانسيّة. الشخصيّات تمتلك ذلك التقييم الجماليّ أيضاً، فجمان وهانية ويعقوب ونبيلة وناصر شخصيّات محبّة وخيّرة، تعاندها أقدار قاسية كالحرب والمرض، والاغتراب، لذا بدت المفارقات الجماليّة حادّة، وكانت ذات وقع أكبر على المتلقّين.

علامة نوستالجية

وحول دلالات عنوان "سماء قريبة من بيتنا" تقول الكاتبة "أنا أفضّل العناوين متعدّدة الدلالة. هناك من سيقرأ العنوان على أنّه مصدر للتفاؤل على أساس فكرة الإيمان، فالشخصيّات كلّها في النصّ لم تفقد إيمانها رغم ما تعرّضت له، تيأس، ثمّ تتمسّك بحبال الرحمة. الأطفال في النصّ يسألون عن الله، والكبار يمنحونهم إجابات إيمانيّة، كما يحدث في الحياة، لكنّهم يتساءلون أيضاً عن السبب الذي تتركهم فيه السماء لذلك العذاب. الدلالة الأخرى هي قرب السماء بمعنى المعراج إليها، فهي قريبة بحيث يصعد الناس إليها بسهولة، الشهداء والمرضى والأحبّة واللاجئون.. وبالنسبة إليّ السماء علامة نوستالجيّة، وعتبة إلى الألفة، هي سماء المكان الأوّل، الرقّة، التي تحنّ إليها 'جمان' في تنقلاتها العديدة، إذ تظلّ تبحث عن سماء موطنها التي أظلّت بيتهم قرنين من الزمان، ولن تجدها في فضاء النصّ أبداً".

حيادية الأمكنة

المكان يحضر على امتداد صفحات الرواية بذكريات جمان عن طفولتها، عن شوارع وأزقة حلب والرقة ودمشق، والدمار الذي حل بالجميع. فأوضحت الروائية شهلا العجيلي "عشت في بلاد غنيّة بالآثار العمرانيّة، وكان لديّ شعور راسخ بثبات المكان في مواجهة الزمان وتحوّلاته. في بلادي آثار تعود إلى الألف العاشرة قبل الميلاد، لطالما منحتني شعوراً بالديمومة، وأماناً بدائيّاً يتعلّق بفكرة الخلود، بأنّنا سنذهب وهذه الديار ستبقى عامرة، وممتدّة وآخذة في النماء والتطوّر، لم يكن هذا الدمار في بالي مطلقاً! حين صرت على مسافة من هذه الأمكنة، بسبب الدراسة أو العمل أو الارتباط العاطفيّ، كان عليّ أن أستعيدها، وأراها بعين الحنين أو النقد، بعدها جاءت الحرب، وصار لزاماً عليّ أن أقيّدها، وأقيّد علاقتي معها لأثبت أنها كانت حقيقة لا أحلاماً.

دائماً أستعيد أمكنتي، فهي الهويّة والذاكرة، كتبت عن الرقة، وحلب، في (عين الهرّ) وفي (سجّاد عجمي)، لكن هذه المرّة في (سماء قريبة من بيتنا) لم أشتغل على جغرافيّتي الخاصّة من أجل استعارة فنيّة أو كنائيّة، بل كتبت وقلبي يحترق، أريد تثبيت الصورة التي في ذاكرتي، بكلّ ما فيها من جمال مورفولوجيّ، وبما تحتويه من علاقات نسقيّة قاسية أو كريمة. لقد منح ذلك كلّه النصّ أثراً زائداً عن الأثر الجماليّ لأماكن حياديّة، أضفى عليه الملحميّة والدراميّة بمفارقات أوجع بين قبح الحرب والدمار والجمال الذي كان عليه المكان تاريخيّاً.

ما الذي منح الإليازة هذا التأثير؟ إنّها التفاصيل الجماليّة لذلك العالم الذي دافع عنه أبطالها وهي القيم، والعمران، والفنون..، لو حلّ الدمار بصحراء بلقع، لما ترك الأثر ذاته على المتلقّين عبر العصور. والجاهليّ حينما وقف على الطلل، كان يقف على ذكرى الحياة التي سادت ثمّ بادت. الناس يشعرون بفداحة الخراب حين ينال من المدن العامرة، فحتّى خراب إرم ذات العماد لا يترك الأثر ذاته، الذي يتركه خراب غيرها، إذ ليس لها تاريخ بوصفها بلاداً آهلة بالناس الذين يملكون

> دائماً أستعيد أمكنتي، فهي الهوية والذاكرة، كتبت عن الرقة، وحلب، في (عين الهر) وفي (سجاد عجمي)، لكن هذه المرة في (سماء قريبة من بيتنا) لم أشتغل على جغرافيتي الخاصة من أجل استعارة فنية أو كنائية، بل كتبت وقلبي يحترق، أريد تثبيت الصورة التي في ذاكرتي، بكل ما فيها من جمال مورفولوجي

ما يهم في الرواية ليس التاريخ ولكن حركة الشخصيات

فيها جذوراً أو ذكريات، في حين كان خراب المدن الأندلسيّة بالغ التأثير كما وصفته المدوّنات، لذلك كان رثاؤها موجعاً، إذ طالها الخراب على مستوى العمران والهويّة، كما حصل مع مدننا السوريّة، هناك هويّة عربيّة سوريّة مستهدفة، فضلاً عن خسارات الأفراد والعائلات، التي هي الأقسى، ذلك أنّ فكرة الضحيّة فكرة لا أخلاقيّة مهما كان الفداء نبيلاً، فكرة الضحيّة فكرة آثمة، اخترعتها الأنساق لتسويغ القتل".

أفراد شائهون

هناك رابط بين روايات "سجاد عجمي" و"سماء قريبة من بيتنا" وهو أن الصراعات السياسية والثقافية واحدة منذ بداية وجود البشرية. حول وجهة النظر هذه ترى الكاتبة أننا لا نتغيّر كثيراً، وما يسمّيه (الشكلانيّون) بالأغراض المستمرّة ستتجدّد، ولن تغيب عن حياة البشر أو عن تاريخ الكتابة: الحبّ والكره، والخيانة والإخلاص، والتضحية والجشع، الحروب، والرغبة في السلام، والصراع الذكوريّ الأنثويّ.. الرواية تلتقط لحظات التحوّلات حيث تظهر لدى الأفراد الأفعال الثقافيّة التي يدافعون بها عن وجودهم، عن ذواتهم الفيزيائيّة بداية، ثمّ عن هويّاتهم. في "سجّاد عجمي" كان ثمّة فتنة طائفيّة هجر الناس نتيجتها بلادهم، وتغيّرت حياتهم التي لا يمكن أن تعود إلى سابق عهدها. صوّرت مجتمع القرن الثالث الهجريّ ليس كما يظهر في الأعمال التاريخيّة مجتمعًا للجواري وسيّدات تربطهنّ المكائد ورجالا يفكّرون بملك اليمين، بل كانت النساء عاملات، وقد وضعتهنّ في حقول عملهنّ، وفي علاقاتهنّ مع الرجال والأطفال والعسكريّين والتحوّلات السياسيّة. فكرة العمل والإنتاج فكرة مهمّة بالنسبة إلى النساء، وفكرة الرغبة في تنمية الأسرة محوريّة أيضاً، كلّ ذلك يجرفه الخراب الذي تحمله رغبات شخصيّة عنيفة لأفراد شائهين. وفي "سماء قريبة من بيتنا" لا تتوقّف الحروب منذ مئتي عام، وتتحوّل معها الهويّات والطبقات، ويموت الكثيرون بلا سبب، وتتحوّل حياة آخرين إلى يتم، وبؤس، وتشرّد، أو ربّما إلى الغنى أو الجريمة.. المهمّ أنّها ستكون حياة مختلفة

عنها لو لم تقم الحروب. إنّ الحياة السابقة لهؤلاء الموتى والحياة الجديدة لمن تركوهم، هي ثيمة رئيسة من ثيمات الرواية.

رواية تاريخية

ترصد الرواية التحولات التي حلت بالشرق الأوسط منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى اللحظة الراهنة. ولكن هل هي رواية تاريخية شاملة؟ الكاتبة ترى أن تاريخ العالم شديد التشابه، وليس فيه الكثير من الطفرات، لكنّنا نحتاج من حين إلى آخر إلى أن نعيد كتابته، وقراءة أحداثه. مع الحرب بدا تقارب العالم أكبر، ويمكن للرواية أن تعيد ترتيب العناصر: الخراب، المدن المحاصرة، الضحايا، الجلّادون، المنتصرون، المهزومون. وحين تمسّنا النار على المستوى الشخصيّ سنشعر بذلك التشابه، وسنقرأ تاريخ الآخرين برؤية جديدة أيضاً، نصير أكثر تعاطفاً معهم، وأكثر موضوعيّة مع أنفسنا ومع تاريخنا الشخصيّ، ومع المشترك، والمجمّع. هذه المنطقة بالذات منطقة حارة، لم تنل حتّى استراحة المحارب. فأعمارنا قريبة من عمر تكوّن الدولة القوميّة، والحربين العالميتين والاستقلال: أبي ولد في حرب، وأمّي في حرب أخرى، وأنا جئت بعد حرب ثالثة، وأختاي في حرب، ثمّ عشنا حرب لبنان، والعراق والسودان، ودائماً هناك فلسطين.. والآن النار في البيت.

وتضيف الكاتبة "ما يهمّ في الرواية ليس حركة التاريخ بحدّ ذاتها، بل حركة الناس أثناء التحوّلات، تلك هي مناطق الرواية المحبّبة، ولم يكن التاريخ في 'سماء قريبة من بيتنا' موضوعي الرئيس بل هي النكبات، والحروب، وأطماع الكبار التي تؤدّي إلى تدمير العائلات التي كانت تعيش بأمان، ولها أحلامها وطموحاتها، ومعتقداتها وهويّتها. الهويّة رؤية لها صفة القداسة لعلاقتها بالوجود الذاتيّ، فكيف للآخرين أن يحدّدوها، فيتواضع عليها الناس، ثمّ ينقضون هذا التحديد ويغيّرونه؟! عشنا مؤمنين للعشرات من السنين بالدعوة القوميّة، رتّبنا حياتنا على أساسها، تزوّج الناس، وكوّنوا عائلات بين العراق وسوريا والأردن ومصر، ثمّ نتيجة قرارات فرديّة، أو عنف جماعيّ، تغلق الحدود وتنقطع الأواصر. يجب أن تتحمّل التشريعات السلطويّة مسؤوليّة حقيقيّة عن مصائر البشر".

سيدة الابتكارات

لطفية الدليمي
كاتبة من العراق

❏ "علمتني التجارب أن علينا تغيير أسلوب تفكيرنا بين الفينة والأخرى لتناسب اللحظة التي نعيشها".. زها حديد تبدو مقولتها الصلبة هذه شذرة أساسية في بناء شخصيتها العبقرية إذ لولا تطور زها حديد الفكري المتواتر بين برهة وأخرى ومثابرتها لتتواءم كل أونة مع اللحظة المتزامنة معها، لما تمكنت من تحقيق مشاريعها الأسطورية على أرض كوكبنا المحتشدة بالتحديات والعوائق، حتى ليبدو التجدد والتغيير من أبرز ركائز شخصية زها حديد التي لا تتوقف أفكارها عند منحنى زمني أو أسلوب صياغة محدد أو رؤيا مستقرة فهي المتجددة المبتكرة التي توظف شطحات مخيلتها الابتكارية والرياضيات في صنع عالم ما بعد حداثي بهيئة مبان معاصرة، وكلما غيرت أسلوب عملها ازدهرت مخيلتها وتجسدت أحلامها أشكالا عجائبية.

لو كتبت زها حديد الشعر فماذا ستكتب لنا؟ أيّ ضرب من الانزياحات اللغوية ستقدم في قصيدتها الهندسية المنسابة والمعقدة وما الذي ستقوله سيدة الأشكال الفضائية اللامألوفة والمتجاوزة؟

حققت زها انسيابية الأشكال وأدمجتها بالطبيعة على نحو بالغ الغرابة في الهندسة ما بعد الحداثية وبالذات الأعمال التفكيكية التي تعمد إلى تحطيم الشكل ونثر أجزائه على نحو تجريدي غامض بمنحنيات تخلت عن الأشكال المكعبة، وتذكر زها حديد أن أستاذها "كولهاس أحال التجريد الشكلي وانسيابيّته والقدرة على الاستعانة بالمنحنيات إلى نمط الخط العربي وتجريداته إذ وجد أن زها وزملاءها العرب والإيرانيين الطلاب في قسم المعمار هم الأقدر على ابتكار المنحنيات في تصاميمهم وعزا ذلك إلى تأثرهم بالخط العربي.

ترى من أين استلهمت شاعرة الهندسة سحر أعمالها الغرائبية وإحساسها بالفضاءات اللامحدودة؟ أهي تجارب وخبرات الطفولة والتربية المستنيرة؟، تعترف زها حديد بذلك وتشير إلى سنوات طفولتها وصباها في العراق فتقول "تلقيت تربية عصرية في العراق، واستفدت من تربية والديّ المستنيرة لي ودعمهما غير المشروط، كانا ملهمين كبيرين لي، وعلّمني تشجيعهما أن أثق بإحساسي مهما كان غريبا".

هذه المبدعة التي رفعتها أعمالها المبهرة إلى مصاف أساطين العمارة المعاصرين لتنال على منجزاتها جائزة "بريتزكر" أرفع جوائز العمارة وتذكر مع أعلام العمارة العالميين، تأثرت كما تأثر جيلها بأعمال "أوسكار نيماير" المهندس البرازيلي وأشهر معماري العالم مبتكر مدينة برازيليا، وشغفت بإحساسه الطاغي بالمساحات والفضاءات وألهمتها أعماله لتبتكر أسلوبها المعروف بانسيابية الأشكال مترسمة خطاه التعبيرية في التجديد المعماري، إضافة إلى ما لدى زها حديد من ذخيرة بَصَرية اختزنتها ذاكرة طفولتها عندما اصطحبها والداها وهي ابنة سنوات ستّ إلى معرض أقيم في بغداد سنة 1956 لأعمال المعمار العالمي فرانك لويد رايت، فانبهرت بالتصاميم والصور الفوتوغرافية التي تجسد أعمال رايت، وترسخ في أعماق وعيها الطفولي شغف شعري بجمال الأشكال الهندسية.

كما أنها لا بد تأثرت على نحو لا واع بالشكل الهندسي للنخلة التي تخترق الفضاء بانسيابيتها ورشاقتها لتشكل كرة خضراء هندسية متكاملة وتندغم بالسحب والنجوم، ولا تنكر زها حديد انبهارها في صباها المبكر خلال رحلات العطلات مع والديها بالمشهد الطبيعي لأهوار العراق وانسحارها بحركة الرمال وتمازجها مع المياه وتداخل الاثنين مع الحياة البرية النباتية والحيوانية المتداخلة مع الأفق والمندمجة مع البنايات والبشر في المشهد ذاته. هذا العنصر المهم في موضوعة اندماج الطبيعة مع المشهد الحضري، الذي غذى طفولتها العراقية بترابط العناصر واندماج المدينة العراقية بالبساتين والمزارع والأنهار،هو الذي وسم أعمالها بالانسيابية المتضافرة مع تعقيدات هندسية معاصرة.

جمع تكسير اللذة

«فيدر» عرض مسرحي بولندي في باريس

عمل يطلق لاوعي المشاهد ويحرر أفكاره

عمار المأمون
كاتب من سوريا

تشهد خشبة الأوديون في باريس العرض المسرحي "فيدر" (الاسم بصيغة الجمع Phedres) للمخرج البولندي كريستوف وارلوفسكي، الذي يستند إلى نصوص (فيدر) لكل من سارة كاين، ووجدي معوض، وج. م. كويتز، العرض الذي يستمر لثلاثة ساعات من بطولة الممثلة الشهيرة إيزابيل أوبيرت، الذي يستحضر فيه وارلوفسكي تاريخ اللذة وعلاقتها مع الجسد والآخر، وارتباطها بالمقدس عبر مرجعيات النصوص التي يستخدمها، لنرى أنفسنا أمام صيغة بصيرة- شبقيّة، تتداخل فيها الفضاءات، لتغدو الرغبة وعلاقات اللمس المحرّك الأساسي لفضاء اللعب.

الاشتغال المسرحي على فيدر يستدعي الوقوف على تاريخ مسرحي طويل من النصوص والعروض، إلى جانب الدراسات النقدية والأدبية، ففيدر من أشهر الشخصيات المسرحية التي كان دأب كل مسرحي معالجتها بصفها تعكس موضوعة الحب والرغبة المحرّمة، وفي عرضه يؤسس وارلوفسكي لفيدر بوصفها على حواف الانهيار لذةً، إذ يحوي اسم العرض باللغة الفرنسية حرف الجمع مضافاً إلى اسم فيدر، وكأن المخرج يعمل على فيدر كمفهوم، كتحولات ضمن تاريخ الثقافة مستنداً إلى النصوص المعاصرة، حيث اللقاء بين فيدر وهيبوليت ممكن، وأشد مما نراه عند راسين، ففيدر وارلوفسكي تَعبر الهنا والهناك، حاضراً و ماضياً، كزئبقٍ يشتعل شبقاً في كل ثانية.

التقمص سبيل للذة

يبدأ العرض بأغنية الأطلال لأم كلثوم تؤديها نورا كريف بتوزيع معاصر، ترافقها راقصة على شفا العري تحضر أغلب العرض، وكأنها معادل عن الشبق بصورته النقيّة، خارج الخطاب والشخوص، بوصفه تلك الشعلة التي تحضر في كل الأزمنة، ففيدر بتحولاتها تجعل جسدها كتلة مُؤغلمة تسعى للذّة، فالإلهي (أفروديت) يحلّ في البشري (فيدر) لتضيق خلايا الجسد عن الاحتمال لتصل حدّ النزيف، تحوّلات فيدر في العرض كلها تنتهي بالانهيار، فنهايتها محتّمة، فهي تارة الأم التي تخاف العار، وتارة صاحبة الجاه التي تحاول أن تُصلح ابنها العاق، ونهاية هي الكاتبة التي تبحث في تاريخ

> يبدأ العرض بأغنية الأطلال لأم كلثوم تؤديها نورا كريف بتوزيع معاصر، ترافقها راقصة على شفا العري تحضر أغلب العرض، وكأنها معادل عن الشبق بصورته النقية

إيروس، لكن الجسد يُشلّ لشدة الأغلمة الحاضرة دوماً ولو اختفت ظاهرياً. إذ تتحول هذه الرغبة إلى عنف جسدي، لنرى المفهومين (اللذة-العنف) يحلّان في ذات اللحظة أحياناً، كذلك نتلمس العنف الذي يمارسه الأب الغائب في الخارج، الذي ينعكس في علاقة السفاح في الداخل، فغياب الأب في الخارج يعادله التدخل الإلهي لتحقيق الموازنة في الداخل، وفيدر هي الضحية، إذ نراها تنتحر في نهاية كل مشهد.

يتداخل الإلهي مع البشري في عرض وارلوفسكي، أفروديت تتحول لفيدر وبالعكس، الإلهَة الشبقة تتقمص الجسد البشري لتذيبَه شهوة في هيبوليت، ابن الزوجة، المحرّم، لنرى أفروديت تسيل شهوة، ليتحوّل الأمر لما يشبه اللعنة التي تتغير أعراضها كلما تغيرت فضاءات المتعة، والمنصة التي أشبه بحمّام، تعطي انطباعاً دائماً أن ابنة الشمس، فيدر، تسعى دوما لإطفاء شهوة المحرّم التي تحرقها.

قنوات الرغبة

حضور هيبوليت وغيابه في العرض متباين، فهو تارة بعيد عن فيدر، لا يمكنها مسّه، أو على النقيض، يشاركها السرير في مشهد شبقي يحصل أمامنا ينتهي بمقتل هيبوليت، بعد هنرى هيبوليت ككلب، يتلقى أوامره من أفروديت التي تقمّصت فيدر، وأحياناً تلعب دور الراوي على لسان فيدر التي تشلّ حينها ولا تستطيع الحركة، هيبوليت يتغير أيضاً بحسب مرجعية النص، هو الفنان والمصور الرومانسي، أو الزير اللعوب عديم الأخلاق والانتماء الذي يضيع سمعة الأسرة بمجونه ويُتهم باغتصاب أمه.

علاقة اللمس/ الأغلمة بين فيدر وهيبوليت تتجاوز الصيغة التي يحويها النص الأصلي ليوربيدسو حتى نص راسين، فالفعل الجنسي يحصل، لكنه ليس محور العرض، فالأغلمة الحاصلة لدى فيدر مردّها إلهي، لا بشري، لكن هيبوليت في كل المشاهد بشري، وحتى حين يتهم باغتصاب فيدر، نراه يسخر من الاعتراف الديني، في حين أن أفروديت/الإلهي تحضر وتراقب فيدر، وفي المشهد الأخير، حيث يتحول العرض فجأة إلى ما يشبه الحوار بين صحفي و كاتبة مشهورة تلعب دورها أوبيرت، نرى الأخيرة تحكي عن الحضور الإلهي والديانة المسيحية والبحث عن إيروس، لكنها ما تلبث أن تنهار، لتعود الراقصة للحضور، وكأن الرغبة لا تعرف حدود الجغرافيا أو النصوص، هي مسّ ينتبج خلايا الجسد إثره حدّ السقوط.

مشهدان من عمل كل مخرج معاصر حلم بتقديم رؤية مسرحية له

الموريسكي الأخير

وليد علاء الدين
شاعر من مصر مقيم في الإمارات

أقف بحذر شديد أمام مساحة الحديث عن مجد الأندلس الغابر؛ لم أجد الوقت الكافي لقراءة منظّمة ومنضبطة تعينني على تشكيل رؤية نهائية حول الأمر، وأخشى أن أحاسب وقائع التاريخ وفقًا لقيم لم تكن موجودة آنذاك ولم نعرفها سوى في العصر الراهن.

لكن ثمّة قلق يجعلني دائمًا غير قادر على تقبل فكرة أن بناء حضارة -مهما بلغت عظمتها - على أرض آخرين والتسليم بها، يمنح أصحاب هذه الحضارة شرعية امتلاكها ثم البكاء عليها بعد السقوط.

قلّة هم من استطاعوا الفصل بين العناصر في مشهد الأندلس، ونجحوا في الحديث عن الأمر باعتباره منجزًا حضاريًا، وتحليل أسباب نجاح هذا المنجز الذي شهدته الأراضي الأيبيريّة (الأندلس لاحقًا) من دون إقحام عناصر الخلاف كالأرض والجنسية والمعتقد.

في مقابل ذلك، تكثر الكتابات والدراسات التي تنطلق من يقين شبه مطلق بأن الأندلس "حق عربي إسلامي"، ولأن أصحاب هذه الكتابات يلوون -من دون عمد- الحقائق والمعلومات لتتفق ويقينهم مسبق الصنع، فإن هذه الكتابات -بحثية كانت أم إبداعية- تشبه المخدر الذي -وإن كان يريح صاحبه- فإنه يسمح للكثير من الطعنات أن تؤذي جسده قبل أن ينتبه فتكون النهاية المؤسفة.

على هذه الخلفية، ظلت رواية "الموريسكي الأخير" للروائي المصري صبحي موسى على مكتبي فترة لا بأس بها، يراودني تجاهها شعوران؛ شعور يقوده احترامي لكتابات صاحبها السابقة ومعرفتي لمدى الجهد الذي يبذله في إنجاز أعماله. وشعور آخر يدفعني لتأجيل الأمر إلى أن تنتهي ذكرى سقوط الأندلس التي تشهد عادة سيلًا من الكتابات والبكائيات المدفوعة بشعور ديني أو قومي فاقع، تغطّي على غيرها من كتابات تسعى للوقوف على حد التعلم من التجربة واستخلاص العبرة منها كما ينبغي أن نفعل مع التاريخ.

بعد أن هدأت الزوبعة، تصفحت الرواية، بدأت بالتلصّص بين صفحاتها متقدمًا ومتأخرًا إلى أن وقعت في شركها الفني المنصوب ببراعة فلم أغادرها إلا وقد قرأتها.

بعيدًا عن اللغة السلسة والبسيطة، وإجادة استخدام تقنيات الإدهاش والاستبقاء في "الموريسكي الأخير" بدا لي أن نجاح صبحي موسى الأهم هو تعامله الإبداعي مع أزمتي الشخصية مع "الحضارة الأندلسية"، وتحويل الأمر إلى سؤال مجرّد غير متورط مع مذهب أو دين أو جنس أو عرق. سؤال لا هوية له سوى الإنسان، أو هكذا بدا لي.

وفي ظني أن هذا الطرح هو قارب النجاة الوحيد من كل تطرف أو تعصب يبحث عن الذات من خلال نفي الآخر أو تحجيمه. وهو المنهج -إذا صح التعبير- الوحيد القادر على تفعيل الفائدة والخروج بالدرس من كل منجز حضاري نجح البشر في تأسيسه على هذه الأرض.

بين زمانين متباعدين تاريخيًا (زمن مراد الموريسكي/المصري: بعد ثورة يناير 2011، وزمن جده محمد بن جهور، الموريسكي الذي عاش فترة "سقوط الأندلس) يصحبنا موسى في عالم روائي مرهف لا يسير بين عالمين بل يخرج من أحدهما إلى الآخر عبر خيوط وصل ذات طابع حلمي أسطوري تحولت معه الروايات التاريخية إلى قطع "بازل" متقنة الصنع تستفزك للبحث عن موضعها من هذا البازل الإبداعي الكبير الذي يحمل اسم رواية.

الأهم من القصة كيف تسردها الرواية، والأهم من السرد تلك التقنيات الصغيرة التي تقودك بداخله إلى الأمام، وتضطرك أحيانًا إلى العودة قليلًا -أو كثيرًا- إلى الخلف لتعود بما يُضيء على منطقة وقوفك داخل العالم الروائي. وهو ما نجح فيه موسى إلى حد يستحق التقدير، لأنه -في اعتقادي- الحد اللازم ليتوقف القارئ عن مساءلة التاريخ، ويتحول إلى مساءلة الإبداع (بما يتضمنه من تاريخ) عن الرسالة التي تُبنى على مهل داخل وعيه فلا يترك الرواية -أو لا تتركه الروية- إلا وقد نجحت في إضافته إلى وعيه.لا صلة للحديث هنا بالمعلومات أو الأحداث وإنما بكيفية التفكير في ما نملك من معلومات وما نقرأ من أحداث، وأظنها مهمة الإبداع الأولى.

يمكن للقارئ أن يحار في أمر مقارنة الرواية بين تجربتي "سقوط الأندلس و"ثورة 25 يناير"، لأن الإحالة المباشرة تضع "النظام الفاسد" الذي ثار عليه المصريون مقابل "حضارة الأندلس التي سقطت من بين أيدي "الأندلسيين".

ولكن الرواية تعطي القارئ مفاتيح سرية دقيقة تجعل من الممكن توسيع هذا الأفق، لتصبح المقارنة ليست بين المصريين في ثورتهم على "نظام مبارك" وبين "الأندلسيين"، إنما بين المصريين في ثورتهم وبين "الموريسكيين" في محاولة استعادة وجودهم. وهو فارق رهيب يحتاج -خارج الإبداع الأدبي- إلى مجلدات للشرح والتأصيل، إلا أنه داخل الرواية يتضح عندما يتخلص القارئ من عقد الدين والقومية الجاهزة، ويرتدي عدسات الإنسانية، ليرى في الموريسكيين الممثلين للمعنى الحديث للمواطنين في كل مكان؛ الموريسكي -في الرواية كما أراه- هو المواطن المعاصر الذي لا صلة "مباشرة" له بعرق أو جنس أو مذهب، ولكنه نموذج للإنسان المعاصر الذي تداخلت في تشكيله الكثير من الثقافات والأعراق والمذاهب والأجناس والحضارات قبل أن تصل إليه، وهو بذلك يشبه المواطن المصري المعاصر الذي أنتجته تداخلات وصراعات وتمازجات من الحضارت والأمم والأعراق والأفكار والانتماءات، زالت كلها ولم يبق غيره ممثلًا لوجوده الإنساني والحضاري، ولا يحق لأحد أن ينتزع عنه حقه في الاستمرار في بناء حضارته وفق هذه المقوّمات لصالح فكرة واحدة دينية كانت أم عرقية أم سياسية.

وجه الشبه هنا ومنبع اختيار صبحي موسى لهذه المقارنة -كما أحبُّ أن أراه- هو تلك اللحظات من التاريخ التي يجد الناس فيها أنفسهم مهددين في وجودهم بسبب مقومات وجودهم نفسه! تلك الفترات التي يصل فيها معيار السفالة بالبشر إلى أعلى مؤشراته فينزع الناس عنهم لباس الإنسانية، ويرتدون ألبسة الطائفية والمذهبية والقومية والعنصرية فتضيق الأرض إلا بهم، وتسقط فكرة الوطن، فيصبح الكل مهددًا وخائفًا وينتشر الزيف والنفاق والكذب والخداع والرياء، ويتخفّى الصراع على النفوذ والسلطة والثروة في وجوه الدفاع عن الدين أو العرق أو الشرف، ويكون معيار قبول الفعلِ ليس مدى إنسانيته أو أخلاقيته، إنما من قام بماذا؛ فما يقوم به بنو الجلدة وأخوان المذهب أو الطائفة أو الدين أو الأنصار من أفعال مقبول وصحيح، بينما الأعمال نفسها مرفوضة ومنبوذة إذا صدرت عن الآخرين.

فهل كانت رحلة "الموريسكي الأخير" من أجل لمّ شمل السلالة كما جسدتها الرواية ببراعة، ودعوة إلى هذا المعنى الإنساني للوطن كما وصلتني من خلال القراءة، أم أنها انطلقت من رؤية مغلقة على الأصل والعرق والدين حجبها عنّي حذري من الاستسلام لهذه الفكرة؟

هذا هو السؤال الذي أخجل من توجيهه إلى مبدع في حجم صبحي موسى.

ماربيا.. الاسترخاء على شواطئ جميلة البحر

أندلس العرب أجمل منتجعات البحر الأبيض المتوسط

جولة بين أروقة الماضي

زيارة سياحية إلى جنوب أسبانيا تكفي السائح لينعم بكنوز الماضي الدفينة بين أحضان مدينة ماربيا التي تفوح من بين جنباتها الروح العربية الأصيلة محاكية آثار الطابع المعماري الإسلامي القديم الذي يسيج كامل المدينة المزدانة كذلك بطبيعة تملأ الربيع شذى وبهاء.

❑ **مدريد** – تمتلك أسبانيا العديد من عناصر الجذب السياحية، علما وأن سياحتها تصنف الأكثر تطورا في العالم ويرتبط هذا التصنيف، عموما، بكونها تجمع بين جنابتها أجمل المدن تنوعا وثراء، وحضارة من أعرق الحضارات.

وما ساعد أسبانيا كذلك على أن تكون قبلة السياح أنها محاطة من كل جانب بأكثر من بحر ومحيط، لا سيما وأنها تستقطب في هذا الوقت من السنة زوارا يتجهون جنوبا حيث تقبع جوهرة تتلألأ آخذة من اسمها "جميلة البحر" أو "ماربيا" بريقها.

وأكثر ما يميز مدينة ماربيا القابعة في مقاطعة ملقة على بعد 40 كيلومترا جنوب شرقي أسبانيا، عن غيرها من المدن أن اسمها ورد في سجلات القرون الوسطى باللغتين اللاتينيّة والعربيّة.

كما أن هذه المدينة تتمتع بمناخ معتدل على مدار فصول السنة الأربعة، خال من الرطوبة، بجانب أنه يحمل نسائم تلطّف الجو وتنعشه، بالإضافة إلى أن شاطئها الذي يدعى "شاطئ الشمس"، ويمتد من مدينة ملقة إلى مدينة الجزيرة الخضراء، يسهم في جذب السياح العرب والأجانب الباحثين عن الشمس والراحة، علما وأنها تحتوي على مجموعات سكنية وفنادق راقية تحمل الطرازين الأندلسي والعربي لتوفر مأوى آمنا ومريحا للزائرين.

ويفضل البعض فور الوصول إلى هذه المدينة الذهاب مباشرة إلى "بويرتو بانوس" وهو ميناء بجانب ماربيا يعد المنطقة السياحية الأولى فيها وقبلة السائح المفضلة، وهناك من يخير قضاء بعض الوقت في الأماكن المجاورة للمدينة، علما وأنها تتميز بقربها من عدة مدن وقرى صغيرة أقربها "استيبونا" و"سان بيدرو" اللتان تبعدان عنها بالتوالي حوالي 5–7 كلم.

كما أن زيارة هذه القرى والمدن المجاورة لا تستغرق وقتا طويلا مما يستوجب المبيت بعيدا عن ماربيا، إذ بإمكان السائح من هواة القرى زيارتها جميعا والعودة في نفس اليوم بالتاكسي أو الباص أو عن طريق استئجار سيارة وهذا يعد من أفضل الوسائل وأنجعها.

أجمل منتجعات المتوسط

لا يكفي أن ماربيا جوهرة أسبانية فهي أيضا منتجع من أجمل منتجعات البحر الأبيض المتوسط، فضلا عن أنها تتصدر قائمة مدن المنتجعات في أسبانيا بأشجار النخيل المصفوفة والنوادي الشاطئية الفاخرة، وملاعب الغولف التي تلبي احتياجات الزبائن المقتدرين.

ومع ذلك يظل الاستمتاع بالشواطئ الرملية والمراكز التاريخية الغريبة نقطة تميز أخرى للمدينة، لا سيما وأنها منذ ثمانينات القرن العشرين عرفت طفرة هامة في المجال السياحي خاصة في ما يتعلق بتجديد هذا القطاع فانتشرت الفنادق الفخمة، والمجموعات السكنية الراقية التي شيدت على الطراز الأندلسي العربي والحدائق الجميلة المنتشرة في كل مكان.

وفي إطار تهيئة المدينة بما يليق باستقبال وفود السياح وقع إعداد مرفأ خاص لاستقبال يخوت أثرياء العالم، فضلا عن تشييد قصور فخمة لإقامتهم.

وأهم ما يمكن أن يحظى به الزائر منذ أن تطأ قدماه أرض ماربيا حفاوة سكانها الذين يرحبون بالزوار ويبتهجون لقدومهم ويعاملونهم معاملة لطيفة.

ملهمة الأدباء

وبالعودة إلى بعض الشذرات التاريخية نجد أن ماربيا كانت بلدة صغيرة، ومع ذلك أخذت حيزا هاما من اهتمام بعض الأدباء بوصفها ذات أهمية كبيرة في تاريخ الأندلس إبان الوجود الإسلامي، ويعود ذلك أساسا إلى موقعها الجغرافي بالقرب من مضيق جبل طارق.

وقد وصفها المؤرخ الأسباني، فرنندو ألكلا مرين، في كتابه "ماربيا المسلمة" بالقول "تاريخ ماربيا حافل بالآثار العمرانية التي زال أكثرها عبر القرون. ولكن ما هو موجود حاليا جدير بالدراسة والترميم والصيانة".

> «بلازا دي لوس نارانخوس» قلب ماربيا المليء بأشجار البرتقال التي تملأ الربيع بشذاها وتمنح ظلها للسياح

وقال عنها الرحالة ابن بطوطة في كتابه "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، إن ماربيا مدينة تفيض بالأغذية المتنوعة لكثرة مزارعها ومواشيها.

وممّا يذكر عنها أيضا في كتب التاريخ أنها كانت مدينة مسوّرة بقلعة كبيرة، لها ثلاثة أبواب مصنوعة من المعدن والخشب وقد بنى المسلمون أبراجا بعضها مستدير الشكل وبعضها مربع وما زال بعضها الآخر قائما إلى يومنا هذا يجول داخلها السائح مبهورا بالروح الأندلسية العربية بأزقتها وبيوتها وشرفاتها المزينة بالأزهار.

وتعرف مدينة ماربيا القديمة بأنها مدينة عربية مغاربية التصميم تعرف ببيوتها البيضاء القديمة وشوارعها المرصوفة بالحصى التي تظللها الأشجار الوارفة والمنازل ذات الطابع الشرقي التي تزين شرفاتها الحديدية العديد من المشربيات القديمة ونباتات الزينة.

وقد تحولت بعض هذه الآثار القديمة إلى وجهات أخرى، فالسوق الكبير الذي كان يقع خارج أسوار المدينة تحول اليوم إلى حديقة البلدية، بينما حافظت ماربيا على بعض الأسماء العربية مثل: نوالة وبنوحبش وخشين.

كما أن بعض أنهارها لا زال يحمل بعض الأسماء العربية أيضا كـ"وادي عيسى" و"وادي المنيا".

ربيع بشذى البرتقال

كانت منطقة "بلازا دي لوس نارانخوس" مركزا للحياة الحضرية في المدينة القديمة ثم أصبحت هذه الساحة الجميلة قلب ماربيا، حيث يقصدها السكان المحليون والسياح للقاءات والاسترخاء، خصوصا وأنها تحتوي على مجموعة من أشجار البرتقال المزروعة في وسطها، فتملأ المكان بشذاها المعطرة بروائح الأشجار خلال فصل الربيع.

داخل هذه الأجواء العاطرة تصطف مقاعد المطاعم في الهواء الطلق تحت الأشجار الظليلة حيث توفر لزائرها الفرصة لينعم بالراحة والاستجمام وسط هذا المنظر الرائع. ولا تقتصر عوامل الجذب في البلازا على المناظر الطبيعية الخلابة فقط بل يوجد العديد من المباني الأثرية التي يمكن زيارتها والتعرف على تاريخها.

بويرتو بانوس

ولو ألقى السائح نظرة معمقة في جذور تسمية المدينة ماربيا لتبين له أنها تعني "جميلة على البحر"، ومما لا شك فيه أن القدماء عندما أطلقوا عليها هذا الاسم كانوا على بينة تامة من روعة شواطئها الرملية، علما وأنها تضم بين جنابتها العديد من الشواطئ التي يمكن للسائح أن يختار بينها وأقربها إلى مركز المدينة هو شاطئ "فونتانيلا بلايا" ويقع على بعد مسافة قصيرة من البلدة القديمة ويمكن الذهاب إليه سيرا على الأقدام.

ولا يفوت الزائر التنبه إلى أن جميع الشواطئ في ماربيا مزوّدة بالخدمات الأساسية كالحمامات ورجال الإنقاذ الذين يعملون على مدار الساعة خلال فصل الصيف.

ويعد "مرسى بانوس"، الذي يقع على بعد 10 كيلومترات فقط من قلب مدينة ماربيا، أفضل مرسى لليخوت في أسبانيا، والأكثر شهرة وألفة للسياح، ويضم مجموعة كبيرة من المتاجر الراقية والمطاعم الفاخرة التي تصطف على هيئة مدرجات في الهواء الطلق مطلة على البحر مباشرة. كما أن هذا المرسى يقدم جميع الخدمات الملاحية، بالإضافة إلى توفيره لكل مرافق الرياضات المائية والنوادي الشاطئية، لينعم السائح بجولات مميزة.

■ إلى أين تذهب

جولة بين أفضل الوجهات السياحية للعام 2016

❑ **واشنطن** – للوهلة الأولى تبدو عملية حصر العالم بأسره وبكل ما يزخر به من روائع، في وجهات سياحية دون غيرها عملية صعبة، خصوصا إذا ما ارتبط الأمر بالرغبة الدائمة في السفر والاستكشاف، إلا أن مجلة "فوربس" الأميركية ضبطت، مؤخرا، ضمن قائمتها السنوية أربع عشرة وجهة سياحية من بين أكثر الوجهات التي يفضل السفر إليها خلال عام 2016. واستندت المجلة في اختيارها لآراء الشركات السياحية الكبرى.

ولتحقيق رغبتك في السفر الوجهات الأربع عشرة تفتح لك كنوزها، وهذه بعضها:

■ المملكة البوذية بين أحضان جبال الهيملايا

المملكة البوذية الصغيرة أو بوتان دولة تقع شمال شرقي الهند ولطالما احتلت مركزا مهما ضمن قائمة فوربس، فهي تشد الزائر منذ أن تطأ قدماه الأرض من خلال مبنى المطار الذي لا تخلو جدرانه وأسقفه من رسوم جميلة ذات الألوان المتناسقة.

بوتان قلب الجبل

■ الجنوب الكبير

تتشكل "باتاغونيا" البرية من أراض مشتركة ما بين تشيلي والأرجنتين على مساحة واسعة وهي حديقة وطنية عالمية لحماية البيئة البرية والبحرية وتتوفر بها رحلات السير فوق جبال الأنديز وفيتز روي ورحلات لمشاهدة الحيتان، فهي تجذب هواة الطبيعة والرياضة.

باتاغونيا حديقة عالمية

■ أرض الرحالة والمغامرين

يعد الساحل الجنوبي لسريلانكا أفضل الوجهات السياحية بالنسبة إلى الرحالة والمغامرين، حيث أن الطبيعة البكر المليئة بالأسرار والأماكن الغنية بالحياة البرية ومزارع الشاي تجتذب محبي الاستكشاف.

سريلانكا أسرار طبيعية

■ أكبر رابع نهر في أفريقيا

نهر زامبيري يوجد بزمبيا ويمر عبر ست دول من وسط أفريقيا إلى المحيط الهندي، ويمثل أحد أهم نقاط الجذب السياحي في العالم، كما أنه يوفر مجالا رحبا للمغامرات ورحلات السفاري، فضلا عن أن هناك جولات للتحليق فوق شلالات النهر ونشاطات متنوعة مثل التجديف.

زامبيري تُعبان يرقص بين الدول

■ جزر القمر.. سيرا على الأقدام

تقع لاداخ في الهند وهي تابعة لولايتي جامو وكشمير وتعرف باسم "أرض القمر" وذلك لما تتمتع به من مناظر ساحرة من جبال وبحيرات. كما أنها تتيح لزائريها إمكانية ممارسة العديد من الأنشطة السياحية كركوب الدراجات البخارية أو القيام برحلات بحرية.

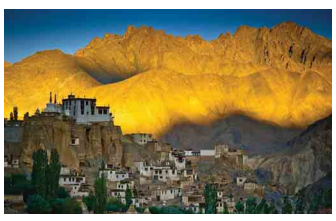

لاداخ استرخاء في أحضان الطبيعة

■ قلعة فلك الأفلاك

تسهيل إجراءات السفر إلى إيران ولّد رغبة في الكثير من محبي اكتشاف المواقع الأثرية لزيارتها، لا سيما وأنها تزخر بالعديد من الأماكن السياحية الرائعة مثل قلعة "فلك الأفلاك الجميلة" في مدينة خرم آباد، والمعبد الأثري القديم الذي يعود إلى فترة ما قبل الإسلام لعبدة النار.

إيران متعة السائح

■ أعلى قمة جبلية في العالم

توجد نيبال بين ثنايا جبال الهملايا الوعرة، وهي قبلة الكثير من الزوار وخاصة الشباب، فهي تضم أعلى قمة جبلية في العالم ألا وهي "إفرست". وتفتح نيبال أمام زائريها فرصة التمتع بالعديد من الأنشطة كالقيام بجولة رياضية للتجديف في نهر "تريسولي".

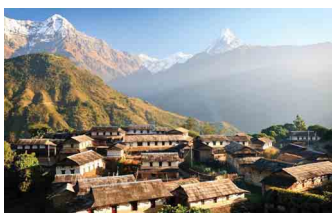

نيبال أرض «إفرست»

■ المدينة المسورة

كولومبيا من الوجهات السياحية المهمة في أميركا الجنوبية، حيث أن بها أربع مدن صنفت ضمن أهم 25 وجهة سياحية في القارة اللاتينية. ومن أهم المدن السياحية بها كارتاخينا، حيث يتميز وسط هذه المدينة بـ"لا سيوداد عمر ألدا" أي "المدينة المسورة".

كولومبيا الرقص مع الألوان

■ "أوت أوف أفريكا"

تقع كينيا شرقي أفريقيا، وتمر بها الدائرة الاستوائية، وساعدها موقعها المتميز على أن تتمتع بأدغال ومساحات شاسعة، وتضم العديد من المعالم الطبيعية. وتعد زيارتها هذه السنة بالذات فرصة ذهبية لمتابعة تجربة فيلم "أوت أوف أفريكا" والعيش في الحياة البرية.

كينيا أدغال بلا حدود

إغراق السوق بالأجهزة الذكية يكشف تزايد الإقبال عليها

التطور التكنولوجي يمكّن المستخدم من مصافحة شخص عن بعد

تداول بعض المواقع الإخبارية لخبر ضعف الإقبال على شراء الأجهزة الذكية خلال فعاليات معرض برشلونة للإلكترونيات المحمولة لم يثن الشركات المصنعة عن المشاركة بكثافة والتسابق نحو تفعيل برمجياتها بأحدث التقنيات، بالإضافة إلى تغطية السوق بمنتوجاتها، وإن كانت هذه الأخبار لم تقدم أرقاما تعكس هذا الضعف، فإن إحصائيات أجريت، مؤخرا، أكدت تزايد نسبة شراء الأجهزة بشكل مضاعف عن المعتاد.

❏ **لندن** – لم يعد باستطاعة المستخدم التخلّي عن الأجهزة الإلكترونية، لا سيما تلك القابلة للارتداء والتي توفر عليه عناء كبيرا في التعامل مع محيطه، إذ كلما زادت هذه الأجهزة الذكية تطورا كلما زاد الإنسان تعويلا عليها.

وإن كانت بعض الأخبار قد راجت، مؤخرا، حول ضعف إقبال المستخدمين على شراء بعض الأجهزة الذكية على خلفية فعاليات المعرض العالمي للأجهزة المحمولة بمدينة برشلونة الأسبانية فبراير الماضي، فإن هذه الأخبار لم تنف الإقبال على أنواع معينة من هذه الأجهزة التي تمثل أغلبها في ساعات أو نظارات ذكية أو أجهزة استشعار داخل الأحذية، حيث أكدت تركز الأنظار على شراء أساور اللياقة البدنية التي تقيس معدلات الأنشطة البدنية للمستخدم.

ولا يمكن أن يعكس شراء أجهزة معينة على حساب أخرى ضعفا في الشراء، خصوصا، وأن الشركة العالمية "آي دي سي" المتخصصة في مجال أبحاث إحصائيات السوق العالمي، أثبتت بالأرقام غزوة الأجهزة الذكية للسوق بكميات تجاوزت السنة الماضية مما يعكس الإقبال الكبير على هذه الأجهزة.

وقد وجدت الشركة، أواخر مارس الماضي، أن نسبة اقتناء هذه التكنولوجيا الحديثة في تزايد مستمر وتتوقع أن تصل نهاية السنة الحالية إلى 38 بالمئة.

ولو أن المستخدم أحجم عن الشراء لما بلغت كمية هذه الأجهزة في السوق 110 مليون وحدة خلال الفترة الماضية وتتصدرها أجهزة أبل الذكية بنسبة 49.4 بالمئة تليها غوغل.

وتتوقع أي دي سي أن تتواصل موجة ارتفاع الإقبال على الأجهزة القابلة للارتداء إلى أن تصل سنة 2020 إلى حوالي 237.1 بالمئة.

وبعيدا عن عالم الأرقام والبيع والشراء، تجد الشركات العاملة بالقطاع التقني والاتصالات في المعارض فرصة سانحة لتقديم مبتكراتها وبرامجها في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والابتكارات التقنية، والمساهمة في تعزيز ريادة الأعمال الرقمية، وقد شهد معرض برشلونة مشاركة عدد كبير من هذه الشركات المصنعة.

وفي إطار كثافة المشاركة يمكن اعتبار شراء أجهزة دون غيرها فرزا لترتيب المبيعات ليظهر أيّ المنتجات التي خطفت، الأنظار خلال فعاليات معرض برشلونة، دون سواها.

وكان المعرض مناسبة جيدة لتقديم آخر الابتكارات في عالم التكنولوجيا الحديثة، حيث قدمت شركة "ميو" الكندية مشاركة بعرض جهازي "فيوز" و"سلايس" الأصغر حجما واللذين يستخدمان لقياس الإشارات الكهربائية للقلب وتحديد درجة صعوبة الأنشطة البدنية بالنسبة إلى المستخدم.

وقدمت شركة "ماي كرونوز" السويسرية نموذجين من الساعات الذكية هما "زي راوند" التي تجمع قياسات عن وظائف الجسم ويمكن استخدامها أيضا في إجراء المكالمات الهاتفية، والساعة "زي سبورت" ذات الطابع الرياضي والتي تتميز بالقدرة على قياس نبضات القلب.

وأزاحت شركة "إيتش بال" الصينية الستار عن جهاز لتوجيه نداء استغاثة في حالة تعرض المستخدم لظرف طارئ. ويبعث الجهاز الذي يتم ارتداؤه حول المعصم رسالة نصية ويحدّد موقع المستخدم لمجموعة من الأسماء التي يتم تحديدها مسبقا في حالة وقوع اهتزاز عنيف أو إذا ضغط المستخدم على الجهاز ثلاث مرات.

ويبدو أن جل الأجهزة المعروضة تساعد تحديدا المرضى مما يمكن أن يبرر تزايد الإقبال على أساور اللياقة البدنية دون سواها، علما وأن بعض الشركات تعمل جاهدة على حماية هذه الأجهزة الذكية من القرصنة. وقد كشفت شركة "كاسبرسكي لاب" المتخصصة في تطبيقات الحماية الأمنية عبر الإنترنت، في الآونة الأخيرة عن إنتاجها تطبيقا جديدا مخصصا لحماية الأجهزة الذكية القابلة للارتداء.

وأشارت الشركة إلى أنها رصدت عددا كبيرا من الهجمات الإلكترونية، ومحاولة استغلال الهاكرز تلك الأجهزة الجديدة.

وسيخصص هذا التطبيق الجديد للأجهزة القابلة للارتداء العاملة بنظام تشغيل أندرويد، وبالأخص الساعات الذكية الجديدة. كما يقدّم التطبيق أيضا خدمة تشغيل إنذار صوتي للعثور على الهاتف المفقود، وإمكانية إجراء مسح للكشف عن أيّ برمجيات خبيثة سواء في الساعة الذكية أو الهاتف المرتبط بها.

وفي سياق موازٍ، ومع استمرار التقدم التكنولوجي في مجال التقنية الحديثة بدأت شركة "أوكيلوس" المصنّعة لنظارات الواقع الافتراضي، الاثنين الماضي، في شحن نظارتها المرتقبة منذ وقت طويل "ريفت"، بعد حوالي سنتين من استحواذ فيسبوك على الشركة. وبدأ موقع "كيكستارتر" وهو أوّل المستثمرين في "أوكيلوس"، تلقّي النظارات المتطورة، على أن يتمّ شحن أولى طلبيات "أوكيلوس" في وقت لاحق.

ويرى مارك زوكربيرج، المدير التنفيذي لفيسبوك، أن العالم الافتراضي سيكون المنصّة الكبرى المقبلة في عالم الكمبيوتر.

ويرجح أن تطلق شركتا "إتش. تي. سي" و"سوني كورب" أجهزتهما للواقع الافتراضي في ظل سعي الشركتين لتوفير تجارب لعب غنية لعملائهما.

وفي ظلّ هذه الطفرة التكنولوجية لم يعد المستخدم يوفّر جهدا في إحاطة نفسه بكلّ ما من شأنه أن يساعده على الاسترخاء، ويبدو أن التطور التكنولوجي سيمكّنه من ذلك قريبا، حيث كشف معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، أن مستقبل أجهزة الكمبيوتر سيكون مرتبطا بخاصيّة اللمس والاستشعار، وسيكون السطح المستشعر مكونا من مادة مرنة ثلاثية الأبعاد لديها القدرة على الاستجابة للأوامر الرقمية.

وأفاد الباحثون أن أهم ما في هذه التقنية الجديدة أن الشخص الذي يستخدمها يمكنه مصافحة شخص آخر متواجد في مدينة أخرى عن بعد.

جديد التكنولوجيا

❏ مايكروسوفت تكشف عن تقنية جديدة أطلقت عليها اسم "هولو بورتيشن" من شأنها نقل المستخدم إلى أيّ مكان في العالم، باستخدام نظارة. ووفقا لمايكروسوفت يتمّ التقاط صورة المستخدم بشكل ثلاثي الأبعاد بواسطة كاميرات وضعت في جميع أنحاء الغرفة، ليتمّ دمج هذه الصّور معا وضغطها لتنتقل إلى شخص آخر لتبدو بشكل حقيقي، وتسهّل على الشخص الآخر رؤيتها وسماع المحادثة ولمسها والتفاعل معها كما لو أنهم متواجدون بنفس المكان.

وتعد التقنية الجديدة بمثابة الجيل القادم من التفاعلات والتواصل بين الناس بشكل أكثر تطورا من سكايب.

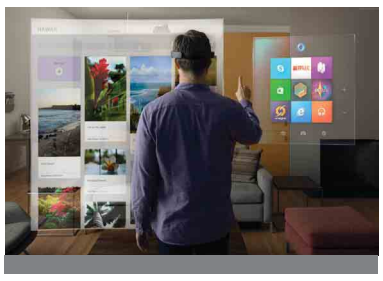

❏ غوغل تعلن عن إتاحة حزمة برامج تحرير الصور "نيك كولكشن" بالمجان، وتتألف حزمة برامج تحرير الصور من 7 برامج مختلفة لكل منها غرض معين، ومنها "اتش دي أر فاكس بره".

وتتوفر حزمة برامج تحرير الصور نيك كولكشن لنظام التشغيل ويندوز وماك أو إس إكس. ولا يحتاج المستخدم إلى تسجيل الدخول من أجل تنزيل حزمة البرمجيات.

❏ بوابة التقنيات «هاز. دي» الألمانية توضّح أن هناك تروجان تشفير ينتشر حاليا عبر روابط تنزيل البيانات بخدمة التخزين السحابي دروب بوكس.

وبينت البوابة أن نقرة واحدة على رابط التنزيل تكفي لقيام تروجان التشفير "باتشي" الجديد بعمله، حيث أنه يقوم بتشفير نطاق إقلاع القرص الصلب ويمنع استعمال الكمبيوتر بأكمله، نظرا لأنه يحول دون بدء تشغيل نظام التشغيل مايكروسوفت ويندوز.

❏ فيسبوك تعمل على اختبار ميزة جديدة تتيح لمُستخدمي تطبيق المحادثات الخاص بها "مسنجر" استخدامه كوسيلة للدفع عبر التطبيق، وذلك وفقا لشيفرة مصدرية تم العثور عليها ضمن نسخة التطبيق الخاصة بـ"أي أو أس".

وبحسب ما نقل موقع "ذي إنفورميشن" الإلكتروني فإن الميزة التي لم يعلن عنها بعدُ منافسة لميزة الدفع عبر الهاتف الذكي المُقدمة من غوغل "أندرويد باي" وكذلك ميزة الدفع الخاصة بأبل باي، وهي تتيح الدّفع بشكل شخصي في المتاجر باستخدام الهاتف.

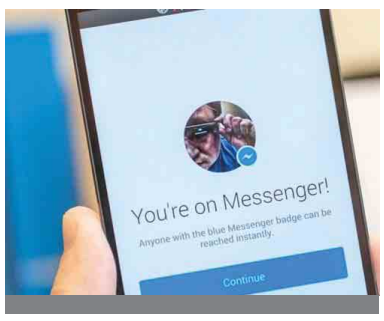

❏ هيئة الشارقة للكتاب تطلق أول كتاب بتقنية الواقع الافتراضي على مستوى العالم باللغتين العربية والإنكليزية، وتمكن هذه التقنية الطفل من العيش داخل الكتاب وملامسة أحداثه مباشرة، بهدف توظيف كافة أشكال التكنولوجيا، لاستقطاب شريحة الأطفال، وحثهم على القراءة.

هذه التقنية متوفرة منذ فترة في مختلف أسواق العالم، إلا أن استخداماتها تقتصر على الألعاب الرقمية والأفلام، وسيكون هذا الكتاب هو الأول من نوعه على مستوى العالم يتم تنفيذه بهذه التقنية ضمن بيئة تفاعلية ثلاثية الأبعاد.

«مرصد المستقبل» يؤهل المناطق الحضرية لتتحول إلى مدن ذكية

الاعتماد على أحدث التقنيات والتطبيقات التكنولوجية أصبح هاجس مؤسسة دبي لمتحف المستقبل، التي تسعى جاهدة إلى تحويل المناطق الحضرية إلى مدن ذكية بها كل مقومات الحداثة، وقد أطلقت، في الآونة الأخيرة، مبادرة "مرصد المستقبل" في إطار دعم هذه المدن الذكية تكنولوجيا.

❏ **دبي** – تعمل مؤسسة دبي لـ"متحف المستقبل"، بشكل دؤوب على برمجة كل الأشياء تكنولوجيا، إذ أعلنت منذ فترة عن تأسيس المجلس العالمي للتعاملات الرقمية "ذا غلوبال البلوك تشين كنسل"، بهدف تبني أحدث الابتكارات والممارسات الناجحة على مستوى العالم.

وها هي مؤسسة دبي، قد بادرت مجددا إلى تفعيل مساهمتها في التعامل مع التكنولوجيا الحديثة من خلال إطلاق مبادرة "مرصد المستقبل"، وهدفها الأساسي من وراء هذه المبادرة التي جاءت ضمن بحث أكاديمي متخصص، وضع إطار استراتيجي لدعم التكنولوجيا والاتصال في المدن الذكية وتغطية آخر ما توصل إليه قطاع التكنولوجيا والعلوم بشكل يومي.

وقدم الباحثون المشرفون على البحث التفاصيل التي تشرح أبعاد المبادرة من خلال جملة من الدراسات والمقالات البحثية والرسوم البيانية والمواد المرئية التفاعلية باللغة العربية المبسطة، كما وقّعت المؤسسة كذلك اتفاقيات تعاون مع حكومة دبي الذكية، تقضي بضرورة نشر محتوى مرصد المستقبل، لتتمكن أكبر شريحة ممكنة من القراء داخل الإمارات وخارجها من الاطلاع عليها والاستفادة منها.

وقد نشرت المؤسسة خلال الفترة التي شهدت الإطلاق التجريبي للمبادرة، أكثر من 500 مقال علمي وتخصّصي، وأكثر من 50 إنفوغرافيك ملخص، بالإضافة إلى نحو 60 مادة مرئية عالمية.

وجاء مرصد المستقبل نتيجة دراسة أشرف على إنجازها كل من محمود الهندي أستاذ كلية تقنية المعلومات في جامعة دبي، بالاشتراك مع سامي المنياوي عميد كلية تقنية المعلومات بالجامعة، وحسين فخري الأستاذ المشارك في جامعة زايد، حيث قام الباحثون بدراسة 62 مدينة ذكية من جميع أنحاء العالم ولمدة 6 أشهر متواصلة.

وتناول البحث نظام هذه المدن من الناحية التكنولوجية وميزات بنيتها التحتية وسبل الربط بين النظم المختلفة، وتقديمها على شكل تطبيقات مختلفة للهاتف المحمول، بعد معالجة البيانات ودراسات الجدوى الخاصة بالموارد التكنولوجية للحفاظ على استدامة الخدمات وتطويرها باستمرار، وكيفية اختيار مزودي النظم الذكية ووجود آلية لأمن المعلومات والحفاظ على الخصوصية وأخرى للحوكمة الذكية.

وفي هذا الصدد، قال عيسى البستكي، رئيس جامعة دبي "إن مفهوم المدن الذكية يعد من المفاهيم المهمة للمليارات من البشر في جميع أنحاء العالم، خاصة وأن التقديرات تشير إلى أن أكثر من 50 بالمئة من سكان العالم يقيمون في المناطق الحضرية والمؤهلة للتحول إلى مدن ذكية".

وتابع البستكي أن "هذا ما جعل جامعة دبي تُوجّه جهودها وبحوثها في سبيل إيجاد المزيد من الحلول المستدامة التي تخدم التطورات الحضرية المستقبلية، وتعالج التحديات التي تواجه المدن الذكية".

وأشار رئيس جامعة دبي إلى أن البحث الذي أعدته الجامعة يأتي كجزء من مساهمتها في دعم الخطط الاستراتيجية لتطوير المدن الذكية في العالم.

واستعرض البحث بشكل مفصل نظام المدن الذكية من الناحية التكنولوجية، من الجانبين الاستراتيجي ونُظم العمل فيها، إلى جانب تقديم مميزات البنية التحتية في جميع المجالات للمدن الذكية سواء القائمة منها أو الجديدة، على اعتبار أن البنية التحتية هي أساس المدن وجودة خدماتها.

ولم يفت الباحثين كذلك التطرق خلال البحث إلى حلول الاتصال المطروحة في المدن الذكية والتي تشمل الحوسبة السحابية، وتقنيات تحديد الهويّة باستخدام موجات الراديو، إلى جانب التقنيات اللاسلكية، والتواصل قريب المدى، وشبكات الاستشعار، وإنترنت الأشياء.

كما تطرق البحث أيضا إلى سبل الربط بين النظم المختلفة وتقديمها على شكل تطبيقات مختلفة للهاتف المحمول بعد معالجة البيانات وهذا ما يعرف علميا بمصطلح البيانات الكبيرة.

"متحف المستقبل" رهان التطور

المصريات يواجهن البدانة وضغوط الحياة برقص الزومبا

رقصة لاتينية تجمع بين التمارين الرياضية والغناء وتساعد على إنقاص الوزن وتحسين المزاج

يتزايد إقبال المصريات على ممارسة رياضة الزومبا التي تشكل مزيجا من الرقصات والتمارين الرياضية على إيقاع موسيقات مختلفة. ويفسر الباحثون هذا الإقبال المتنامي بقدرة هذا النوع من الرياضات على تحقيق نتائج سريعة في التخلص من الوزن والترهّلات وتعزيز اللياقة والمرونة وتحسين الحالة النفسية المتأثرة بضغوط العمل والبيت.

الزومبا صديقة المرأة المصرية

نجوى دردير
كاتبة من مصر

❑ هربا من ضغوط الحياة المتزايدة لجأ البعض من النساء المصريات إلى الرقص لمواجهة الضغوط وما يترتّب عليها من ترهّل الجسم وارتفاع معدلات التوتر والاكتئاب.

وانتشرت في أنحاء العاصمة المصرية وضواحيها مراكز متخصصة لتعليم السيدات الراغبات في التخلص من الهموم المعيشية وزيادة الوزن، رقصة الزومبا اللاتينية التي ابتكرها شاب كولومبي في تسعينات القرن العشرين.

وأكدت أخصائية لياقة بدنية وزومبا وصاحبة مركز لياقة بدنية للسيدات، سلمى فؤاد، أن رقصة الزومبا انتشرت بشكل كبير بين السيدات المصريات في الفترة الأخيرة، وذلك ما لاحظته من خلال إقبال السيدات الراغبات في تعلم الرقصة على مركزها.

وقالت فؤاد لـ"العرب" إن ممارسة الرقصة، وهي عبارة عن مجموعة رقصات مثل السامبا والسالسا والبيلي دانس وغيرها، حققت نتائج مذهلة للنساء اللاتي مارسنها لمدة لا تقل عن ستة أشهر، حيث ساهمت في خفض أوزانهن ما بين 10 و20 كيلوغراما خلال نفس الفترة، فضلا عن كونها قليلة التكلفة مقارنة بوسائل خفض الوزن الأخرى، حيث لا تزيد كلفة الاشتراك الشهري عن 20 دولارا فقط.

تحرق الزومبا كما أكدت دراسة طبية حديثة ما بين 800 إلى 1000 سعرة حرارية تقريبا، خلال الدرس الواحد والذي تبلغ مدته ساعة، كما أن من مميّزاتها مساعدة الجسم على إخفاء علامات السمنة والقضاء على السيلوليت وعلامات الترهل التي يطلق عليها طبيا "استرتش مارك"، بجانب إزالة ترهلات الأرداف والأذرع ومنطقة البطن.

وتصاحب كل رقصة ألحان لاتينية بعضها لأغنيات معروفة يمكن للنساء أن يؤدين حركاتهن المدروسة عليها، كما يمكنهن الغناء أيضا أثناء الرقص، ما يجعل الأمر مسليا لهن، ويخرجهن من روتين التمارين الرياضية التقليدية.

مثلما حدث في الرقص الشرقي فقد كان رواج الرقصة الكولومبية في مصر وإقبال النساء على تعلمها، سببا في تحولها إلى تجارة واعدة جذبت مدربات أجنبيات نافسن المصريات مثل آنيا بلينوفا، وهي روسية متزوجة من مصري وتعمل حاليا مدربة لرقصة الزومبا. وروت بلينوفا لـ"العرب" حكايتها مع الرقصة فقالت إنها تعرفت على الزومبا عقب ولادة طفلها الأخير حيث ازداد وزنها، بشكل لافت ما دفعها للبحث عن طرق فعالة للتخسيس.

ونصحها البعض بتجربة الرقصة، وهو ما فعلته لتشعر لاحقا بالفرق الكبير حيث فقدت أكثر من 15 كيلوغراما في فترة بسيطة. ومنذ ذلك الوقت قررت أن تتعلم قواعد الزومبا وتقوم بتعليمها للنساء وحصلت كما تقول على العديد من الدورات التدريبية. كما تتولى بلينوفا أحيانا تصميم بعض الحركات داخل الرقصة بنفسها.

وقالت المدربة الروسية إنها تعمل، منذ ثلاثة سنوات، في تدريب الزومبا في النوادي الرياضية، وقد لمست بالفعل شغف المصريات بهذه الرقصة وما يشعرهن به من إثارة ومتعة.

وتؤكد بلينوفا على أن العامل النفسي من أكثر الأمور التي تجعل المصريات يقبلن على دروس الزومبا، وتحديدا الضغوط اليومية والمشاكل الحياتية التي تؤثر على مزاجهن بصورة تترتب عليها العديد من الأضرار مثل زيادة الوزن والاكتئاب، ما يزيد من الضغط النفسي عليهن لعدم رضاهن عن مظهرهن، خاصة في ظل انشغال أغلب السيدات بأطفالهن وأمور المنزل ما لا يترك لديهن الوقت الكافي للاهتمام بأجسادهن.

وأثبتت دراسات نفسية كثيرة فوائد الزومبا في تخفيف الضغوط وتحسين المزاج وعلاج بعض الأمراض النفسية مثل الاكتئاب والأرق والتوتر والشعور بالعزلة، بحسب ما أكد محمد أنور حجاب أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس لـ"العرب". وأضاف حجاب أن "الرقص الجماعي من الأمور التي تضيف البهجة والانتعاش إلى نفسية الإنسان الذي يحرص على حضور تلك الدروس، كما تغير من حالته المزاجية، وتبدل طاقته السلبية بطاقة إيجابية بشرط أن يكون التردد على تلك الفصول التدريبية بشكل منتظم".

> **10** أو 20 كيلو غراما هي نسبة الدهون المحروقة بعد ممارسة رياضة الزومبا لفترة ستة أشهر

وتابع قائلا "غالبية الأمراض النفسية تحدث بسبب نقص هرمون السيروتونين أو ما يسمى بهرمون السعادة، والزيادة أو النقص فيه يؤدي إلى مشاكل نفسية. ولفت إلى أن رقصة الزومبا وكذلك التمارين البدنية بشكل عام من الأمور التي تزيد من إفراز هرمون السعادة في مخ الإنسان، وتحفز طاقته الإيجابية وتجعله أكثر إقبالا على الحياة".

واختلف خبراء التغذية والتخسيس حول قيمة الزومبا وفوائدها الصحة لممارسيها، حيث رأى مجدي نزيه، أستاذ التغذية والتخسيس بالمعهد القومي للتغذية في مصر، أن ممارسة رياضة المشي لمدة نصف ساعة يوميًا بمعدل مرتين أو ثلاث مرات أسبوعيًا، هي الأفضل في حرق السعرات الحرارية والمساعدة في إذابة الدهون.

وأضاف في تصريحات لـ"العرب" أن "الرقص أو ممارسة الرياضة عمومًا لا تؤدي للتخسيس أو إنزال الوزن إلا إذا رافقتها حمية غذائية صحية تحتوي على القليل من السعرات الحرارية فضلا عن المتابعة مع طبيب متخصص".

وعلى العكس، أكد أيمن بدراوي، خبير علاج السمنة وعضو الشبكة الدورية لإذابة الدهون بجامعة القاهرة، أن أيّ نشاط رياضي سريع يبذل فيه مجهود يمكن أن يساعد على حرق الدهون، على ألا يقل زمنه عن 30 أو 40 دقيقة يوميًا.

وتشير بعض الإحصائيات إلى أن رقصة الزومبا اللاتينية التي يتعلمها حوالي 14 مليون شخص في 14 ألف مكان منتشرة في أكثر من 150 دولة، زاد انتشار مراكز تعليمها في مصر بشكل لافت للغاية في السنوات الأخيرة، وإن كانت لا توجد إحصائية تحصر عددها.

والزومبا تصلح لكافة الأعمار من الشباب والنساء والرجال، كما أن هناك نوعا منها خاصا بالأطفال يطلق عليه "زومبا كيدز" تعلمه مدربات ومدربون خاصون بالتعامل مع الأطفال.

وقال أحمد عادل، صاحب مركز للياقة البدنية للنساء والرجال، لـ" العرب"، إن أكثر الفئات المهتمة بتعلم رقصة الزومبا هو من النساء والأطفال حيث لا تزال نظرة الرجال الشرقيين لهذا النوع من الرياضة محكومة بتقاليد المجتمعات العربية التي تجد أنه من غير اللائق أن يرقص الرجل، فضلا عن أن ثقافة الاهتمام بالمظهر والجسد المتناسق تجذب النساء أكثر من الرجال.

وقال عادل إنه سعى لعقد بروتوكول للتعاون مع بعض المدارس لتوعية الأطفال بأهمية التمارين الرياضية خصوصا الزومبا، وكان هدفه مساعدة الأطفال على التمتع بأجساد سليمة. لكنه لاحقا وجد الأمر مربحا جدا بالنسبة إليه، لأن أغلب الأطفال كانوا يأتون برفقة أمّهاتهم، اللاتي تجذبهن الرقصة ويشتركن بدورهن في فصول لتعلمها ويكون الأمر بمثابة التسلية والمتعة واللياقة البدنية في آن واحد.

> التردد بانتظام على تدريبات الزومبا يبدل الطاقة النفسية السلبية بطاقة إيجابية

وكشفت التجارب أن ممارسة رياضة الزومبا تعمل على تحريك الدورة الدموية في الجسم بشكل كبير وبالتالي تعمل على تجديد خلايا البشرة بشكل سليم ومنتظم، وهكذا نحافظ على صحة البشرة التي تعبّر عن الشباب والحيوية. وتؤكد الكثير من الدراسات أن التجاعيد ليست لها علاقة بالجينات الوراثية بل تعتمد أكثر على نمط الحياة، فممارسة هذه الرقصة تقلل من إفراز مادة تسمى غليسكون والتي تلعب دورا حاسما في زيادة تجعّد الجلد.

وفي كل مرة نقوم بممارسة هذه التمارين نقوم بتحريك مفاصلنا بشكل كامل. ومن شأن ذلك أن يساعد في الوقاية من مرض التهاب المفاصل الانحلالية ويخفف من ضعف أو عجز الأنسجة الغضروفية التي لا نستخدمها عادة. وتشبه غضاريف المفاصل الإسفنجة وتتلقى العناصر المغذية الجديدة فقط عندما يتم عصر السوائل القديمة منها، ما يجعلها جاهزة لامتصاص السوائل الجديدة.

وكذلك يساعد التنويع الكبير في حركات الزومبا على عصر هذه الإسفنجة وتجهيزها للامتصاص.

ويذكر أنها تساعد أيضا على خفض مستويات سكر الدم بطرق عدة وهي خفض مستويات الكورتيزول والأدرنالين وتحسين استجابة الجسم لتأثير الأنسولين. ويؤدي خفض مستويات سكر الدم إلى تخفيض خطر الإصابة بمضاعفات السكّري مثل الفشل الكلوي والنوبات القلبية.

بذور الشوفان تخلص منطقة البطن من الدهون المتراكمة

❑ لندن – ثراء الشوفان بالألياف القابلة للذوبان يساعد على تخفيض الشعور بالجوع والرغبة في الأكل ويجعله من أنسب الأطعمة للذين يرغبون في إنقاص أوزانهم. وتعمل الألياف الموجودة في الشوفان على إبطاء عمليّة الهضم وتعمل على إبقاء الطعام لأكبر وقت ممكن في المعدة.

وأفاد تقرير، أورده موقع "هيلثي فود ستار" الطبي، بأن مزج الشوفان مع الشيا يجعلهما من أفضل الوجبات التي يمكن تناولها خلال وجبة الإفطار.

فإلى جانب كونهما عنصرين هامين للتغذية، حيث يمنحان الجسم طاقة كافية على مدار اليوم، فإن الأهمية الأكبر في كونهما يساعدان على حرق الدهون المتراكمة في منطقة البطن.

وذكرت دراسة منشورة في مجلة الكلية الأميركية للتغذية أن الشوفان قليل الدسم ويحتوي على نسبة عالية من البروتين سوبرفوود. وأعطى الباحثون مجموعة من الخاضعين للدراسة الشوفان على الفطور، في حين تناولت مجموعة ثانية وجبة الإفطار من الحبوب الجاهزة للأكل. وعندما طلب منهم تقييم شهيتهم على فترات منتظمة بعد الانتهاء، وصف آكلة الشوفان أنفسهم بأنهم يعانون من الجوع بشكل ملحوظ أقل وأكثر ارتياحا من أكل الحبوب، لفترة تصل حتى أربع ساعات بعد الوجبة. ويعتقد الباحثون أن لذلك علاقة مع حقيقة أن الشوفان هو أكثر سمكا وثراء بالألياف من الحبوب الأخرى. وتشير نتائج الدراسة إلى أن الشوفان يبقي الجوع بعيداً.

وتعتبر حبوب الشوفان من العناصر الغذائية الغنية والمفيدة للجسم، لاحتوائه على الأيودين والكلورين والفوسفور والمغنيسيوم والبوتاسيوم والمنغنيز والزنك والنحاس والنياسين والبيوتين، إضافة إلى العديد من الفيتامينات.

ويحتوي الشوفان على الألياف بنوعيها المنحلّة وغير المنحلّة، فالألياف غير المنحلّة تفيد الجهاز الهضمي بينما تسهم الألياف غير المنحلّة في التخلّص من الكولسترول الضار بالأوعية والقلب. ويمنع تناول هذه النبتة من ترسّب الكولسترول داخل الشرايين والتصاقه بجدرانها، ويساعد ذلك، إلى حد كبير، في الوقاية من تصلّب الأوعية الدمويّة وانسدادها، وذلك بتناول ثلاثة غرامات من هذه الشوفان يوميًا (أي بمقدار كوب من الشوفان).

وأثبتت دراسة نشرت في المجلة الأسترالية للتغذية والحميات "جاند" التي أكّدت أنّ مركبات البيتاغلوكان هي المسؤولة عن خفض الكولسترول الضار. وفي دراسة أجريت على الشوفان أثبتت أنّ إضافته إلى حمية مرضى فرط الضغط الشرياني من الجنسين قد سمح بخفض قيم الضغط والدسم وسكر الدم لديهم.

ووجد باحثون أن الشوفان يزيد من النشوة الجنسيّة، لكونه يعمل على إنتاج هرمون التستوستيرون، الهرمون الجنسي الأكثر ارتباطاً بالشهوة الجنسيّة. وقد كشفوا أن آثار الشوفان هي نفسها عند الرجل وعند المرأة، وأن كليهما زادت رغبته الجنسيّة بعد تناول الشوفان. وتوصّل بحث عالمي حديث إلى نتيجة جديدة وهي أن الشوفان يحتوي على نوع من الفينول (مضاد للأكسدة) لا يوجد في أيّ من المأكولات الأخرى وهو الأفينثراميد وله آثار قويّة جداً تمنع الالتهابات.

وأثبت باحثون من جامعة براون الأميركية أن تناول الشوفان يرفع درجة جهاز المقاومة في الجسم البشري حين التعرض لالتهابات بكتيرية للتخلص منها. فهذه المادة حسب قول جوناثان ريشنر، الباحث الرئيس، تمكّن خلايا المناعة من تحديد مكان تركز البكتيريا وتساعدها في سرعة التخلص منها.

> الألياف الموجودة في الشوفان تبطئ عملية الهضم وتعمل على إبقاء الطعام لأكبر وقت ممكن في المعدة

التجميل يعيد صياغة مفاهيم الجمال والأنوثة في الثقافة العربية

الهوس بالتجميل مرض نفسي واجتماعي يهمل الجوهر لصالح المظهر

لم تعد مصطلحات الجمال والتجميل بأنواعه حكرا على النساء بل شملت أيضا الرجال في المجتمعات العربية وهو ما يحيلنا إلى أن الطفرة العلمية التي يشهدها عالم التجميل واكبتها طفرة أخرى في الاهتمام بالمظهر لدى الفرد وهو ما يرجعه الباحثون في علم الاجتماع وعلم النفس إلى الأهمية البالغة التي اكتسبتها الصورة في العصر الراهن بسبب الانفتاح والتطور التقني والعلمي، وكذلك وسائل الاتصال التي جعلت الصورة أكثر ما يشدّ الإنسان، لذلك تزايد اهتمامه بها لدورها في التعبير.

سماح بن عبادة
صحافية من تونس

❑ منذ عقود قليلة لم تكن البعض من المصطلحات المتعلقة بالتجميل والرشاقة متداولة كثيرا ولم تكن الغالبية من الناس يعرفونها مثل البوتوكس والسيليكون والشفط والتخسيس والرمكوش والشعر الاصطناعي وغيرها، لكن في السنوات الأخيرة ومع تطور المجتمعات العربية وانفتاحها على محيطها واتصالها وتواصلها بباقي المجتمعات في العالم دخلت على الثقافة العربية توجهات ونزعات جديدة أصبح بعضها بمقتضى الزمن يندرج في خانة العادات التي جلبت بدورها مصطلحات ومفاهيم حديثة وأيضا تغييرات كثيرة لدى الأفراد والمجموعات خاصة في النظرة للنفس وللآخر. فتغير سلوك الفرد تجاه جسده وكذلك تغيرت اعتباراته والقيمة التي يوليها للمظهر الخارجي ولأجساد الغير التي تعد أول ناقل للمعلومة وأول ما يشاهد ويعطي أفكارا وانطباعات عن الآخر.

المعلوم أن المرأة تعير اهتماما كبيرا لجمالها ولرشاقتها لأنها تصوّر وتعتبر في جميع الثقافات رمزا للجمال والإغراء والفتنة فيتغزل الشعراء بجمال حبيباتهن ويرسم التشكيليون مفاتن المرأة في لوحاتهم ومنحوتاتهم وغيرها وتكاد لا تخلو أيّ من الحضارات القديمة من آثار هذه الرمزية التي تقرن المرأة بآيات الجمال ورؤاه المختلفة، غير أن هذا الاهتمام ازداد منسوبه في المجتمعات العربية خاصة عندما بدأت المرأة تخرج من النطاق الضيق، أي من المنزل، إلى الفضاء الخارجي إما للتعلم أو للعمل فأصبحت تراعي مظهرها إما إرضاء لرغباتها الشخصية في أن تكون في أبهى صورها أو مراعاة لمحيطها لتبدو الأجمل في نظر الزوج أو الأقارب أو جلبا للأنظار في الفضاء العام.

ومهما تنوعت الغايات فلا نقاش في اهتمام المرأة بجمالها ومظهرها بما أتيح لها فحتى النساء في المجتمعات المحافظة والمجتمعات الريفية وفي الطبقات الاجتماعية الأقل إمكانيات مادية والأقل انفتاحا يحاولن اظهار جمالهن وفق ما يسمح به محيطهن.

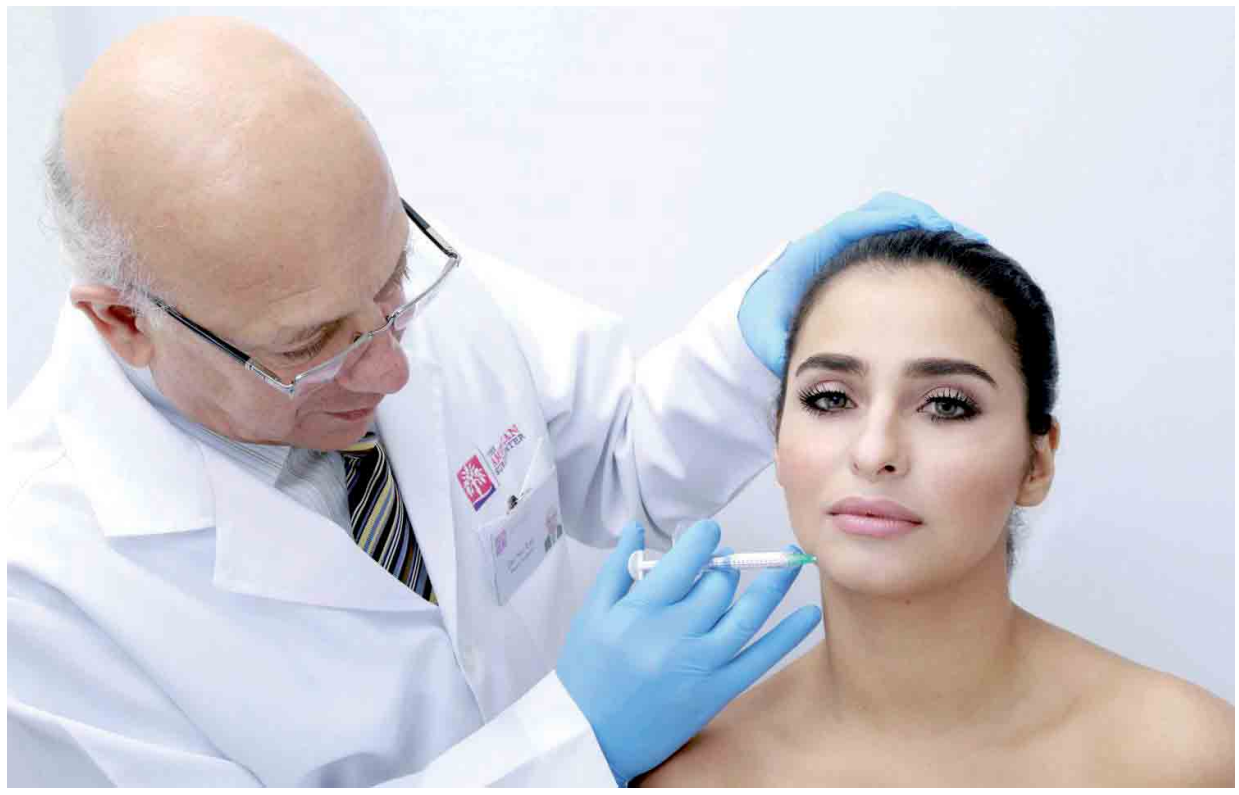

حقن من أجل مجاراة الموضة

المثير في نظرة الفرد والمجتمع للجمال وللمظهر والصورة هو تزايد اهتمام الرجال بمظهرهم حتى أن عددا هاما منهم لم يعد يجد حرجا في إبراز عضلاته وأيضا بجمال وجهه فأصبحنا نجد في الأسواق العربية مستحضرات تجميلية خاصة بالرجل وكذلك مستحضرات للتسمين والتضعيف وأصبح الرجال يقصدون صالات التجميل ليس فقط للحلاقة بل أيضا للاعتناء بالبشرة والجسم.

كما نجدهم يقبلون على عمليات التجميل بأنواعها حتى الجراحية منها، وقد أثبتت العديد من الدراسات، وكذلك رأي خبراء التجميل، أن الرجل الشرقي والعربي أصبح من بين زبائن محلات وعيادات التجميل. غير أن الرجال الذين يهتمون أكثر بجمالهم وببشرتهم والمتأثرون بالموضة أو بالتوجهات الطارئة والمتجددة على الذوق العام كثيرا ما يتعرضون للانتقاد ويتهم الرجل الذي تبدو عليه مستحضرات التجميل أو تصفيف الحواجب بأن لديه ميولات جنسية شاذة لأنه يتشبّه بالنساء بغرض الإثارة. ولعل هذا الاتهام بالتحديد يبين أن الثقافة العربية والإسلامية لم تتقبل فكرة أن يكون الرجل أيضا رمزا للجمال وتدينه إذا ظهر عليه اهتمام زائد بمظهره وشكله. وبحسب علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي فإن ما تشهده المجتمعات العربية من تطور فكري وثقافي وعاطفي أدّى إلى تغير معايير الأنوثة والجمال وهو ما أنتج طبيعيا إعادة صياغة لمفاهيم الرجولة والوسامة عند الذكور، فتمثل المرأة لصورة الرجل المثالي بات أكثر ارتباطا برشاقته ووسامته وتخلّى شيئا فشيئا عن مفاهيم الخشونة. وهذا التمثل الأنثوي لطريقة نظر المرأة للرجل أثّر على توجهات الرجال أنفسهم وغيّر خياراتهم الجمالية والتجميلية لأن الرجل يسعى غريزيا لجلب اهتمام وإعجاب النساء من حوله، فهو لم يعد بالنسبة إلى المرأة مصدرا للقوة والحماية والسلطة والإدارة فحسب بل أصبح أيضا الشريك والحبيب والرومنسي والجذاب انطلاقا من مسايرته لموضة العصر المتطورة.

قديما لم نكن نلاحظ رجالا يضعون الكريمات الواقية من الشمس مثلا ولا يستخدمون كريمات تليين البشرة في اليدين كما لم يكن الرجال يرتدون سراويل وقمصانا بألوان مشرقة وفاتحة طالما ارتبطت بلباس النساء مثل الأحمر والوردي والبنفسجي وغيرها، أما اليوم فأصبح الشبان والمراهقون يتّبعون الموضة بطريقة تفوق أحيانا اتّباع الفتيات لها.

من ناحية أخرى يقدم الواقع العربي اليومي ومن خلال الإحصائيات لمختلف الدول العربية، وخاصة منها دول الخليج العربي، دليلا قطعيا على تزايد الاهتمام بالمظهر والجمال، وذلك من خلال الاقبال على أكثر أنواع التجميل والتي تقوم ليس على الجراحة لأجل الترميم أو إصلاح تشوّه حاصل جراء حادث يتعرض له الشخص فيشوّه ملامحه بل تلك العمليات التي يقدم عليها النساء والرجال لتغيير ملامح وتقاسيم الوجه أو الجسد ليصبح أكثر نحافة مواكبة لمقاييس جمال الأجساد الحديثة ولفرط السرعة في تغيّر نزعات الموضة ولهث بعض المولعات بعمليات التجميل وراءها لمواكبة أحدث صيحات التجميل فإنهن تصبحن مهووسات بذلك دون إدراك للآثار الصحية السلبية، لذلك تصبح عمليات التجميل نوعا من الإدمان المرضي وهوسا بالمظهر يبطّن مشاكل نفسية عديدة لا تدركها غالبية الحالات المصابة بها.

وكان لبنان يعدّ من أكثر الدول العربية المشهورة بمراكز وعيادات التجميل والجراحة ذلك أنه ولسنوات قليلة تقبل اللبنانيات أكثر من غيرهن على هذه العمليات، كما أن البنوك هناك تمنح القروض للقيام بعمليات تجميل أكثر من موافقتها على باقي أنواع القروض.

وفي السنوات الأخيرة تحولت إمارة دبي في دولة الإمارات العربية المتحدة إلى وجهة للقيام بعمليات التجميل الجراحية والسطحية بعد إنشاء مركز التجميل الطبي العالمي الذي جعلها مقصدا لأطباء وجرّاحي التجميل في مختلف الاختصاصات وكذلك جعلها تستقطب المقبلين على هذه العمليات من دول الجوار ومن العديد من الدول العربية والغربية وبذلك احتلت صدارة العالم العربي في مجال التجميل عوضا عن لبنان.

التجميل بين الهوس ومجاراة العصر

طارق بالحاج محمد
باحث في علم الاجتماع

❑ **تونس** – يعتبر التجميل من أقدم الممارسات البشرية على مرّ العصور استجابة لبعض الوظائف والمعتقدات منها ما هو دنيوي ومنها ما يتعلق بالمقدس. فقد عرف الوشم على سبيل المثال كأداة ووسيلة تجميل منذ القدم عند الشعوب والأمم أي 3400 عام قبل الميلاد حيث استخدم من قبل الحضارات القديمة، مثل الفراعنة والمايا وقبائل شمال ووسط أوروبا.. أما جراحات التجميل فقد بدأت في الهند منذ نهاية القرن 18 وفي أميركا في القرن 19 ولم تصبح مثل تلك الجراحات مألوفة في أوروبا إلا في القرنين الـ19 والـ20. فالبحث عن الجمال في الذات وفي المظهر ومحاولة إبرازه كان ولا يزال همّا يرافق الإنسان منذ القديم، غير أن التنميط والتسليع الذي تعرض له المجتمع الحديث والمعاصر جعل منه شبحا يطارد الإنسان، يقلقه ويرهق ميزانيته ويعرض صحته للخطر. فموجة الإعلام الاستهلاكي فرضت معايير معينة ومقاييس متغيرة للجمال وسوّقتها على نطاق واسع حتى بات الجمال سلعة تباع وتشترى وتتغير معاييره من سنة إلى أخرى حسب الأذواق الخاصة للمتاجرين في سوق الجمال والموضة.

لقد رحلت بلا عودة أيام الرضا عن الذات عند الوقوف أمام المرآة فلم يعد الاهتمام بالشكل من الكماليات وإنّما من الضروريات الحياتية لبعض الأشخاص، فتحوّل الجمال إلى هاجس عند المرأة والمجتمع معاً، لقد وصلنا الآن إلى مرحلة الهوس بالصورة بحيث أصبح الاهتمام بها من أهم الضروريات في حياتنا وقد أصبحت من أكثر المواضيع استهلاكا وتداولا ولم تعد مسألة تهم النساء فقط بل تهمّ الرجال وتقريبا جميع الفئات العمرية والاجتماعية والشباب بصفة عامة والمراهقين بالخصوص حيث يبحثون عن التفرد والتميز والبروز وجلب الانتباه والحصول على القبول الاجتماعي من طرف الآخرين، فالاهتمام بالشكل الخارجي عندهم شكل من أشكال التعبير والتواصل.

لكن ما يلفت الانتباه أن المظاهر أصبحت تقريبا لغة التخاطب الوحيدة لدى جلّ فئات المجتمع والأداة الوحيدة للتعبير عن الذات والشخصية والانتماء وتحتل المكانة الأبرز في سلم اهتماماتهم. والقيام بعمليات التجميل يتعدى في بعض الأحيان مجرد البحث عن الظهور بشكل جميل ومقبول بل أصبح المظهر هو الحياة نفسها فتكاد تقتصر الاهتمامات النسائية والشبابية على تصفح مجلات الموضة ومشاهدة البرامج التلفزيونية التي تعرض آخر «الصيحات» و«الصرعات» في مجال التجميل والملابس. لقد أصبح المظهر عنصرا أساسيا في صياغة علاقات اجتماعية لدى الجميع فإذا كنت «أنيقا» و«جذابا»، حسب المقاييس الجديدة، فإنك ستترك انطباعا جيدا لدى غيرك وهذا ما سيفتح لك العديد من الأبواب على المستوى الشخصي والاجتماعي وربما حتى على المستوى المهني. فهل المسألة مجرد مسألة جمالية وذوقية فقط أم أنها أكبر من ذلك بكثير؟ هي في الغالب ينطبق عليها قول ابن خلدون "اقتداء المغلوب بالغالب"، فنحن اليوم في عصر الصورة بامتياز وهوسنا بالموضة هو امتداد لهوسنا بالصورة.

أصبحنا نعيش خلطا بين الصورة والهوية بحيث أصبح أوسع مجال للتعبير فيه عن ذواتنا ومكانتنا وإمكانياتنا وشخصياتنا هي الصورة الجسدية والاجتماعية فأصبحنا نستثمر في الصورة أكثر من استثمارنا في ذواتنا وهذا ما يفسر جزءا من ولعنا "المرضي" بالصورة. هو إذن نوع من البحث عن التمايز والاندماج والثورة على القيم الاجتماعية القائمة.

إن المظهر شيء مهمّ في حياتنا فهو أول رسالة تصل للطرف الآخر وهو الوسيلة الأولى التي نعبّر بها عن أنفسنا واعتنائنا بمظهرنا يعني اعتناءنا بأن تكون رسالتنا الأولى التي يتلقاها الآخرون منا رسالة واضحة ومقبولة وجميلة وما يفسد هذه الرسالة ويشوش عليها هو إغراقنا في البحث عن التميّز والتفرّد إلى درجة تغيب على مظهرنا كل الدلالات والمعاني الجمالية.

عندما يسيطر عشق الجمال على عقل المرأة

شيرين الديدامواني
كاتبة من مصر

❑ القاهرة – موضة اللجوء لعمليات التجميل تحوّلت لهوس استفحل في أوساط النساء في كثير من المجتمعات العربية، وأصبح الطلب عليها متزايدا لإخفاء عيوب الجسد أو إبراز مفاتنه. متخصصون يرون أن عمليات التجميل اختزال لكيان المرأة في حدود جسدها فقط، لكن هناك من يقولون إن لجوءها إليه غرضه تحقيق توازن نفسي في مجتمع يركّز على شكل الجسد.

وقالت دراسات علمية إن عمليات التجميل لا تزيد من الثقة بالنفس وتقدير الذات على المدى الطويل، ولا تغير نظرة الشخص الأساسية لنفسه، وإن التأثير الإيجابي لتغيير الشكل يكون مؤقتا فقط. لكن محمد عبدالواحد أستاذ الطب النفسي يرى أن المجتمع الشرقي عموما غير رحيم بالأشخاص الذين يعانون من تشوهات خلقية، وهو ما جعله يقنع المرضى من السيدات بضرورة إجراء عمليات جراحية للتخلص من النظرة الدونية لهن. وقال لـ"العرب": إن خضوع المرأة لجراحات التجميل ليس فقط من باب الترف، بل أحيانا يكون إصلاحا لعضو يصيب صاحبته بتشوُّه نفسي. وأرجع التكالب على العمليات التجميلية إلى تزايد حالات عدم الزواج (العنوسة) فبعض من فاتهن قطار الزواج تبحثن عن فارس أحلامهن من خلال هذا التغيير، والمتزوجات يسيطر عليهن شبح الزوجة الثانية ما يجعلهن في سباق دائم للحصول على الجمال إرضاء لأزواجهن.

لجوء المرأة إلى التجميل سببه في بعض الأحيان الضغط النفسي الذي يمكن أن تتعرض له، بسبب انتقاد البعض لشكلها، ما يزعزع ثقتها بنفسها. وقد يكون السبب شخصية الفتاة وعدم وجود نوع من التصالح مع شكلها، حيث تعتبر نفسها غير جميلة، لافتقادها الثقة كإحدى ركائز العقل الباطن لها، ومنها تتخذ قراراتها. ومعروف أن المرأة بعد سن الأربعين تبحث عن التجميل، بصرف النظر عن الضرورات الصحية وهذا يُعد تقديرا منخفضا للذات وهروبا إلى مقاييس السوق التي بدأت تطغى أكثر في العالم.

محمد الحريري أستاذ جراحات التجميل والأنسجة الجلدية، قسّم تلك الجراحات إلى ثلاثة أنواع، إحداها تكميلية، وغرضها إضفاء مظهر أكثر قبولاً لجسم الإنسان، والأخرى تقويمية لإزالة آثار التشوّهات الخلقية أو الحوادث، أما النوع الثالث فهو عمليات تعويضية تتعلق بزرع الأعضاء بعد بترها. وأوضح لـ"العرب" أن تغير ثقافة المجتمع والانفتاح على الغرب من خلال وسائل الاتصال الحديثة، أدى إلى زيادة أعداد المترددات من النساء على عيادته، سواء كنّ من شريحة الأغنياء أو الفقراء.

عمليات الموضة مثل جعل الشفتين ممتلئين ومكتنزتين تبدو أكثر رواجا الآن، بزعم أنها لا تشكل خطرا وليست لها مضاعفات، وهناك أيضا حقن الخدود وأسفل الجفون بالدهون المشفوطة من أماكن الجسم المختلفة. وأشار الحريري إلى أن السيدات من طبقة البسطاء (بين 30 إلى 40 عاما) يلجأن إلى "الشفط" لتكبير الثدي لأن مواد السليكون أصبحت رخيصة، أما عمليات ما يسميه بـ"نحت الجسد" مثل شد الجفون، وإزالة الجيوب الدهنية من أسفلها، كذلك شدّ الوجه والرقبة أو جراحة تجميل الأنف، فلا تلجأ إليها سوى سيدات الطبقات الغنية.

يحبذ كبار السن من السيدات حقن البوتوكس لإزالة تجاعيد البشرة، وحقن الفلرز لأنها تحتوي مادة الكولاجين وتساعد الجلد على الامتلاء في الأماكن الفارغة لتظهر جذابة وأصغر سنا. وأضاف الحريري أن ازدحام مستشفيات وزارة الصحة في مصر بالنساء البسيطات لإجراء عمليات تجميل مؤشر على اهتمام المرأة المصرية بنفسها، لكنه حذر مما وصفه بـ"مشروعات بيع الوهم للسيدات"، فالمراكز المسيطرة على جراحات التجميل في الوقت الراهن، معظمها غير متخصص ويهتم بالتجارة والمكسب. ونبه إلى خطورة حقن البوتوكس التي انتهت صلاحيتها، فهي تجمّد تعبيرات الوجه الطبيعية. وكشف أن هناك من لا تتلاءم طبيعة بشرتها مع المواد المستخدمة، فقد يتسبب حقن الوجه في أضرار بالعينين، أو في الإصابة بالسكتة الدماغية والوفاة.

وأكدت ماريان نبيل صاحبة مركز تجميل، أن إقبال النساء المتزايد على مثل هذه العمليات يعود إلى العامل النفسي، فتصالحها مع جسدها يجعلها تشعر بالراحة؛ وهي بطبعها تعطي وزنا كبيراً للمظهر الخارجي. لكن ما يستفز ماريان لجوء بعض الفتيات الجميلات لإجراء عمليات تجميل، فقط من أجل مجاراة الموضة، مشيرة إلى أن "وسواس الجمال" أصبح يسيطر على عقولهن، فهناك من تملك نقودا ولا تعرف أين تنفقها فتلجأ لهذا التقليد الأعمى، معتبرة أن تغيير شكلها وسيلة للدفاع عن حضورها.

كما اعترفت ماريان لـ"العرب" أن معظم السيدات اللاتي تترددن عليها هدفهن الحصول على رضا الرجل، فهي مازالت تريد بشتى الطرق جذب انتباهه.

أما وفاء إبراهيم خبيرة علم الجمال بالقاهرة، فقالت لـ"العرب": اللجوء إلى التجميل سببه سيطرة ثقافة الصورة على بعض العقول، فالكل يبحث عن صورته في عين الآخر، وعن الرضاء عن النفس، خاصة أن حياتنا العاطفية تعتمد على نظرتنا إلى جسدنا. وأضافت لـ"العرب": المرأة تهوى أن تكون حاصلة على كل الأشياء الجميلة التي تخص جسدها وملامحها، والرضا عن صورتها وامتلاكها الجمال لا يمكن الفصل بينهما، ومن حقها الحصول على ملامح شابّة بصورة جديدة تثري الحياة العاطفية، لتكون أكثر تناغماً وتناسقا، لكنها يجب ألا تنسى أن جمال الروح أفضل وأبقى من جمال الجسد.

الإعلان يبرز المرأة بوصفها سلعة جنسية

إعلانات التلفزيونات العربية لا تدعم تغيير وضع المرأة الاجتماعي

شهدت السنوات القليلة الماضية جدلاً واسعاً حول الإعلانات سواء المطبوعة منها أو التلفزيونية أو الإذاعية، وما تقدّمه من مضمون وتأثيرها على المتلقي، خاصة وأن صورة المرأة في المادة الإعلانية تأتي بشكل مكثف وغير مسبوق، ربما بحكم تعدّد أدوارها، لا سيما من خلال تأثيرها المباشر في جذب أعين المشاهد، وعلى صنع القرارات الشرائية.

أحمد الشاذلي

❏ أنجزت إيمان جمعة أستاذ الإعلام بجامعة القاهرة دراسة بعنوان "صورة المرأة في الإعلانات التليفزيونية – دراسة مقارنة للفضائيات العربية والأجنبية"، ركّزت خلالها على الصورة السلبية للمرأة التي تعتمد على الرجل في قراراتها، وهي الصورة التي تبرز المرأة دائماً بوصفها موضوعاً للجنس، وجاء تطبيق هذه الصورة بالتحديد على أربع قنوات أجنبية، وفي فترة زمنية لا تتجاوز أربعين يوماً، عرضت خلالها 135 إعلاناً.

وتوصّلت الدراسة إلى العديد من النتائج، لعل أبرزها هو ذلك التماثل والتشابه بين صورة المرأة في الإعلانات التلفزيونية للقنوات العربية والأجنبية خاصة في نقاط محدّدة، منها: السن والمستوى الاقتصادي والملابس والأداء الحركي، فضلاً عن تكوين الجسم ومستوى الجمال ولون البشرة، وهو ما يؤكد أحد انعكاسات العولمة، والتي تتضح في الاختراق الإعلاني الوافد من الدول الأوروبية لقنواتنا العربية.

وترصد الدراسة أيضاً مجموعة من الاختلافات بين الجانبين العربي والأوروبي فيما يتعلق بصورة المرأة، منها المستويات التعليمية والاجتماعية، إضافة إلى الدور الوظيفي لها، ويأتي هذا الاختلاف في صالح المرأة الأجنبية، حيث لا تدعم إعلانات التلفزيونات العربية التغيير الاجتماعي الحاصل في مجتمعاتنا، والذي يصبّ في صالح المرأة.

وتؤكد الدراسة على أن المرأة دائماً ما تبدو بوصفها سلعة جنسية، خاصة فيما يخصّ معايير الجاذبية الجسمانية، وهو نمط إعلاني متهافت وهزيل يؤدي إلى تأثيرات نفسية واجتماعية وسلبية على النساء والفتيات، لا سيما وأن هناك علاقة ارتباطية بين حجم التعرّض للإعلانات التلفزيونية الخاصة بالجمال، ومستوى عدم الرضا عن الذات لدى الفتيات، خاصة في حال مقارنة أنفسهن بموديلات الإعلانات، فضلاً عن مستوى الشعور بالضيق والضعف والخوف من الوقوع ضحية للعنف.

كما أن استغلال المرأة لا يقتصر على الإعلانات التلفزيونية فقط، بل يمتدّ إلى أغاني "الفيديو كليب" التي تُعدّ استغلالا سيئا لأنوثة المرأة وإذلالا لكرامتها، فالقائمون على صناعة الإعلان في وطننا العربي لم يستثمروا تراث المرأة وتاريخها الممتدّ في الأغنيات المصوّرة وفي الإعلانات، وإنما فضّلوا الاتجاه كلية إلى تقليد العالم الخارجي، واستخدام المرأة كسلعة تجارية وجنسية.

> استغلال المرأة لا يقتصر على الإعلانات التلفزيونية فقط، بل يمتد إلى أغاني «الفيديو كليب» التي تعد استغلالا سيئا لأنوثة المرأة وإذلالا لكرامتها

ويرجع الخبراء الأمر إلى أنه يتعلّق بالتقاليد والموروثات الاجتماعية التي تعيق حركة المرأة وتقلل من شأنها، فهي المسؤولة عن تشكيل صورة المرأة، باعتبارها مخلوقة أقل ذكاء وقدرة من الرجال، ما أحدث فجوة بين النوعين على كافة الأصعدة، ومن ثم يجب التركيز على الأدوار الإيجابية التي يقوم بها العديد من النساء في مختلف المجالات، ودورهن في المجتمع.

والحل من وجهة نظر الخبراء ليس بفرض مزيد من الرقابة على المادة الإعلانية، وإنما بأن تكون الإبداعات التي تخصّ العمل الإعلاني ذات مستوى راق، بأن تخاطب ضمير وعقل المشاهد وليس غرائزه، وبانتقاء الألفاظ التي تلائم البيوت العربية ذات الطابع الشرقي، وبأن يتم تنقية اللغة من سوقية العبارات الدخيلة والغريبة التي اقتحمتنا تحت دعاوى تسويق المنتج.

وتخلص إيمان جمعة إلى مجموعة من التوصيات، من أهمها ضرورة إعادة النظر في فكرة أن الإعلان هو مرآة المجتمع وانعكاس لثقافته، وكذلك ضرورة الانتباه إلى هيمنة شركات الإعلان الأميركية على التسويق العالمي، وهو ما يعطيها القدرة على توجيه الأذواق العامة حسب أهدافها هي، ومن تلك الأهداف توحيد القيم حول المرأة والأسرة، وحول الرغبة وأنماط الاستهلاك في الذوق والمأكل والمشرب ترويجاً لمنتجاتها، وبالتالي دعماً لاقتصادها، والخطر يكمن في استجابة بعض دول العالم النامي ومنها الدول العربية بالطبع، وهو ما يجعلنا نصف الفضائيات والإعلام العربي بأنهما من أهم أدوات ثقافة العولمة التي تصنع الذوق الاستهلاكي، وتحدّد مساراً خاصاً ورؤية خاصة للإنسان والمجتمع. وباختصار شديد الموضوع ليس إعلاناً أو رؤية مغايرة، أو اتجاهاً يمكن احتواؤه فقط، وإنما هو أكبر من كل ذلك، لأنه يتعلق بإعادة صياغة العالم من جديد، وهو نظام خاضع أولاً وأخيراً للأطماع الغربية والنظام العالمي.

وتقول هويدا مصطفى، أستاذة الإعلام بجامعة القاهرة "إن الإعلانات أصبحت إحدى أبرز وسائل ثقافة العولمة والمادية، وتستهدف بشكل أساسي التسويق وجذب المشاهد بأيّ وسيلة وأيّ طريقة، دون أيّ اعتبارات للمضمون الذي تقدّمه، ومحتواها وما يتضمّنه من عبارات وإيحاءات سيئة تخدش الحياء والمجتمع وثوابته"، لافتة إلى أن الأمر تطوّر إلى الأسوأ خلال الفترة الأخيرة، خاصة مع تحوّل الإعلانات إلى مادة أساسية في الفضائيات والقنوات التلفزيونية، دون أيّ رقابة على محتواها، وهو ما جعلها تخرج عن السياق لتحقّق هدفها الأساسي المتمثل في تسويق المنتج وجني الأرباح.

وتابعت هويدا قائلة "في سبيل تحقيق الإعلانات لأهدافها، وباتّباع كافة الوسائل والأدوات دون أيّ اعتبارات، كانت المرأة إحدى أدواتها وكذلك ضحاياها، والتي استخدمتها كأداة لجذب أعين المشاهدين باستخدام جمال المرأة وأساليب الإغراء، وهو ما يُعدّ إجحافاً بحق المرأة، وإهانة لكرامتها ووجودها.

وتشير هويدا مصطفى أيضا إلى أن الإعلانات لها تأثير سلبي على المجتمع وثوابته، من خلال ما تبثّه من سلوكيات وألفاظ تمس عاداته وتقاليده، كما أنها أصبحت تمثّل خطراً على الأسرة العربية لما تحمله من ألفاظ خارجة وإيحاءات، والترويج لأفكار غربية وسلوكيات ترفضها المجتمعات العربية، وهو ما يحتّم ضبط محتوى هذه الإعلانات بكافة الوسائل، حتى لا تضر بالمجتمع وتؤثّر على قوامه.

طبق اليوم

الفاصولياء البيضاء بصوص الطماطم

المقادير:

- ربع كيلوغرام فاصوليا بيضاء.
- 2 حبات بصل متوسطة الحجم.
- 5 فصوص ثوم مهروس.
- نص كيلوغرام طماطم معصورة.
- معلقة سمن.
- معلقة زيت.
- معلقة صغيرة ملح.
- نصف معلقة صغيرة فلفل أسود.
- نصف معلقة صغيرة كمون.
- ربع معلقة صغيرة زنجبيل.
- ربع معلقة صغيرة بهارات.
- 2 أكواب شوربة.
- مرقة دجاج أو لحم حسب الرغبة.

طريقة الاعداد:

- تنقى الفاصولياء جيدا، ثم تغسل وتنقع في الماء ليلا حتى تسهل عملية طهيها صباحا.
- تسلق الفاصوليا البيضاء لمدة ربع ساعة حتى تنضج، وترفع عن النار وتصفى جيدا.
- يحمّر البصل في ملعقتين من السمن مع مراعاة وضع فلفل أسود أثناء التحمير.
- بعد اصفرار البصل توضع نصف كمية الثوم المهروس ويحمّر ثم توضع الطماطم المعصورة مع التوابل وتترك على النار حتى تصبح أكثر سُمْكا.
- توضع باقي كمية الثوم والفاصولياء والشوربة والمرقة وتترك حتى الغليان ثم تخفّض الحرارة وتترك لتسبك جيدا.
- تقدم الفاصولياء البيضاء بصلصة الطماطم مع اللحم والأرز.

موضة

أزياء تغازل المرأة العصرية

❏ مزجت تصاميم المصمم اللبناني داني أطرش لربيع وصيف 2016 التي عرضها مؤخرا، بين الفن الغجري الحديث، والمرأة الواقعية بأسلوب حياتها العصري.

أطلق أطرش على مجموعته اسم "حلم" حيث حوّل أحلامه إلى أزياء تمّ تلوينها بتدرّجات حديقة ربيعيّة. وتميزت بالمزج بين خامات متنوعة من بينها الأورغنزا، والدانتيل، والموسلين، والساتان المنسوج بالحرير الذي تم تطريزه على شكل أزهار.

كما استلهم أطرش بعض النقشات التي استعملها في إطلالاته من عمل الحرفيين المغاربة، وقد برز ذلك بشكل أساسي من خلال قماش الكريب المتداخل بالحرير وفق طريقة الحياكة التقليدية. وتزينت الأزياء بالأبيض، والذهبي، والأسود، إضافة إلى الأصفر والوردي والبرتقالي والأزرق المتدرج كما اعتمد اللون الأحمر الذي يقترن باللون النبيذي. وتضمنت المجموعة الفساتين الشفافة التي تتسم بالجرأة والأنوثة، بالإضافة إلى الفساتين القصيرة والتنانير المنفوشة، والياقات المرتفعة، كا ظهرت الفساتين المشجرة بالزهور الملونة المطبوعة، والمطرزة بالخيوط الذهبية اللامعة البارزة.

الأول من أبريل وإدمان الكذب

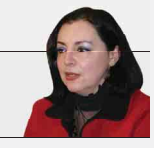

هيفاء بيطار
كاتبة من سوريا

❏ صحيح أن الناس يكذبون على بعضهم ببعض الأكاذيب للتسلية وللطرافة، ويسمّون تاريخ الأول من نيسان بعيد الكذب، كما لو أن للكذب الحق في أن يكون له عيد، لكن موضوع الكذب صار من أخطر المواضيع والمشاكل في حياتنا، لأن هنالك قناعة بالكذب، بل إن نسبة كبيرة من الناس تقر أن الكذب ضرورة من ضروريات الحياة، وقد بيّن الطب النفسي الحديث ارتفاعا خرافيا للكذابين، رغم انتشار التعليم الديني والبرامج التلفزيونية التي تدعو للفضيلة.

ماذا يقول الطب النفسي في شخصية الكذاب ولماذا يكذب الإنسان؟

بيّن الطب النفسي أن الإنسان يكذب لأنه ضعيف أساسا، ولأنه يشعر أن الآخر لن يقبله كما هو، فيضطر لاختلاق صفات وأفعال غير حقيقية كي يُجمّل صورته لدى الآخرين، أو أن البعض يكذب لافتقاد حياته إلى المرح والترفيه، فالإنسان بطبيعته يميل للحياة المسلية والمثيرة، فيلجأ البعض لاصطناع المرح واختلاق أحاديث مجملة كاذبة لتجميل حياته وحياة من حوله.

والبعض يجد في الكذب ضرورة في العمل مثل مهنة العقارات التي تحتاج لبراعة كلامية وكسب ثقة الزبون سواء كان يرغب بالبيع أو بالشراء، فيكون دور الوسيط المبالغة الكاذبة بأسعار العقارات كي يحصل على أعلى نسبة ربح.

وأكبر مشكلة اتفق عليها الأطباء النفسانيون هي خطورة توريث الكذب للأطفال إذ أن الأهل يعتبرون العملية التربوية مجرد سلسلة مواعظ يلقيها الأهل على أولادهم، أما الحقيقة فإن الأطفال يقلّدون سلوك الأهل تماما ويتنفسون أفكارهم ويتمثلون تصرفاتهم، فالأب الذي يعظ ابنه بأن الكذب حرام ورذيلة ثم يطلب منه أن يقول للجار الفلاني إنه ليس في المنزل، رغم وجود الأب في البيت، فهذا سلوك مُسيئ جدا للطفل لأن هذا السلوك المزدوج والمنافق يجعل الأطفال يفقدون احترامهم ومصداقيتهم للأهل وللكبار عموما.

خطورة الكذب من الناحية العصبية والنفسية أنها تجعل الجهاز العصبي في حالة استنفار دائم لإنتاج الكذب.

وأكد الأطباء النفسانيون أن أول خطوة للتخلص من الكذب هي تغيير القناعات، أي أن يقتنع الإنسان في العمق أن يقدم وجهه الحقيقي للناس سواء نال إعجابهم أم لا. وأن يتذوق حلاوة الصدق الذي يُشعر الإنسان بكرامته، فالكذّاب يشعر حين يخلو إلى نفسه بالدونية والصغر وعدم احترام الذات. وللأسف يؤكد علماء النفس أن الكذب يعيش عصره الذهبي، وأهم عامل في الكذب هو انعدام الحريات، فنقص الحريات إن لم يكن غيابها هو أساس الكذب وهذا النقص في الحريات وأهمها حرية التعبير عن المشاعر والأفكار بصدق هو أساس الكذب.

والكذب واجهة للخوف دوما، وفي أعماق كل إنسان كذّاب إنسان خائف، خائف من الناس والحياة والسلطة والأمن، خائف على وجوده لذا يضطر للكذب. فهل يقدر طفل صغير مثلا أن يقول لوالده "لست راغبا في حل واجباتي المدرسية الآن؟"، ألا يكون الجواب في كثير من الأحيان صفعة مدوية على الوجه، وهل يقدر مراهق أن يسأل أهله بحرية عن بعض الأمور الجنسية وأن يبوح لهم بحقيقة أفكاره وسلوكه، ألا يخشى التقريع والعقاب وعقدة الذنب المتوغلة في أرواحنا منذ الولادة.

ترى كم نسبة النساء اللاتي استطعن البوح بعلاقاتهن العاطفية قبل الزواج، لأزواجهن، وألا تمثل عملية إعادة العذرية التي تحقق أرقاما قياسية في عالمنا العربي حقيقية النفاق والكذب في حياتنا، لدرجة أن الصين أنتجت للعالم العربي غشاء بكارة مطاطيا اصطناعيا! والمؤسف أن البعض يبرر هذا الكذب للإصلاح وكي لا تُهدم البيوت وتتصدع الأسر، لكن هل هنالك نوع من الكذب يُطلق عليه كذب للإصلاح! أليس الكذب كذبا ولماذا لا يكون الحل بالوضوح والصراحة وتغيير المفاهيم المتكلسة منذ عقود وقرون وأن يكون الحل أن يغير الرجل عقليته الرجعية وأن يؤمن بالعمق بأن شريكته في الحياة لها كل الحق أن تعيش تجارب عاطفية وأن تعترف بها لزوجها دون أن تشعر بالمهانة.

ولماذا يقبل الرجل لنفسه ما لا يرضاه لأخته أو زوجته؟ أليست هذه قمة الازدواجية، ألم يعش هو تجارب مع فتيات ونساء؟ فلماذا إذن اختلاق مفهوم خطر هو الكذب للإصلاح. أليس تبرير حالة كذب للإصلاح هو علاج مشوّه للمشكلة تكون نتائجها وخيمة لأن حجر الزاوية في بناء الأسرة هو الصدق، ولأن الكذب لا يجرّ سوى الكذب، فيصير المجتمع كحالة الكل يكذب على الكل والحياة مستمرة.

إذن غياب الحريات هو أساس الكذب، فكم عدد الكتاب والصحافيين في عالمنا العربي بل وربما في العالم يستطيعون أن يجاهروا حقيقة بأفكارهم دون أن يتعرضوا للقتل أو التخوين أو السجن وربما يخرس بعضهم إلى الأبد خوفا من أن تجرّ صراحته ونزاهته عليه الويلات.

أما كذب السياسيين فأمر آخر، إذ يكاد يتطابق مفهوم السياسة مع مفهوم الكذب خاصة هؤلاء الذين يغيرون أقوالهم حسب اتجاه جريان الريح السياسية والمصالح.

إذن الخوف هو بطانة الكذب، ألا يعني أن الحرية بطانة الصدق، وأن لا قيمة لحياة غير صادقة، ولا إنسانية حقيقية للإنسان إن لم يشعر بكرامته وهو يعبّر عن حقيقته مهما كانت سواء أرضت الآخرين أم لم ترضهم.

صحيح أن الأول من أبريل عيد للتسلية والبهجة والمزاح حين نسمّيه عيد الكذب، لكن حريّ بنا أن نتأمل في هذا اليوم كم يشوّه الكذب الحياة وكم يؤثر على أطفالنا الذين يتمثلون أفعالنا ولا يبالون بمجرد مواعظ جافة نعتقد أنها العملية التربوية.

الماكر يضخ دماء جديدة في أوصال الأسود

رونار: هدفنا رفع الراية المغربية عالية على المستوى القاري

وقفة واثقة لرونار.. تعيد الروح لأسود الأطلس

أثير كثير من الجدل وطُرحت علامات استفهام عديدة حول بداية المدرب الفرنسي هيرفي رونار، بعد أن تم تعيينه ليقود سفينة المنتخب المغربي لكرة القدم خلفا للمدرب المقال بادو الزاكي. وكان علىٰ هيرفي ألا يتأخر في تسجيل أفضل النتائج، خاصة أن الجماهير المغربية كانت تعلق عليه آمالا كبيرة ليعود منتخب الأسود للطريق الصحيح.

□ **الرباط**- لم تكن مهمة المدرب الفرنسي هيرفي رونار سهلة لأنه كان مطالبا في وقت ضيق بإعداد فريقه، ولم يكن أمامه الكثير من الوقت خاصة أن أول مواجهاته كانت أمام الرأس الأخضر ذهابا وإيابا في التصفيات الأفريقية، وهو المنتخب الذي كان يتقاسم الصدارة مع منتخب الأسود، لذلك لم يكن مقبولا منه الخطأ في المباراتين. ورغم صعوبة المهمة إلا أن رونار نجح في تحقيق ثلاثة أهداف مهمة وفي ظرف قياسي. نجح المنتخب المغربي في انتزاع بطاقة التأهل بعد فوزه ذهابا وإيابا علىٰ منتخب الرأس الأخضر، ورغم أن منتخب الأسود عانىٰ نوعا ما في التأهل إلىٰ النهائيات، لكنه تمكن من تفادي الدخول في ضغط الجولات الأخيرة وحقق الأهم. وتحسب هذه الخطوة للمدرب رونار الذي لم ينتظر طويلا خاصة أنه فاز ذهابًا وإيابا علىٰ المنتخب الذي شكل منافسا حقيقيا للمنتخب المغربي، بدليل أنه تصدر معه المجموعة السادسة منذ بداية التصفيات. ثم أعاد رونار الثقة المفقودة للاعبين ورفع الضغط الذي عانوا منه في المباريات الأخيرة بسبب المستوى المتواضع والنتائج غير المقنعة، خاصة أن وسائل الإعلام غالبا ما كانت تنتقد أداء الأسود مع المدرب بادو الزاكي.

> المدرب الفرنسي ركز كثيرا على حجم الثقة التي يضعها في اللاعبين الذين اختارهم والذين كشف بأنه ظل يتابعهم في الآونة الأخيرة، معربا عن أمله في أن يحققوا نتائج إيجابية تدخل الفرحة على قلوب الجمهور المغربي

أيضا المباراتان أمام الرأس الأخضر كانتا كافيتين ليتجاوز اللاعبون هذه الضغوطات ويستعيدون الثقة، بدليل الطريقة التي أسقطوا بها الخصم وكذلك المستوى المقنع الذي قدموه.

مصالحة الجماهير

عاد حماس الجمهور وشغفه إلىٰ المدرّجات وتابع الجميع الآلاف من الجماهير التي حضرت إلىٰ ملعب مراكش من أجل دعم اللاعبين ومساندتهم. وكان واضحا العزوف الجماهيري في مباريات المنتخب المغربي قبل قدوم رونار بسبب المستويات المتواضعة وعدم الاستقرار في النتائج، غير أن العودة القوية للأسود في المباراة الأولىٰ لرونار ببرايا والفوز الذي حققه جعل الجمهور المغربي يعود بقوة في مباراة الإياب، فنجح بذلك المدرب الفرنسي في مصالحة الجمهور المغربي مع منتخبه. وصدق من لقبه بـ"الثعلب" ليكون بذلك اسما علىٰ مسمّىٰ، فالمدرب الجديد للمنتخب المغربي، تقمص دور الثعلب الماكر، وخطف في ظرف ثلاثة أيام ستة نقط ثمينة من أنياب "القروش الزرقاء"، وحسم بذلك التأهل مبكرا إلىٰ نهائيات كأس أمم أفريقيا "الكان"، المقرر تنظيمها في الغابون خلال بداية العام المقبل.

وليس هذا ما يشفع للثعلب الفرنسي لأن يحل ضيفا علىٰ نادي الطالعين هذا الأسبوع، فهذا المسار كان قد بدأه المدرب السابق، بادو الزاكي. فالذي يحسب لهذا الإطار الفني الذي يُنعت بالكفء والمجرب، بحكم صولاته وجولاته كمدرب في الأدغال الأفريقية، أنه ضخ دماء جديدة في أوصال "الأسود"، وتعامل بصرامة لم تكن معهودة في المنتخب من قبل. صرامة الثعلب "رونار" ظهرت جليا في كونه أجلس لاعبين محترفين في دكة الاحتياط، غير آبه برفض الرافضين، ولا لمز اللامزين، فما كان يهمه هو أن يستثمر أحسن ما يوجد لديه من تركيبة بشرية يراها أكثر قدرة علىٰ خوض المباريات الأفريقية، دون أن يمنح الفرصة لمحاباة المحابين أو ضغط الضاغطين.

وكان رونار حازما منذ البداية، وهو ما عبّر عنه بنفسه لما صرح بأن خطابه الصارم للاعبين يعتبر أمرا عاديا، وبأنه يحب أن يقوم بعمله باحترافية تامة، كما أن قدميه ظلتا تلامسان الأرض، ولم يدّع أن كل شيء علىٰ ما يرام، إذ أكد أنه "للرفع من المردودية يجب تحسين العديد من الأمور"، وهو ما دفع بالكثيرين إلىٰ الإشادة به، من بينهم لاعبو المنتخب أنفسهم. وظهر رونار مؤخرا متفائلا، وكشف مروّض الأسود بأنه لا داعي للقلق في الفترة الحالية، وبأن منتخب المغرب قادر علىٰ تقديم مباريات في المستوى، مضيفا بأن تجربته في القارة الأفريقية ستساعده كثيرا لربح أكبر تحدّ وقال "أعشق المغرب كثيرا سأبذل رفقة الطاقم التقني مجهودات كبيرة من أجل إسعاد الجمهور المغربي، لا داعي للقلق، هدفنا هو رفع الراية المغربية عالية علىٰ المستوى القاري". وركز رونار كثيرا علىٰ حجم الثقة التي يضعها في اللاعبين الذين اختارهم والذين كشف بأنه ظل يتابعهم في الآونة الأخيرة، معربا عن أمله في أن يحققوا نتائج إيجابية تدخل الفرحة علىٰ قلوب الجمهور المغربي.

محاربون في أسبوع واحد

أجمع النقاد والجمهور المغربي علىٰ قيمة العمل الفني الكبير الذي قام به الفرنسي هيرفي رونار علىٰ رأس العارضة الفنية لمنتخب الأسود، هو الذي لم يمض علىٰ تعيينه بمنصبه أكثر من شهر. ما فعله رونار بصفوف المنتخب المغربي وخاصة علىٰ مستوى تواصله بين اللاعبين كان له مفعول السحر، هو ما يعكس ذكاء هذا المدرب في استغلال ما كان نقطة ضعف الأسود في الفترة السابقة. وكانت تصريحات اللاعبين بعد تحقيق التأهّل علىٰ حساب منتخب الرأس الأخضر معبرة عن واقع الحال داخل بيت الأسود، إذ وقع الإجماع بخصوص اللمسة التي أضافها هذا المدرب والتي لم تكن حاضرة في الفترة السابقة. قال مبارك بوصوفة وهو يحكي عن التعاقد مع رونار "بالفعل كان خيارا مثاليا، إنه المدرب الأنسب نحسّ به قريبا منا، الأجواء صارت رائعة ونحس أننا أسرة واحدة بصفوف المنتخب المغربي". وقال قائد الأسود، المهدي بنعطية في قراءته لحضور رونار "بعد مباراتي الرأس الأخضر يمكن القول إن المنتخب المغربي صار بإمكانه التفوق علىٰ أيّ منافس، لقد قاومنا الكثير من الظروف الصعبة والروح القتالية للاعبين أمر افتقدناه في السابق".

وأخيرا لخّص يوسف العرابي مهاجم منتخب الأسود الوضع قائلا "نشعر بسعادة كبيرة بالتأهل للكان مرة أخرى، والسعادة للأجواء السائدة حاليا، رونار أحدث تغييرا ملحوظا لكن لا ينبغي أن نتجاهل ما قام به المدرب الزاكي في الفترة السابقة، لأنه كان له دور كبير في النتائج الحالية". ملخص الحكاية، أن رونار كان ذكيا في تعامله مع لاعبي المنتخب المغربي إذ تحوّلوا لمحاربين ومقاتلين وهو ما افتقده المنتخب المغربي وخاصة عند لاعبيه المحترفين بالفترة السابقة.

من ناحية أخرى فرض مهاجم لاجونتوار البلجيكي مبارك بوصوفة نفسه نجما للمباراتين الأخيرتين مع المنتخب المغربي، حيث تألق ذهابا وإيابا أمام الرأس الأخضر في الجولتين الثالثة والرابعة، في تصفيات أمم أفريقيا 2017، واختير من أفضل اللاعبين في المباراتين بعد غياب طويل، أعاده المدرب هيرفي رونار لعرين الأسود للاستفادة من خبرته، لذلك يراهن بوصوفة البالغ من العمر 31 عاما علىٰ تحقيق الإضافة لمنتخب الأسود، وكذلك مساعدة الجيل الجديد لإعادة توهّج الكرة المغربية. وصرّح قائلا "طبعا لن أكون إلا سعيدا بهذا الهدف الذي حققناه، كان طموحنا أن نحجز تأشيرة التأهل مبكّرا لتفادي الدخول في حسابات مجموعتنا، لذلك كان من اللازم تسجيل نتيجتين إيجابيتين أمام الرأس الأخضر ذهابا وإيابا، الأمور سارت بشكل جيد وهي مناسبة لأهنئ الجمهور المغربي واللاعبين علىٰ هذا التأهل". وأوضح أن اللاعبين قدّموا مجهودا كبيرا وأكّدوا أنهم يراهنون علىٰ تقديم الأفضل. وتابع قائلا "ليس هناك سر، الأمور فقط مرتبطة بالجدية والعمل والمثابرة، ثم لا ننسىٰ أن الأجواء جيدة وصالحة ليقدم أيّ لاعب أفضل ما لديه، أنا راهنت من جانبي على تقديم الأفضل". وأضاف "المدرب رونار أعادني بعد غياب ليس بالقصير، لذلك راهنت لأكون عند حجم هذه الثقة التي منحها إيّاي، الأمور سارت بشكل جيد، لكنني لا أريد أن أقف عند هذا الحد لتقديم الأفضل في المباريات المقبلة".

> رونار أعاد الثقة المفقودة للاعبين ورفع الضغط الذي عانوا منه في المباريات الأخيرة بسبب المستوى المتواضع والنتائج غير المقنعة، خاصة أن وسائل الإعلام غالبا ما كانت تنتقد أداء الأسود مع المدرب بادو الزاكي

تغييرات ملموسة

وجدير بالذكر أن هناك الكثير من الأمور التي تغيرت مع المدرب، فهو مدرّب جيد ويعرف الكرة الأفريقية جيدا بدليل أنه سبق أن توّج بلقب كأس أمم أفريقيا في مناسبتين مع زامبيا وساحل العاج، طريقة تعامله جد ذكية، كما أن قوّته تكمن في علاقته الجيدة مع اللاعبين. بان بالواضح أن هذا المدرب يعرف أيضا كيف يحفّز اللاعبين ويشعل في نفسيتهم نار الحماس والعزيمة، وهي الأمور التي ستساعده قطعا في تجربته مع المنتخب المغربي، لأنّ مثل هذه الأمور هي من أسرار نجاح أيّ مدرب، بدليل الأجواء الجيدة والانسجام الحاصل بين اللاعبين والجهاز الفني. ويحاول نجوم منتخب الأسود أن يكونوا مثالا للاعبين الشباب لمساعدتهم داخل الملعب وخارجه، لأن هناك لاعبين موهوبين والأكيد سيكون لهم شأن في المستقبل، بدليل المستوى الذي قدّموه رغم قلة تجربتهم خاصة أن منهم من يلعب لأول مرة مع المنتخب. لذلك يتمنىٰ عشاق المنتخب المغربي أن تواصل المجموعة السير علىٰ هذه الأجواء لأن الجمهور المغربي أحوج ليرى منتخب الأسود في مراتب متقدمة.

قطبا الكرة المصرية يعودان إلى السباق المحلي بنشوة الإنجاز الأفريقي

الأهلي يواجه الشرطة والزمالك يسعى للثأر من الإسماعيلي

يعود فريقا الأهلي والزمالك المصريين مجددا، لخوض مباريات الأسبوع الـ23 من مسابقة الدوري المصري الممتاز، بعد توقف البطولة لأكثر من أسبوعين، بسبب خوض الفريقين ومعهما فريقا انبي ومصر المقاصة، مباريات دوري أبطال أفريقيا والكنفدرالية، فضلا عن مواجهتين للمنتخب المصري أمام نيجيريا، في التصفيات الأفريقية المؤهلة لكأس الأمم 2017 بالغابون.

عماد أنور

❏ يواجه قطبا الكرة المصرية الأهلي والزمالك، فريقا اتحاد الشرطة والإسماعيلي، على الترتيب، في الأسبوع الـ23 من مسابقة الدوري المصري الممتاز، بنشوة الإنجاز الأفريقي الذي حققاه، بتخطيهما عقبة دور الـ32 بدوري أبطال أفريقيا.

وشهد، السبت، عودة عجلة الدوري للدوران، بأربع لقاءات جمعت كلا من غزل المحلة مع المقاولون العرب، وطلائع الجيش مع الداخلية، وبتروجيت مع الإنتاج الحربي، وأخيرا إنبي مع وادي دجلة.

وتستكمل مباريات الجولة الـ23، بثلاثة لقاءات تجمع بين مصر المقاصة مع أسوان، والمصري مع سموحة، والأهلي مع اتحاد الشرطة، على أن تختتم مباريات الجولة، الاثنين، بلقاء الاتحاد السكندري مع حرس الحدود، والزمالك مع الإسماعيلي في قمة كروية خاصة.

يدخل الأهلي مباراته أمام الشرطة على "إستاد بتروسبورت"، متصدرا جدول ترتيب المسابقة بـ47 نقطة، وبفارق 6 نقاط كاملة عن غريمه التقليدي الزمالك صاحب المركز الثاني، ويسعى الفريق تحت قيادة مدربه الهولندي مارتن يول لتحقيق الفوز الثالث على التوالي، غير أنه يخشى صحوة الشرطة، تحت القيادة الجديدة لمدربه المصري هاني رمزي، الذي نجح في تحقيق نتائج إيجابية مع الفريق منذ توليه المسؤولية، منتصف فبراير الماضي.

كان يول قد منح لاعبيه راحة سلبية من مران الجمعة، بعد الإرهاق الذي ظهر على اللاعبين، خاصة الدوليين منهم، لكنه شدد في المران الأخير قبل اللقاء، على تضييق المساحات وعدم إتاحة فرصة تمكن المنافس من شن الهجمات المرتدة.

وانتقد المدير الفني للأهلي تذبذب أداء بعض اللاعبين في مباراة ديروط، في دور الـ32 من كأس مصر، مشيرا إلى حاجتهم لبعض الوقت للانسجام مع الفريق. وأدّى الثلاثي حسام غالي وصبري رحيل وصالح جمعة، مرانا تأهيليا، من أجل اللحاق باللقاء، حيث عانى الثلاثي من إصابات مختلفة.

ومع ذلك، استفاد الفريق من مباراة الكأس، في استعادة عدد كبير من اللاعبين الغائبين عن المشاركات، مثل وليد سليمان وحسين السيد وأحمد الشيخ وعمرو السولية، وتشهد المباراة عودة الحارس الأساسي شريف إكرامي إلى القائمة، حيث شارك في التدريبات الجماعية الخميس، بعد غياب بسبب الإصابة في العضلة الخلفية، علاوة على جاهزية ظهيري الجنب باسم علي وصبري رحيل وتماثلهما للشفاء، وتكتمل القائمة بعودة المهاجم الغابوني ماليك إيفونا إلى القاهرة، بعد مشاركته مع منتخب بلاده أمام سيراليون في تصفيات أمم أفريقيا.

وأملا في تحقيق الفوز، ركز يول خلال التدريبات على تنفيذ بعض الجمل التكتيكية التي تسهّل مهمة المهاجمين في إحراز الأهداف، خاصة أن المباراة تعد بروفة قوية للفريق، قبل مباراته الأفريقية التي يخوضها السبت القادم أمام فريق يانج أفريكانز التنزاني، في دور الـ16 لبطولة دوري أبطال أفريقيا.

ويرى أسامة عرابي المدرب العام للأهلي، أن الفريق سيخوض مواجهة صعبة أمام الشرطة، في ظل سعيه للحفاظ على تصدر جدول الترتيب، والحفاظ على فارق النقاط مع الزمالك.

وأشار في تصريحات له بعد مران الجمعة إلى أن الشرطة يمتلك جهازا فنيا قويا بقيادة هاني رمزي، غير أنه أكد ثقته في قدرة لاعبيه على مواصلة الانتصارات.

ولفت عرابي إلى صعوبة مواجهات الدور الثاني للمسابقة، وأن الجهاز الفني بقيادة مارتن يول، حث اللاعبين على أن المباريات المتبقية، هي مباريات كؤوس الغرض منها تحقيق الفوز، دون الالتفات إلى نتائج المنافسين.

على جانب آخر، شدد هاني رمزي على لاعبيه، الظهور بشكل مشرّف أمام الأهلي،

> الأهلي يدخل مباراته أمام الشرطة على «إستاد بتروسبورت»، متصدرا جدول ترتيب المسابقة بـ47 نقطة، وبفارق 6 نقاط كاملة عن غريمه التقليدي الزمالك صاحب المركز الثاني

الأهلي يواجه الشرطة أملا في الحفاظ على الصدارة

وتحقيق نتيجة إيجابية في ظل الظروف الصعبة التي يعانيها الفريق، الذي يسعى لمقاومة شبح الهبوط، خاصة أنه يقع في ترتيب متأخر بجدول الدوري، ويحتل المركز الـ16 برصيد 16 نقطة.

وطالب رمزي لاعبيه بضرورة التركيز، وإغلاق جميع المساحات أمام لاعبي الأهلي، ومن ثمة اللعب على الهجمات المرتدة، أملا في تحقيق نتيجة إيجابية، تكون بمثابة الدفعة خلال المباريات المتبقية.

في المقابل، يخوض الزمالك مهمة صعبة أمام الإسماعيلي، الاثنين، في الجولة نفسها، وتتملك الفريق الذي يقوده الأسكتلندي أليكس ماكليش، رغبة قوية في الثأر من الإسماعيلي الذي نجح في الفوز على الزمالك بهدف مقابل لا شيء في مباراة الدور الأول بالأسبوع السادس من المسابقة.

يسعى الزمالك إلى تحقيق الفوز الثاني مع مدربه الأسكتلندي، بعد أن حقق فوزه الأول على حساب المقاولون العرب في الأسبوع الـ21 من المسابقة، سبقته خسارة أمام الإنتاج الحربي في أول ظهور لماكليش في القيادة الفنية.

ماكليش استعد لمواجهة الإسماعيلي، بمجرد انتهاء لقاء شباب الضبعة في دور الـ32 من مسابقة كأس مصر، وطالب لاعبيه بالتركيز بالتركيز لتعويض خسارة الدور الأول، دون إغفال الأداء الممتع الذي يسعد الجماهير، ويكون الفوز دافعا معنويا قبل مواجهة مولودية بجاية الجزائري، في التاسع من أبريل الجاري، في ذهاب دور الـ16 من دوري الأبطال الأفريقي.

وحذر ماكليش لاعبيه من خطورة مهاجمي الإسماعيلي، لا سيما المهاجم مروان محسن، الذي يحتل مركزا متقدما في ترتيب هدافي المسابقة، إضافة إلى الغاني إيمانويل بناهيني، إلى جانب خطورة الهجمات التي يشنها الثنائي إسلام جمال وشوقي السعيد من على الجانبين.

وحرص الجهاز الفني للفريق، على أداء تدريبات على التسديدات القوية من خارج منطقة الجزاء، خاصة لاعبيه أحمد توفيق ومعروف يوسف وطارق حامد، إلى جانب تدريب شيكابالا وأيمن حفني على الكرات الثابتة. ماكليش يرغب في الدفع بالقوة الضاربة للفريق، منذ بداية اللقاء، ولن يخرج التشكيل المتوقع عن أحمد الشناوي في حراسة المرمى، بعد تألقه في مواجهتي منتخب مصر أمام نيجيريا، على أن يشرك الثلاثي أحمد دويدار وحمادة طلبة وعمر جابر في الدفاع، وطارق حامد وأحمد توفيق كمحوري ارتكاز، بينما يدفع بالثنائي أيمن حفني وشيكابالا في الوسط، ولا بديل عن مايوكا المتألق في مركز الهجوم، بينما يعاني الفريق من غياب أحد أصحاب المهارات الفردية العالية، وهو اللاعب محمود عبد المنعم (كهربا)، لحصوله على الإنذار الثالث.

وأكد ماكليش على أهمية الفوز بنقاط المباراة الثلاثة، وعدم فقدان أيّ نقطة خلال المباريات المقبلة، سعيا للزحف نحو استعادة صدارة الترتيب، وشدد على أن فريقه يمتلك مجموعة من أفضل اللاعبين القادرين على حصد الألقاب.

ويعي خالد القماش، المدير الفني للإسماعيلي، رغبة منافسه الزمالك في الأخذ بالثأر، ويرى أن المباراة لن تكون سهلة على الإطلاق، ويأمل أن يزحف فريقه نحو أحد المراكز المتقدمة بجدول الترتيب، حيث يقبع في المركز الخامس بـ35 نقطة.

نزهة رائقة مع الأستاذ

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❏ لا شيء يعادل الراحة النفسية والسعادة والطمأنينة، فمهما قست الظروف وغابت الحلول وساءت الأحوال، فإن الرضاء والطمأنينة الذاتية يلهمان صاحبهما سر النجاح مستقبلا ويمنحانه السعادة.

في عالم كرة القدم تصحّ هذه القاعدة، بل هي ربما أحد أهم الأسس التي تساعد اللاعب والمدرب والمسير أيضا على تحقيق الوصول إلى تحقيق الأحلام والطموحات، فكم من لاعب موهوب عجز عن تأكيد موهبته وعبقريّته كلما غابت هذه القاعدة، فالمال لوحده لا يصنع بمفرده السعادة والنجاح، بل في بعض الأحيان كلما زادت الإغراءات وتضاعفت الامتيازات المادية كلما انعدم الأمان وغاب الإبداع.

قاعدة ربما يمكن ملاحظتها جليا لدى فريقين عريقين ينشطان في الدوري الإنكليزي الممتاز، وتحديدا مانشستر يونايتد الذي رحل عنه "الأب الحنون" أي المدرب السابق السير أليكس فيرغسون، فغاب الأمان وانعدمت السعادة والطمأنينة التي لم يقدر صنّاع القرار في هذا النادي على شرائها، رغم المبالغ الطائلة التي تم رصدها وصرفها على امتداد السنوات الأخيرة، لتفشل نخبة من النجوم الرائعة في ترك بصمة سحرية في هذا النادي، وأكبر دليل الأرجنتيني أنخل دي ماريا.

على النقيض من ذلك ألهمت القناعة وراحة البال "أبطال" نادي ليستر سيتي المغمور وجعلتهما في أعلى المراتب، حيث تفصلهم بضع خطوات للسير على البساط الأحمر وولوج عالم الأساطير الرائع، والفضل كل الفضل في ذلك هو توفير مناخ ملائم من السعادة والطمأنينة جعل الفريق يتحول من واقع إلى آخر في طرفة عين.

هذه القاعدة يبدو أنها لم تعد حكرا على ليستر سيتي، وفريق عريق آخر تفطن لها، وبادر إلى إعادة ترتيب البيت وبث الطمأنينة والسعادة فيه دون النظر إلى النتائج الآنية.

إنه نادي ليفربول الذي لم يتردد في التعاقد مع المدرب الألماني يورغن كلوب فور التفطن إلى حدوث شرخ في "البيت"، والهدف كان الحد من الأضرار والبحث عن القواعد الأساسية للنجاح والتفوق في المستقبل.

حلّ إذن ركب كلوب أستاذ الرياضيات السابق، وبدأ منذ أشهر في عمله على رأس ليفربول بقواعد ونظريات جديدة، لقد "هندس الأستاذ وبادر بتكريس أسلوب عيش وحياة وتدريب مغاير تماما لما كان عليه الفريق في السابق.

نظريات "الأستاذ" كلوب بسيطة ومستساغة إلى درجة أن المتلقي لا يجد أيّ صعوبة لاستيعابها، فهي تتمثل أساسا في عدم البحث عن الألقاب بسرعة، أي لا تلهث خلفها بلا هدى، هنالك ثلاث قواعد تحكم اللعبة، فالقاعدة الأولى هي توفير مناخ ملائم للعمل من أجل التقدم، والقاعدة الثانية هي تمتّع بما تفعل وافعل ما تحب دون تعقيد، أما القاعدة الثالثة فهي ضرورة التقيد تماما بتنفيذ القاعدتين السابقتين.

ومنذ أيامه الأولى حرص هذا المدرب على تكريس هذه القواعد والمبادئ، فكانت المحصّلة إيجابية إلى حد كبير خاصة في أجواء المجموعة التي بدأت فعلا في التمتع واكتساب السعادة الغائبة دون أدنى تفكير في المراهنة على الألقاب، لأنّ الجميع يدرك أنها آتية، ولو بعد حين.

ليفربول اليوم ليس ليفربول البارحة، فالكل راض على المستوى العام والنتائج، والكل سعيد بوجود الأستاذ الذي استعاد معه أنصار ليفربول نكهة متابعة مباريات فريقهم، بل لا أحد يطالب الفريق بالتتويجات، مادام الفريق يتمتّع ويمتع مهما كانت النتائج.

عبقرية "الأستاذ" وخاصة على مستوى التعامل مع اللاعبين تأكّدت خلال فترة الراحة الأخيرة لمنافسات الدوري، لقد اصطحب كلوب كافة اللاعبين في رحلة إلى جزيرة تينريفي الأسبانية، الغاية منها ليس التدرب بعيدا أن أجواء مدينة ليفربول، بل لقضاء نزهة رائعة ورائقة والتمتع بقضاء لحظات لا يكون فيها أيّ مكان لكرة القدم بخططها وتدريباتها الشاقة.

فكرة رائدة ومنفردة فاجأت الجميع ونالت إعجاب كافة المشاركين في هذه النزهة مع "الأستاذ"، فعاد اللاعبون إلى التدريبات بعد ذلك بمعنويات عالية وسعادة غامرة، وهمّهم الوحيد هو مواصلة التمتع بممارسة كرة القدم مع المدرب كلوب، ولسان حال هؤلاء اللاعبين يردد "لا شيء يعادل الراحة النفسية والسعادة مع الأستاذ".

بلا شك فإن ما يقدم عليه كلوب من تصرفات تعكس شخصيته المرحة والمسالمة والمنفتحة على الجميع، والطامحة أيضا إلى الرقي والنجاح وحصد التتويجات، فخلال التجربة السابقة مع بوروسيا دورتموند حقق كلوب قفزة هائلة في مستوى الفريق الذي حقق عددا من البطولات وبلغ نهائي دوري أبطال أوروبا، ولم يغادره إلا بعد أن تركه في الطريق الصحيح، أما اليوم فإن هذا المنفرد في قواعده ونظرياته في عالم التدريب بصدد تحضير فريق مُهاب وقويّ سيكون له شأن كبير خلال المواسم المقبلة، ومادام الجميع في ليفربول سعداء وراضين ومطمئني البال، فإن التتويجات آتية عن قريب.

سلة غولدن ستايت تسقط على أرضها

❏ **واشنطن** – وضع بوسطن سلتيكس حدا لسلسلة انتصارات قياسية لغولدن ستايت ووريرز حامل اللقب على أرضه وأسقطه 109–106، الجمعة، في الدوري الأميركي للمحترفين في كرة السلة.

وكان ووريرز قد فاز في 54 مباراة على التوالي على ملعبه "أوراكل أرينا" في أوكلاند كاليفورنيا، ولم يخسر منذ 14 شهرا، وتحديدا منذ 27 يناير 2015. وفاز ووريرز في آخر 18 مباراة من الموسم الماضي على أرضه، وافتتح مشواره هذا الموسم بـ36 فوزا متتاليا أمام جماهيره.

وبرغم تعرضه لخسارته الثامنة هذا الموسم، إلا أن ووريرز لا يزال قادرا على تحطيم رقم شيكاغو بولز القياسي بعدد الانتصارات في موسم واحد، والبالغ 72 فوزا و10 هزائم في موسم 1996–1995 مع أسطورته مايكل جوردان. وأصبح رصيد ووريرز 68 فوزا مقابل 8 هزائم، علما بأنه ضمن سابقا تأهله إلى "البلاي أوف" برفقة سان أنطونيو سبيرز وأوكلاهوما سيتي من المنطقة الغربية.

وكان سلتيكس خسر بعد التمديد مرتين في بوسطن أمام غولدن ستايت في 11 ديسمبر الماضي.

وخاض سلتيكس المباراة بعد خسارته أمام بورتلاند ترايل بلايزرز 109–116 الخميس، وهو يتنافس مع ميامي هيت الفائز على ساكرامنتو كينغز 106–112 وتشارلوت هورنتس الفائز على فيلادلفيا سفنتي سيكسرز 91–100، على المركز الثالث في المنطقة الشرقية.

وسجل لغولدن ستايت كل من كوري 29 نقطة وكلاي تومسون 15، فيما كان توماس الأفضل لدى الخاسر (22)، وأضاف إيفان تيرنر 21 نقطة.

وفي سياق متصل أهدر كليفلاند كافالييرز متصدر المنطقة الشرقية تقدما كبيرا قبل تخطيه مضيفه أتلانتا هوكس 108–110.

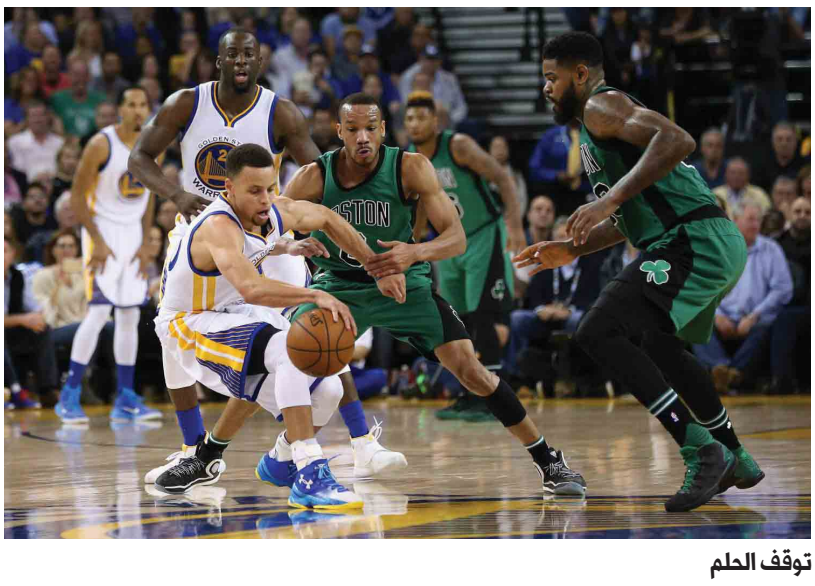

توقف الحلم

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

شغف الكتابة يدفع أرجنتينيا للعمل كنّاسا بمحطات قطارات الأنفاق

يغوص الأرجنتيني إنريكي فيراري في عالم مظلم تحت الأرض بعد توقف حركة قطارات الأنفاق في العاصمة الأرجنتينية بوينوس أيرس قبيل منتصف الليل، متسلّحا بدلاء ومكانس لتنظيف محطة للمترو وكسب راتب يتيح له تمويل شغفه بكتابة قصص بوليسية خلال النهار.

كاتب المترو

❏ **بوينوس أيرس** – تحت اسم كيكي فيراري، أصدر الأرجنتيني إنريكي فيراري كتبا بوليسية في ستة بلدان تمت ترجمتها إلى أربع لغات، وقد نال جوائز عدة، غير أن هذا كله لا يكفي لتأمين معيشة لائقة له، فاضطر لامتهان مهنة كناس بمحطات قطارات الأنفاق في العاصمة الأرجنتينية بوينوس أيرس، ليُنمي ولعه وشغفه بهوايته، ألا وهي الكتابة.

يقول الروائي الذي سئم تلقيبه بكاتب المترو "إنه من غرائب الرأسمالية البرجوازية الاعتقاد بأننا كعمال لا نمتّ إلى الثقافة بصلة".

وقد ذاع صيت كيكي بفضل روايته "من بعيد تبدو أشبه بالبعوض" البوليسية، وهي ثالث رواياته ونشرت في الأرجنتين سنة 2011، ونال عنها جائزة سيلفيريو كندا في مهرجان خيخون الأسباني، ونشرت الرواية في فرنسا والمكسيك وإيطاليا.

وفي هذا الكتاب، تتحول حياة رئيس ثريّ لشركة إلى جحيم إثر اكتشافه جثة في صندوق سيارته إبّان الحكم الدكتاتوري العسكري في الأرجنتين بين سنتي 1976 و1983، وتتميز هذه الرواية بنبرتها المباشرة من دون أيّ مواربة، ويصور الكتاب بشفافية كبيرة التجاوزات التي كان يشهدها المجتمع الأرجنتيني في تلك الحقبة.

وفي سن الرابعة والأربعين، كتب كيكي فيراري خمس روايات، إضافة إلى قصص ومقالات أدبية، ويقول "العيش من الأدب حتى اللحظة جيد، لكن المردود المالي غير كاف".

ويتميز كيكي فيراري ببنية ضخمة وعلى جسمه أوشام متعددة، بينها وجه كارل ماركس على ذراعه اليسرى.

وفي حجرة صغيرة بمساحة أربعة أمتار مربعة في محطة أميا لقطارات الأنفاق، يستفيد هذا الكاتب الكنّاس من استراحات قصيرة لتصحيح نص ما على جهاز كمبيوتر محمول يصطحبه معه على الدوام، وهو إلى ذلك، قارئ نهم رغم عدم حيازته أيّ شهادات علمية.

ويؤكد الأرجنتيني ذو الهالات السوداء تحت عينيه "أكتب عند استطاعتي وحيثما استطعت، وهوسي خلال النهار هو إيجاد وقت للنوم".

وفي شقته في حي أونسي، يعمل على طاولة صغيرة في إحدى زوايا قاعة الطعام حيث تتكدس الكتب، وهو سيتبرع بها في نهاية المطاف إلى المكتبة التابعة لنقابة سويتي المسؤولة عن إدارة قطارات الأنفاق في بوينوس أيرس، وقد تولى كيكي مهام مندوب نقابي للعمال في قطارات الأنفاق.

فيراري الذي يصف نفسه بأنه "كاتب حرّ يعيش من تنظيف محطات قطارات الأنفاق"، يقول "أعرف أن الأمر مفاجئ، لكنّ ثمة عمالا كثيرين يؤلفون كتبا ويمتهنون الفن أو الموسيقى".

وقبل العمل في محطة تحت الأرض، كان كيكي خبازا وسائق تسليم بضائع وبائعا، وفي مطلع العقد الأول من القرن الحالي، سلك كيكي طريق الهجرة غير الشرعية إلى الولايات المتحدة قبل طرده بعد ثلاث سنوات.

ويقول "أعمل في مدينة مهجورة (محطة المترو)، وتبعا للنفايات التي خلّفها الناس، أستطيع التكهن ما إن كان الطقس في الخارج حارا أو باردا، وفي أيّ حالة نفسية يكون المسافرون، وفي عالم مكتظ على الدوام، أنا دائما الشخص الذي يصل بعد مغادرة الجميع".

وقد كبر كيكي المشجع لنادي ريفر بلايت في بوينوس أيرس الشغوف بموسيقى الروك، في منزل لا يزخر بالكثير من الكتب، لكنّ والده هو الذي رسم له مصيره من دون أن يعلم، عبر تقديمه كتابا له عندما كان في سن الثامنة عن مغامرات القرصان ساندوكان، ويستذكر الرجل الأربعيني تلك الحقبة قائلا "هذه الهدية كانت مهمة لي، القراءة هي التي تميزنا عن القردة، على حد قول والدي".

ويوضح "لا أفكر في الأدب كمهنة"، لكنه يشير إلى أنه يحلم "في الفوز بجائزة عالمية"، أو أن يقتبس المخرج السينمائي ستيفن سبيلبرغ أحد كتبه وينقلها إلى السينما.

طفلة سعودية تحارب السرطان بالرواية

❏ **الرياض** – كتاب "رغم الألم يبقى الأمل" وقع ضمن الكتب الأكثر مبيعا في معرض الرياض للكتاب هذا العام، وفيه تروي الروائية الطفلة شريفة الحقباني (12 عاما) قصة إصابتها بمرض سرطان الدم منذ أكثر من عامين ولا تزال تخضع للعلاج، وتقول "أنْ تصاب بالسرطان لا يعني أن حياتك ستتوقف، بل إنها ستبدأ، ولكن بشكل آخر".

وتقول المؤلفة الصغيرة في كتابها "كانت أصعب لحظات حياتي هي عندما بدأت أول جرعة كيميائي من دون تخدير.. كنت أشعر بدخول الإبرة مثل الطعنة المؤلمة، يليها دخول إبرة الكيميائي مثل دخول نار حارقة داخل جسدي الصغير".

وهذا مقطع من يوميات الطفلة شريفة الحقباني التي تصف نفسها بمحاربة السرطان، ودوّنت تجربتها في كتاب جعلت منه نقطة تحول من الألم إلى الأمل ومن نهاية الطريق إلى بدايته.

وتحدثت زارعة الأمل الصغيرة عن الهدف من الكتاب، قائلة إنه "نشر الأمل والتفاؤل"، وأشارت إلى أن جزءًا من ريع الكتاب يذهب لصالح الجمعية السعودية لمكافحة السرطان، وحمل الكتاب رسائل إيجابية كثيرة لم تكن موجهة لمحاربي السرطان فقط، بل "لكل شخص مريض ومبتلى"، كما تقول الكاتبة.

تضمّن الكتاب قصة الطفلة شريفة مع المرض ومراحل علاجه موثقة بالصور، وأكدت المؤلفة فيه أن السرطان علّمها أن الإيمان بالله يجعل المرض بردا وسلاما، ولم يخل كتابها من تغريدات دوّنتها على حسابها في تويتر الذي أصبح منصة تروي فيه حكايات المصابين بالسرطان.

تدعو شريفة دائما إلى أن تُسمى ويُسمى كل مريض بالسرطان محاربا للسرطان، فهي ترفض مسمّى مريضة سرطان، لذا كانت شريفة أول طفلة تُلقّب بسفيرة محاربة السرطان في السعودية. وكتبت الصغيرة في يومياتها "دعم الأسرة بدأ من أول جرعات الكيميائي بعد أن طلب مني الدكتور إزالة شعر رأسي بسبب تساقطه بالعلاج، رفضت الفكرة واستمرّيت في الرفض مدة أسبوع، ومع محاولات أسرتي والأطباء وافقت وأزلت شعري بمساعدة الممرضة".

المطرب الإماراتي حسين الجسمي من ضمن حملة الهلال الأحمر الاماراتي لاغاثة النازحين في محيط مدينة الموصل العراقية الخاضعة لسيطرة داعش

سيارة صغيرة لبابا الفاتيكان تباع بـ300 ألف دولار

❏ **نيويورك** – بيعت سيارة "فيات 500 أل" استخدمها البابا فرنسيس خلال زيارته لنيويورك في سبتمبر الماضي، بسعر 300 ألف دولار في مزاد، أي أكثر باثنتي عشر مرة عن سعرها الأساسي، على ما أعلن الموقع المكلف بعملية البيع.

وكانت السيارة الصغيرة إحدى سيارتين من الطراز نفسه وضعتا في تصرف البابا خلال أول زيارة له لأكبر مدينة أميركية. وقد اشتراها رجل الأعمال المليونير مايلز نادال الذي يملك أكثر من 130 سيارة ودراجة نارية، على ما أوضح موقع "تشاريتي باز".

وقد طرحت أبرشية نيويورك الكاثوليكية السيارة للبيع في مزاد وسيوزّع المال على المدارس الكاثوليكية في الأبرشية ومنظمات خيرية كاثوليكية وجمعيتين كاثوليكيتين في العالم، هما "كاثوليك ريليفسيرفيسيز" و"كاثوليك نير إيست ويلفير أسوسييشن"، على ما أوضح الناطق باسم الأبرشية جوزيف زويلينغ.

وقال زويلينغ إن الأبرشية لا تزال تفكّر بما ستفعله بالسيارة الثانية التي وضعت في تصرف الحبر الأعظم خلال زيارته، لكنه أعرب عن ثقته "أنها ستستخدم بالطريقة نفسها" لدعم القضايا التي شدد عليها البابا خلال الزيارة. وقد استخدم البابا السيارة الصغيرة خلال زيارته لنيويورك عندما لم يستقل سيارته الرسمية "بابا موبيليه".

وكان سيارة فيات مماثلة استخدمها البابا في فيلادلفيا (شرق الولايات المتحدة) خلال الزيارة نفسها للولايات المتحدة، بيعت بسعر 82 ألف دولار في يناير 2016.

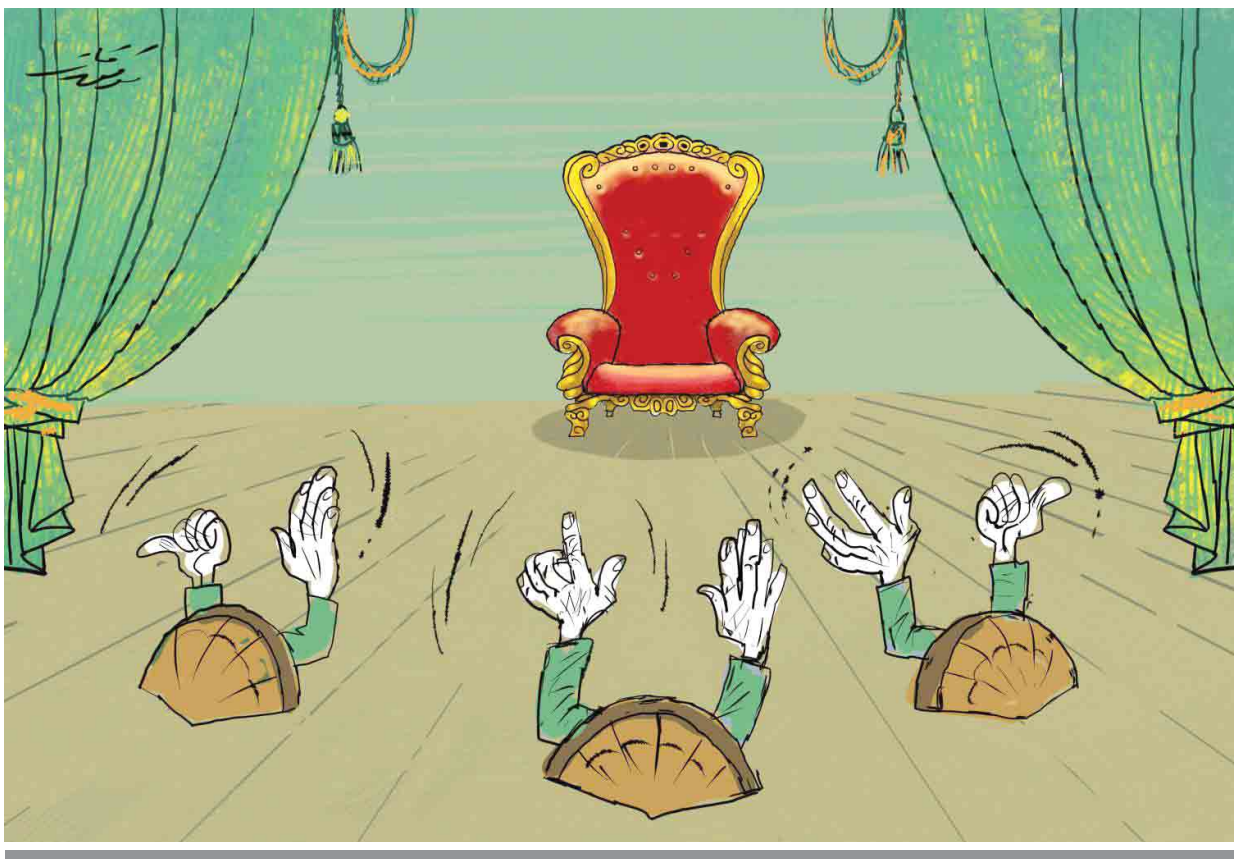

صباح العرب

الحبيب الأسود

المادة 89

❏ قدر مصر أن تكون الرائدة عربيا، وقدر العرب أن يتأثروا بالشقيقة الكبرى إيجابا أو سلبا، ومن الطبيعي أن يكون العقل والوجدان العربيّان في جزءٍ مهم منهما نتاجا للإبداع المصري أدبا وفنّا وإعلاما.

وفي المقابل، أن يتراجع الإبداع في مصر، فذلك يؤدي حتما إلى أزمة في الثقافة العربية، وأن يُحاصر العقل المبدع المصري بمادة في القانون الجنائي، تستهدف الكتّاب والشعراء والفنانين والمفكرين والصحفيين بتهمة هلامية اسمها ازدراء الأديان، وتقود شاعرة كفاطمة ناعوت، وروائيا كأحمد ناجي، وباحثا كإسلام البحيري إلى السجن، وترمي بأربعة أطفال خلف القضبان لأنهم استهزؤوا من تنظيم "داعش" بتقليدهم ضمن تسجيل لا يتجاوز عشرات الثواني لصيحات قاطعي الأعناق.

الأمر حينها، يصبح في حاجة ماسّة إلى مراجعة المادّة 89 أو إلغائها، حتى لا تكون حصان طروادة الذي يستعمله المتطرفون والباحثون عن الشهرة والفرقعات الإعلامية ومحامو المقاولات الإخوانية والتكفيرية، أداة لتشويه مناخ الحريات ولضرب سمعة البلاد وبثّ الرعب في قلوب أصحاب الفكر وصانعي الجمال وبناة الحضارة.

تنصّ المادة المذكورة على أن "يعاقب بالحبس مدّة لا تقل عن ستة أشهر، ولا تجاوز خمس سنوات، أو بغرامة لا تقل عن 500 جنيه ولا تتجاوز ألف جنيه، كل من استغل الدين في الترويج بالقول أو بالكتابة أو بأيّ وسيلة أخرى لأفكار متطرفة".

إلى هنا قد يبدو الأمر قابلا للفهم والتفهم، رغم أن هذه المادة منافية لمضامين الدستور الجديد، ولكن ماذا يفعل الكاتب أو الفنان أو المفكر أو الباحث أو المواطن العادي إذا كان هناك من يربط كل تفاصيل الحياة بالدين، ويجعل من نفسه وصيا على ضمائر الناس، مثلما حدث مع الشاعرة والكاتبة فاطمة ناعوت عندما أشفقت بروحها الشاعرة على الخرفان في يوم عيد الأضحى، فكتبت عشر كلمات في ذلك على موقع التواصل الاجتماعي، لتجد نفسها متهمة بالإساءة إلى الإسلام، ورغم اعتذارها الذي وصل إلى 500 كلمة، صدر فيها حكم ابتدائي بالسجن لمدة ثلاثة أعوام، أيده حكم استئنافي الخميس الماضي؟

قبل عقود، كانت مصر، تبث في قلوب وآذان العرب أصوات أم كلثوم وعبدالوهاب ونجاة وعبدالباسط عبدالصمد، وتهدي إليهم مؤلفات نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وطه حسين، وأفلام أحمد رمزي وشادية وعماد حمدي وعادل إمام وغيرهم..

وكانت تجمعهم حول مشروع قومي مستنير وتقدمي وإنساني، فلم نكن نرى ما نرى اليوم من إرهاب وتطرف وظلام وتكفير، وعندما تراجع دورها، وصل العرب إلى ما وصلوا إليه اليوم، لذلك باتت مصر مدعوّة اليوم إلى أن تعود إلى ريادتها الفكرية والثقافية والفنية والإعلامية، حتى تقطع الطريق أمام قُطّاع طرق الحضارة، ممن لا همّ لهم، إلا نشر الظلمات، وتدمير الوجدان، وبث الخوف في المختلف، ولو عبر مادة قانونية لم يتم الانتباه إليها، إلا عندما أريد لها أن تستعمل في غير موضعها.